

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
ومضات في فهم الآيات (١)

رقم الناشر الدولي: ٧-٦٠٥-٠-٨٥٩٩٩-٨٧٩  
رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: ٧٦٧/د.ع/٢٠٢١م

# المحتوى

الصفحة

الموضوع

١	ومضات في فهم الآيات (١) .....
٥	مقدمة ومضات في فهم الآيات .....
٩	المرتکز الأول: الإيمان بالغيب .....
١٢	المرتکز الثاني: لله تعالى ملك السماوات والأرض .....
١٤	المرتکز الثالث: الله تعالى هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .....
١٥	المرتکز الرابع: لله تعالى الأمر، ولا يكون شيئاً في الكون إلا بإذنه ومشيتته .....
١٦	المرتکز الخامس: اختيار الرسل وأصحابهم، وتعليمهم ومنحهم المعجزات .....
١٩	المرتکز السادس: الأديان .....
٢١	المرتکز السابع: السنن والجزاء والابتلاءات .....
٢٣	المرتکز الثامن: أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس .....
٢٤	المرتکز التاسع: أخذ العهد على جميع المرسلين باتباع محمد ﷺ ونصره .....
٢٥	المرتکز العاشر: شرائع الإسلام تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض .....
٢٧	المرتکز الحادي عشر: الدين الإسلامي لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة .....
٢٧	المرتکز الثاني عشر: التقوى والإحسان هي مفاتيح الخير كله .....
٢٩	المرتکز الثالث عشر: ولاء المؤمن لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين .....
٢٩	المرتکز الرابع عشر: الإيمان هو نسب المؤمنين .....
٣٢	المرتکز الخامس عشر: تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ للقرون الثلاثة الأولى من هذه الأمة .....
٣٩	المرتکز السادس عشر: وجوب إقامة الدين في الأرض .....
٤١	المرتکز السابع عشر: وجوب دعوة الناس للدين .....
٤١	المرتکز الثامن عشر: أن الله تعالى مظهرٌ وناصرٌ دينه على كل دين .....
٤٢	الحروف المقطعة في مطلع السور .....
٤٣	منهجية التفسير .....
٤٥	سورة الفاتحة ترتيبها (١) آياتها (٧) .....
٤٧	(١ - ٥) حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده .....
٥٠	(٥-٧) الإقرار بالعبودية لله تعالى وطلب الهداية للصراف المستقيم .....
٥٩	سورة البقرة ترتيبها (٢) آياتها (٢٨٦) .....
٦٠	(١ - ٥) القسم بأن القرآن هدى للمتقين وذكر بعض صفاتهم .....
٦٥	(٦-٧) بيان عدم نفاذ الكافرين وذكر السنن الإلهية فيهم .....
٧٠	(٨ - ١٠) بيان بعض صفات المنافقين وسننه تعالى فيهم .....
٧٤	(١٠ - ١٦) بيان بعض سلوك المنافقين .....
٧٨	(١٧ - ٢٠) ضرب المثل لعقوبة منافقي اليهود .....
٨٣	(٢١ - ٢٥) دعوة الناس للإيمان وبيان جزاء المؤمنين والكافرين .....
٨٧	(٢٦-٢٩) بيان أن الغاية من ضرب المثل هداية وإضلال من يشاء تعالى .....
٩٢	(٣٠-٣٣) حوار الله تعالى الملائكة بجعل خليفة في الأرض .....
٩٦	(٣٤ - ٣٩) تشريف آدم (ع) وإضلال الشيطان له .....

- ١٠١ ..... دعوة بني إسرائيل للإسلام وتحذيرهم من الكفر..... (٤٨-٤٠)
- ١٠٧ ..... تذكير بني إسرائيل بعض نِعَم الله تعالى عليهم..... (٥٧-٤٩)
- ١١١ ..... بني إسرائيل قابلوا النعم بالمعاصي..... (٦١-٥٨)
- ١١٦ ..... بيان القاعدة العامّة للإيمان وتحذير بني إسرائيل من الكفر به ﷺ..... (٦٦-٦٦)
- ١٢٢ ..... تذكير بني إسرائيل بمآصلهم في ذبح بقرة وتأكيد قسوة قلوبهم..... (٧٤-٦٧)
- ١٢٦ ..... بيان بعض أسباب غضب الله تعالى على بني إسرائيل..... (٨٢-٧٥)
- ١٣١ ..... أمور بسببها غضب الله تعالى على بني إسرائيل..... (٨٨-٨٣)
- ١٣٦ ..... من أسباب غضب الله تعالى على بني إسرائيل..... (٩٣-٨٩)
- ١٤١ ..... دحض مزاعم بني إسرائيل وبيان حقيقتهم..... (١٠١-٩٤)
- ١٤٦ ..... الاستنكار على بني إسرائيل اتباعهم ما تتلوا الشياطين..... (١٠٣-١٠٢)
- ١٥٠ ..... النهي عن سلوك يهود، وفضح حسد كفّار أهل الكتاب والمشرّكين..... (١٠٨-١٠٤)
- ١٥٥ ..... حسد كفّار أهل الكتاب للمسلمين ورغبتهم في إضلالهم، وتكذيب مزاعمهم..... (١١٢-١٠٩)
- ١٥٩ ..... استنكاره تعالى على أهل الكتاب تكفير بعضهم وزعمهم اتخاذه الولد..... (١١٨-١١٣)
- ١٦٣ ..... تأكيد بعثته ﷺ، ورغبة كفّار أهل الكتاب بتبعية المسلمين لدينهم، وتحذير بني إسرائيل..... (١٢٣-١١٩)
- ١٦٨ ..... التذكير بابتلاءات إبراهيم (عس) وبيان إتمامه ما كُلف به..... (١٢٤)
- ١٧٣ ..... تأكيد جعل البيت مثابة للناس، وبيان العهد الذي أخذ على إبراهيم وإسماعيل، والتذكير بأدعيته وابنه إسماعيل (عس)..... (١٢٩-١٢٥)
- ١٧٧ ..... بيان أنّ من السفاهة الرغبة عن ملة إبراهيم (عس)، والإشارة إلى وصيته ويعقوب (عس) لينيه..... (١٣٤-١٣٠)
- ١٨٢ ..... تنفيذ دعوة كفّار أهل الكتاب وبيان أنّ الحق في اتباع ملة إبراهيم (عس)..... (١٤١-١٣٥)
- ١٨٧ ..... بيان الغاية من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام..... (١٤٥-١٤٢)
- ١٩٢ ..... بيان معرفة كفّار أهل الكتاب رسول الله ﷺ والأمر بالاتزام بهديه تعالى لإتمام النعمة..... (١٥٢-١٤٦)
- ١٩٦ ..... الأمر بالصبر والصلاة عند البلاء، وبيان أنّ الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله للحج والعمرة..... (١٥٨-١٥٣)
- ٢٠١ ..... التحذير من كتمان الدين وحلول اللعنة..... (١٦٣-١٥٩)
- ٢٠٥ ..... ضرب بعض الأمثال الدالة على أنّ الله تعالى خالق الخلق..... (١٦٤)
- ٢١٠ ..... تأكيد عظم حب المؤمنين لله تعالى والتحذير من اتباع خطوات الشيطان وضرب المثل لحال الكافرين..... (١٧١-١٦٥)
- ٢١٤ ..... الأمر بأكل الطيبات وتحريم الخبيث، والتحذير من كتمان الدين..... (١٧٦-١٧٢)
- ٢١٨ ..... بيان صفات الأبرار وتشريع القصاص للناس..... (١٧٩-١٧٧)
- ٢٢٣ ..... الحث على كتابة الوصية، والتحذير من التبديل فيها، وفرض الصيام وبيان بعض أحكامه..... (١٨٤-١٨٠)
- ٢٢٨ ..... تأكيد نزول القرآن في رمضان، والأمر بصيامه وبيان كفارته، وشروط استجابة الدعاء، وتحريم أكل الأموال بالباطل..... (١٨٨-١٨٥)
- ٢٣٢ ..... بيان الغاية من الأهلة، والأمر بدخول البيوت من أبوابها، وبقاتل المعتدين، والحض على الإنفاق في سبيله تعالى..... (١٩٥-١٨٩)
- ٢٣٧ ..... الأمر بإتمام مناسك الحج والعمرة والتزود لهما، وبيان بعض الأحكام المتعلقة بهما..... (١٩٧-١٩٦)
- ٢٤٠ ..... اباحة الاتجار في الحج والعمرة، والأمر بكثرة الذكر والاستغفار، وبيان حكم تعجيل أو تأخير النفرة من منى..... (٢٠٣-١٩٨)
- ٢٤٤ ..... ضرب المثل للنقيضين من الناس، والأمر بالدخول في السّلم والإسلام، والتحذير من استدراج الشيطان..... (٢١٢-٢٠٤)
- ٢٤٩ ..... بيان الغاية من إرسال الرسل، وأسباب الاختلاف، وأنّ التمهيص والاختبار من سننه تعالى..... (٢١٤-٢١٣)
- ٢٥٤ ..... بيان أوجه الإنفاق وحكم القتال في الأشهر الحرام وعزم الكفار على صد المسلمين عن دينهم..... (٢١٨-٢١٥)
- ٢٥٨ ..... بيان أضرار الخمر والميسر والحض على إصلاح أموالهم اليتمى ومخالطتهم، والنهي عن نكاح المشركين..... (٢٢١-٢١٩)
- ٢٦٣ ..... بيان أحكام المحيض، والأمر باجتناب الحلف لمنع الخير، وبيان بعض أحكام الإيلاء والطلاق..... (٢٢٨-٢٢٢)
- ٢٦٨ ..... بيان بعض أحكام الطلاق، وحقوق المطلقة وحكم الخلع، والتحذير من مخالفة أحكامه تعالى..... (٢٣٢-٢٢٩)
- ٢٧٣ ..... بيان أحكام الرضاعة واسترضاع المولود، وعدة المتوفى عنها زوجها، وحكم التعريض للزواج من المعتدة..... (٢٣٥-٢٣٣)

- ٢٣٦-٢٤٢) بيان حقوق المُطَلَّقة قبل وبعد تسمية المهر، والأمر بالمحافظة على الصلوات، وبيان حقوق الزوجة بعد وفاة الزوج. .... ٢٧٧
- ٢٤٣-٢٤٨) ضرب المثل لفضل الله تعالى على الناس، والأمر بالقتال والإنفاق في سبيل إقامة دينه تعالى، وابطال جيل الملاء من بني إسرائيل. ٢٨١
- ٢٤٩-٢٥٢) تخاذل الملاء من بني إسرائيل عن طلوت(عس)، وقتل داوود لجالوت. .... ٢٨٦
- ٢٥٣-٢٥٤) بيان تفضيل الرسل على بعض، وبيان أسباب اقتتال أتباعهم، والحض على الإنفاق في سبيل الله. .... ٢٨٩
- ٢٥٥-٢٥٧) أعظم آية في القرآن، وبيان أن لا إكراه في الدين، وتأكيد موالاته تعالى للمؤمنين. .... ٢٩٥
- ٢٥٨-٢٦٠) تأكيد تأييد أولياء الله، وضرب الأمثال على الإحياء. .... ٢٩٩
- ٢٦١-٢٦٤) الحض على الإنفاق، والتحذير من المن، وقول المعروف للمحتاجين، والتحذير من ابطال ثواب الصدقات. .... ٣٠٣
- ٢٦٥-٢٧٠) ضرب المثل لمضاعفة أجر الصدقات، والتحذير من محبطاتها، والحض على الإنفاق من الطيب، والتحذير من جيل الشيطان. .... ٣٠٧
- ٢٧١-٢٧٤) الحض على إخفاء الصدقات، وتأكيد أن الهداية بيده تعالى، وبيان مستحقي الصدقات. .... ٣١٢
- ٢٧٥-٢٨١) التحذير من اكتساب الربا وبيان عقوبته، والأمر بالتخفيف عن المُعْسِر، والتذكير بحساب يوم القيامة. .... ٣١٦
- ٢٨٢-٢٨٣) الأمر بكتابة الدين، أو أخذ الرهن، وإشهاد الشهود، والأمر بعدم الإضرار بالكاتب والشهداء. .... ٣٢١
- ٢٨٤-٢٨٦) الجزم بأن الملك لله تعالى، والخلق محاسبون، والرسول ﷺ والمؤمنين مصدقون ومُبتَهَلُونَ، وأنَّ التكاليف بحسب الوسع. .... ٣٢٦
- المراجع ..... ٣٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة ومضات في فهم الآيات

سبحان من تعطف بالعز وقال به، سبحان من لبس المجد وتكرم به، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي المجد والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام، سبحان الله وبحمده عدد ما خلق في السماوات، وسبحان الله وبحمده عدد ما خلق في الأراضين، وسبحان الله وبحمده عدد ما خلق بينهما، وسبحان الله وبحمده عدد ما خلق وما هو خالق، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وسبحان الله وبحمده عدد ما سبح المسبحون إلى يوم الدين، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والصلاة والسلام على الرسول الأمين سيدنا محمد ﷺ عدد ذلك، وعلى النبيين والمؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لقرآن هو رسالة الله تعالى ونوره للناس أجمعين، وقد بذل المفسرون جهدا كبيرا لتيسير فهم القرآن العزيز للناس من زوايا مختلفة، فمنهم من نظر في المعاني، ومنهم ركز على الجانب اللغوي، ومنهم من أبرز

الجانب الفقهي والأحكام، ومنهم أظهر الجانب الفلسفي، ومنهم من اعتنى  
بالجانب الوعظي وغير ذلك.

إِلَّا أَنَّ تِلْكَ الْجُهُودَ الْكَبِيرَ فِيمَا بَعْدَ لَمْ تُثْمِرِ الثَّمَرَةَ الْمَرْجُوءَةَ فِي اتِّسَاعِ  
رُقْعَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَرْضِ، إِلَّا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ، إِذَا مَا قُورِنَ مَعَ مَا تَمَّ  
إِنجَاؤُهُ فِي الْقُرُونِ الْأَوَّلِ، فَبِئْسَ يَوْمَ مَوْلَدِهِ ﷺ كَانَ الرُّومُ وَالْفُرسُ أَقْوَى الْأُمَمِ  
لَا يَنَازِعُهُمَا أَحَدٌ، وَكَانَ الْعَرَبُ عَلَى أَوْعَفِ حَالٍ، وَمِنْ ضَعْفِهِمْ أَنَّ أَبْرَهَةَ  
الْحَبَشِيِّ غَزَا عَامَ الْفِيلِ بِجَيْشِهِ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ مِنْ يَمَنِهَا إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ لِيَهْدِمَ  
الْكَعْبَةَ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ إِلَّا آحَادٌ، وَالَّذِينَ لَمْ يُغْنُوا شَيْئًا، حَتَّى أَهْلَكَهُ تَعَالَى  
وَجَيْشُهُ.

وَبَقِيَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ بَعْتِهِ ﷺ مُضْطَهَدُونَ طِيلَةَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ (١٣)  
عَامًا حَتَّى تَأَسَّسَتْ دَوْلَتُهُمْ بِهَجْرَتِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَالتِّي لَمْ يَهْدَأْ  
الْكَفَّارَ عَنْ غَزْوِهَا حَتَّى الْعَامِ الْخَامِسِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهَزَمَ اللَّهُ تَعَالَى  
الْأَحْزَابَ، ثُمَّ كَرَّ الْمُسْلِمُونَ مُنْتَصِرِينَ عَلَى الْقَبَائِلِ الَّتِي شَارَكَتْ فِي تِلْكَ  
الْغَزْوَةِ قَبِيلَةً بَعْدَ قَبِيلَةٍ، وَفِي الْعَامِ السَّابِعِ فَتَحَ ﷺ خَيْبَرَ، وَفِي الْعَامِ الثَّامِنِ  
مِنَ الْهَجْرَةِ فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ، ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ وَفِي

العام التاسع عندما قرر الرومان إنهاء القوة الإسلامية والتي بدأت تهدد كيانهم، وانتهت المعركة بلا قتال وأخلى الرومان بعض مواقعهم للدولة الإسلامية، وفي العام العاشر من الهجرة بايعت وفود العرب الرسول ﷺ ودانت له جزيرة العرب.

وفي العام الخامس عشر من الهجرة، في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رل ع) سطر المسلمون نصراً لم يدونه ولم يعرفه التاريخ، حيث تمكن المسلمون من هزيمة فارس في غزوة القادسية، وهزيمة الروم في غزوة اليرموك في نفس الفترة من ذلك العام، ثم استلم عمر بن الخطاب (رل ع) مفاتيح بيت المقدس في العام السادس عشر، وأجلى أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم ساح المسلمون في العالم يبلغون دين الله تعالى وإقامته في الأرض دون هزائم تُذكر، حتى وصلوا إلى معظم دول آسيا وأفريقيا وأوروبا، ووصل بعضهم إلى أمريكا الشمالية، ودخل كثير من الناس في دين الله أفواجاً، ومن أسباب تباطؤ اتساع دائرة الإسلام من بعد ذلك ما يلي: -

١- أنّ لغة السابقين من هذه الأمة كانت هي لغة القرآن العزيز، والذين كانوا على علو فهم ودراية بمقاصد القرآن العزيز، ولتعزير فهم القرآن العزيز تمّ تنقيط الحروف في عهد الخليفة علي بن أبي طالب، وفي عهد الخليفة عبدالملك بن مروان تمّ تشكيل الحروف.

٢- أنّ معظم التفاسير أُلِّفَتْ لأهل الاختصاص.

٣- أنّ لغات ولهجات كثير من المسلمين اعترأها التغيير، وأصبحوا بحاجة لتذكيرهم بمقاصد الدين.

٤- تكالب الأمم غير المسلمة على المسلمين، وخاصّة المشركين وأهل الكتاب الذين دحروهم المسلمين أثناء الخلافة الراشدة.

فكان من الضرورة إبراز غايات الدين في ومضات في فهم الآيات، والتي تم استتباطها من الآيات المحكمات من القرآن العزيز وسنة الرسول ﷺ، وأشار إليها بالأسس والمرتكزات، ومن أهمها جمع كلمة المسلمين

وعدم التفرق لقوله تعالى في سورة الشورى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا

وَصَّي بِهِ، نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى

أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... } ﴿١٣﴾ ولقوله تعالى في سورة الأنعام: {

إِنَّ الدِّينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أُمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } ﴿١٥٩﴾ ولقوله تعالى في سورة آل عمران: { وَلَا



تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ولقوله تعالى في سورة الأنفال: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
وَلَا تَنَزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } ﴿٤٦﴾ .

ومن تلك الأسس والمرتكزات ما يلي: -

### المرتکز الأول: الإيمان بالغيب.

الإيمان بالغيب واجب على المؤمنين، لما أرشد إليه الرسول ﷺ، من  
الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره،  
وللغيب ماضٍ وحاضر ومستقبل.

ومن ماضي الغيب الذي أخبر تعالى عنه خلق السماوات والأرض،  
وأن هما كانتا شيئاً واحداً ففتقهما تعالى لقوله تعالى في سورة الأنبياء: {  
أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا  
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} ﴿٣٠﴾ ثم كانتا دخانا لقوله تعالى في سورة  
فصلت: {ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ  
كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} ﴿١١﴾ وأن خلقهما كان في ستة أيام من أيامه تعالى

لقوله تعالى في سورة ق: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} ﴿٣٨﴾.

وقد فصل تعالى خلق السماوات والأرض في سورة فصلت قائلاً: {قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وَاٰنَدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} ﴿١٢﴾ وأن يوماً من أيامه تعالى كالف سنة مما يعده الناس لقوله تعالى في سورة الحج: {... وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} ﴿٤٧﴾ فكان خلق السماوات والأرض في ستة آلاف سنة من أيام الأرض.

ومن حاضر الغيب، أن الله تعالى يعلم كل ما يدور في كل لحظة في السماوات والأرض، وما يكون بين خلقه من ملائكة وإنس وجن وحيوان ونبات وجماد، كما ويعلم تعالى مستقبل الغيب لأجل الساعة لليوم

الآخر، ويعلم أصحاب الجنة ونعيم كل نفس فيها، ويعلم تعالى أصحاب النار وعذاب كل فرد فيها.

وللخلق ثلاث مراحل أساسية: -

١- فالمرحلة الأولى هي علم الله تعالى بما هو كائن للأبد لقوله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ} ﴿١١﴾ ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن العرياض بن سارية السلمي (رل ع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمُنْجِدٌ في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأيت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم ". ومُنْجِدٌ في طينته، أي قبل نفخ الروح فيه.

٢- المرحلة الثانية هي كتابة كل ما سيكون إلى الأبد في أم الكتاب، لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن الوليد بن عباد بن الصامت (رل ع) قال: حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد".

٣- المرحلة الثالثة هي بدأ الخلق وأولها القلم.

## المرتکز الثاني: لله تعالى ملك السماوات والأرض.

لله تعالى ملك السماوات والأرض لقوله تعالى في سورة البقرة: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } ﴿١٠٧﴾ وله تعالى ما فيهما لقوله تعالى في سورة لقمان: { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } ﴿٢٦﴾ كما وله تعالى ما بينهما وما تحت الثرى لقوله تعالى في سورة طه: { لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى } ﴿٦﴾ وله تعالى ملكوت كل شيء لقوله تعالى في سورة يس: { فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ﴿٨٣﴾ فهو تعالى الذي أعطى كل شيء في الكون خلقه وحجمه وخواصه ثم هداه ليقوم بوظيفته، وله تعالى الحكم فيه، ولا يكون شيئاً فيهما إلا بإذنه.

ومن المهم الإشارة إلى أن كل شيء من خلقه تعالى آية ومعجزة دائمة ومستمرة، وفيه دلائل وبراهين على عظيم ابداعه تعالى واتقانه وقدرته، كما وفيه تحدٍ لخلق مثله، وقد أشار تعالى لكثير من تلك الآيات في قوله تعالى في سورة النحل: { خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا  
لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ  
تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا  
بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا  
وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ  
لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ  
شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ  
وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ  
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ  
يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا  
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ  
تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَالَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ  
أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾

المرتکز الثالث: الله تعالى هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

الله تعالى هو الذي أعطى كل شيء في الوجود خلقه، أي حجمه ولونه وصورته وخواصه، ثم هداه ليقوم بواجبه في الكون كما قال موسى (عس) في سورة طه: { قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَثُمَّ هَدَىٰ } ﴿٥٥﴾ وضرب تعالى المثل لهدايته للنحل كما قال تعالى في سورة النحل: { وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ﴿٦٩﴾ فالله تعالى هو الذي أعطى النحل خلقه وصوره وألوانه، وأعطى كل عضو وخلية وذرة في النحل خلقها، وهدى كل شيء فيها ليقوم بوظيفته.

كما أعطى تعالى السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من نجوم وكواكب ومجرات، وملائكة وإنس وجن والحيوان ودواب ونبات وجماد في البر والبحر خلقه ثم هدى كل شيء ليقوم بوظيفته بتكامل ليس له مثل.

المرتکز الرابع: لله تعالى الأمر، ولا يكون شيئاً في الكون إلا بإذنه  
ومشيئته.

كما أنّ لله تعالى الخلق، فإنّ لله تعالى الأمر في السماوات والأرض  
وما فيهما وما بينهما لقوله تعالى في سورة الأعراف: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ  
النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ  
الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ﴿٥٤﴾.

ولا يكون شيئاً في ملكه تعالى إلا بعلمه وإذنه ومشيئته، فليس للعين  
ولا السحر ولا الرياح ولا السحاب ولا الزلازل ولا البراكين ولا الجراثيم ولا  
الفيروسات ولا أكبر ولا أصغر من ذلك إحداث شيء في الكون إلا بإذنه  
لقوله تعالى في سورة الرعد: {وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ۗ  
وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ  
الْمِحَالِ} ﴿١٣﴾.

ولا تموت نفس إنسان ولا جن ولا حيوان ولا نبات إلا بإذنه لقوله  
تعالى في سورة آل عمران: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا

مُوجَّلاً ... {١٤٥} ولا تنزل مصيبة على الناس إلا بإذنه لقوله تعالى في سورة التغابن: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {١١} ولما ورد في سنن الإمام الترمذي عن ابن عباس (رل ع) قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"، فلا مكان في الكون للحظ ولا الصدفة البتة.

**المرتکز الخامس: اختیار الرسل وأصحابهم، وتعليمهم ومنحهم المعجزات.**

كلمة اصطفى كما ورد في معجم مختار الصحاح، من صفا، وصفا الشراب يصفو صفاءً، والصفاء خلاف الكدر، و(الصفو) كما ورد في مقاييس اللغة، أصل واحد يدل على الخلوص من كل شوب، وهو ضد



القدر ، فمحمد ﷺ صفة الله تعالى وخيرته من خلقه ومُصْطَفَاةُ ، والأنبياءُ مُصْطَفُونَ". أي أنهم مختارون من خالصة البشر قيماً وأخلاقاً.

الله تعالى هو الذي اختار واصطفى رسله وأصحابهم بسابق علمه، وبما سيكونون عليه قبل خلق السماوات والأرض، وقبل الكتابة في اللوح المحفوظ أو أم الكتاب لما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود (رل ع) قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه.

كما واصطفى من الملائكة رُسُلَهُ وَمِنَ النَّاسِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} ﴿٧٥﴾ وهو تعالى الذي يهب لرسله ما يشاء من المعجزات لقوله تعالى في سورة غافر: {... وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...} ﴿٧٨﴾.

والرسل والأنبياء منزّهون من كل عيب، وقد أخبر تعالى عن استحالة غلول أحدٍ منهم مثلاً لقوله تعالى في سورة آل عمران: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ

يُعْلَجُ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وهو تعالى الذي زوجهم وجعل لهم ذرية لقوله تعالى في سورة الرعد: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} ﴿٣٨﴾.

وقد بين تعالى أن رسله من الناس بشر وما كانوا خالدين لقوله تعالى في سورة الأنبياء: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ} ﴿٨﴾.

وهو تعالى الذي علم رسله ما يشاء كما قال عن يوسف (عس) في سورة يوسف: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ﴿٢٢﴾ وكما قال عن موسى (عس) في سورة القصص: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ﴿١٤﴾ وعلم نوح (عس) صنعة السفن لقوله تعالى في سورة هود: {وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ} ﴿٣٧﴾ وعلم داوود

صَنَعَةَ الدَّرُوعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} ﴿٨٠﴾.

## المرتکز السادس: الأديان.

الأديان هي الدساتير الإلهية التي أنزلها تعالى على رسله الكرام، من آدم (عس) إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وقد تغيرت تشريعاتها بحسب المراحل التي مرت به الإنسانية، والأديان ناسخة لأحكام ما قبلها، ليأتي الله تعالى بخير منها لقوله تعالى في سورة البقرة: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ﴿١٠٦﴾.

فالتوراة ناسخة لما قبلها لقوله تعالى في سورة الإسراء: {وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ أَلْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا} ﴿٢﴾.

والإنجيل ناسخًا للتوراة لقوله تعالى في سورة الصف: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} ﴿٦﴾ ولقوله تعالى في سورة آل عمران: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ  
بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٥٠} ولقوله تعالى في سورة الصف: {  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ  
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّن بَنِي  
إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا  
ظَاهِرِينَ ۝٥٤}

وقد جعل تعالى الإسلام ناسخا لكل دينٍ ومهيمنًا عليه لقوله تعالى  
في سورة الأعراف: {قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي  
لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۚ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨} وقد بين  
تعالى أن من لم يؤمن به ﷺ من الأمم فنار موعده لقوله تعالى في سورة  
هود: {أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ ۖ كَتَبُ  
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۚ مِنَ الْأَحْزَابِ ۖ فَالنَّارُ  
مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۚ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يُؤْمِنُونَ ۝١٧} ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رل ع) عن

رسول الله ﷺ أنه قال: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

### المرتکز السابع: السنن والجزاءات والابتلاءات.

لله تعالى سنن وجزاءات وابتلاءات يمضيها في الناس في الدنيا قبل الآخرة، فعنده تعالى ثواب الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النساء: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} ﴿١٣٤﴾ فيفتح تعالى لأهل القرى بركات السماء والأرض إن آمنوا واتقوا، أو يأخذهم بعقوبته إن كفروا وكذبوا لقوله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ﴿٩٦﴾ وأكد تعالى أنه لا يمكن أن تكون حياة وممات مجترحي السيئات كحياة وممات الذين عملوا الصالحات في قوله تعالى في سورة الجاثية: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} ﴿٢١﴾.

وبشّر تعالى أوليائه بالبشرى في الحياة الدنيا والآخرة لقوله تعالى  
في سورة يونس: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا  
تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾.

كما ويعاقب تعالى الكافرين والمنافقين والمجرمين في الدنيا قبل  
الآخرة لعلهم يتوبون لقوله تعالى في سورة السجدة: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ  
الَّذِي دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ  
رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ فكل نفس بما كسبت  
رهينة في الدنيا والآخرة.

كما وبين تعالى أنه لا بد من التمحيص والاختبار في الدنيا بالبلاء  
ليتبين الصادقين من الكاذبين لقوله تعالى في سورة العنكبوت: {الْم ﴿١﴾  
أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ  
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ولأجل أن يتوب

ويتضرع المكابرون لقوله تعالى في سورة الأنعام: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} ﴿٤٢﴾.

ولتكفر السيئات لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة (رل ع) عن النبي ﷺ قال: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب (أي الوجد) ولا هم (أي القلق) ولا حزن ولا أذى، ولا غم (أي الكرب) حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها.

**المرتکز الثامن: أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس.**

أكد الله تعالى أن أمة محمد ﷺ هي خير أمة أخرجت للناس من آدم (عس) بشرائعها وقيمها وأخالقها ومعاملاتها لقوله تعالى في سورة آل عمران: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} ﴿١١٠﴾ ولما ورد في سنن الإمام الترمذي عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده (رل ع) أنه سمع النبي ﷺ يقول في

قوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس قال: " أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله".

**المرتکز التاسع: أخذ العهد على جميع المرسلين باتباع محمد ﷺ ونصره.**

أخذ الله تعالى العهد على جميع النبيين بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره في قوله تعالى في سورة آل عمران: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ} قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ؕ قَالُوا ءَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾.

وأن من لم يؤمن به ﷺ من الأمم فهو من أصحاب النار لقوله تعالى في سورة هود: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِءَ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِءَ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ؕ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِءَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِءَ مِنَ الْأَحْزَابِ ؕ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ؕ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ؕ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} ﴿١٧﴾ ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رل ع)



عن رسول الله ﷺ أنه قال: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

**المرتکز العاشر: شرائع الإسلام تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض.**

لهذه الأمة دين شامل كامل يحفظ حقوق الناس مؤمنهم وكافرهم، وشرائعه الإسلامية تفضي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، كما وجاء معترفًا بجميع الرسالات.

فالإسلام يعمل على الرقي بالأخلاق الحسنة والبعد عن الأخلاق السيئة، وعلى تنمية الروابط السرية والأقارب والأرحام، حاثًا على التنافس في منفعة الآخرين والإصلاح بينهم، وحُسن معاملته والجار والخادم والأرامل واليتامى والأطفال ومجهولي النسب، والمساكين وابن السبيل، والكفار المسالمين، ويحث على توقير الكبير ورحمة الصغير، وتوطيد العلاقة الاجتماعية بالتحية وعبادة المريض واتباع الجنائز، كما يعمل الإسلام على توطيد العلاقة الاجتماعية بين الغني بالفقير بالزكاة

والصدقة والكفارات والأضاحي، والصلوات والجمع والأعياد والحج والصيام.

كما ويعمل الإسلام على حفظ الدين عقيدةً وعبادةً وأخلاقًا وفي المعاملات، ويرسخ حفظ وصيانة الأنفس فحرم قتلها إلا بالحق، وشرع القصاص في القتل العمد والجراح، وشرع المحافظة على العقل، فحرم كل ما يفسده من مسكر وغيره ليكفل سلامته وعطائه وتنميته، وشرع حفظ المال عامّة، وحفظ أموال اليتامى خاصّة وأمر بتتمية أموالهم، ووضع ضوابط لكسبه، وحرم الربا والقمار.

كما وشرع المحافظة على النسل فحرم الزنا واللواط لصيانة المجتمع من كل ما قد يدينسه أو يضعفه أو يهلكه، كما وشرع الإسلام المراقبة المجتمعية للمحافظة على استدامة تلك القيم عند الفرد والأسرة والمجتمع عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للوصول إلى إقامة المجتمع الأمثل الذي ينشده هذا الدين العظيم.

فقيم هذا الدين هي الأمثل، والحضارة البشرية بحاجة ماسة لها، والتي إذا غرست في المجتمعات الإنسانية عملت على تقليل المشاكل

التي تعاني منها الحضارة الإنسانية من انتشار الجريمة المنظمة والقتل  
العمد والجريمة بكافة أشكالها.

**المرتکز الحادي عشر: الدين الإسلامي لا يتعارض مع الحقائق العلمية  
الثابتة.**

إن الله تعالى هو خالق هذا الكون، ومعطي كل شيء فيه خلقه  
وهُداه، فلا يمكن أن يكون تعارض بين ما جاء في كتابه العزيز وما  
يكتشفه علماء الطبيعة وغيرهم من حقائق، ووجود تطابق كبير بين  
الحقائق الكونية المكتشفة وما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تأكيداً لسلامة  
التنزيل من التحريف الذي طرأ على الكتب السماوية الأخرى.

**المرتکز الثاني عشر: التقوى والإحسان هي مفاتيح الخير كله.**

بين تعالى أن مفاتيح الخير من علوم وغيرها في التقوى والإحسان  
لقوله تعالى في سورة البقرة: {... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ} ﴿٢٨٢﴾ وهو تعالى الذي علم الرسل والأنبياء ما يشاء فكانوا قادةً  
للبشرية، فعلم نوح (عس) صناعة السفن كما قال تعالى في سورة هود: {

وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ  
 مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ كما وعلم تعالى داوود (عس) صناعة الدروع كما قال تعالى  
 في سورة الأنبياء: { وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ  
 فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ } ﴿٨٠﴾ وآتى يوسف (عس) حكماً علماً لقوله تعالى في  
 سورة يوسف: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ } ﴿٢٢﴾ وكذلك لوطاً (عس) لقوله تعالى في سورة الأنبياء عن لوط  
 (عس): { وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ  
 الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ } ﴿٧٤﴾ وداوود وسليمان (عس) لقوله  
 تعالى في نفس السورة: { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا  
 مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } ﴿٧٩﴾ وكذلك موسى (عس)  
 لقوله تعالى في سورة القصص: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا  
 وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } ﴿١٤﴾ وجعل تعالى النبي الأمي ﷺ بتقواه  
 إمام المرسلين وسيد الخلق أجمعين.

المرتکز الثالث عشر: ولاء المؤمن لله تعالى ورسوله ﷺ وللمؤمنين .

بين تعالى أن رضاه مرهون بموالاته الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين لقوله تعالى في سورة المائدة: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} ﴿٥٦﴾ ولقوله تعالى في سورة المجادلة: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ﴿٢٢﴾

المرتکز الرابع عشر: الإيمان هو نسب المؤمنين .

أقر الله تعالى الإيمان نسباً بين المؤمنين قاطبة من آدم (عس) إلى قيام الساعة، وأكد أنهم ذرية واحدة بعضها من بعض لقوله تعالى في سورة آل عمران: {إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ

عَلَى الْعَلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ رَغِمَ الْفَارِقُ

الزمني الكبير بين الرسل المذكورين، ولقوله تعالى في سورة الحجرات: {

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ﴿١٠﴾

كما ونسب تعالى مجهولي النسب من المؤمنين للمؤمنين لقوله تعالى في

سورة الأحزاب: {أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ

فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ

وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} ﴿٥٠﴾.

كما ونفى تعالى نسب المؤمن للكافر مهما كانت قرابته لقوله تعالى

في سورة هود: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ

الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ

عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ

مِنَ الْجَاهِلِينَ} ﴿٤٦﴾ ولقوله تعالى في سورة المجادلة: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ

أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمُ

بُرُوجٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾.

كما ونسب تعالى المنافقين لبعض خلافاً لنسبهم إلى قيام الساعة لقوله تعالى في سورة التوبة: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ﴿٦٧﴾ وبين تعالى أن الكافرين والمنافقين ذرية واحدة بخلاف نسبهم لقوله تعالى في سورة التوبة: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾.

وقد أشار تعالى إلى أن الكافرين ذرية واحدة ووليهم الشيطان بغض النظر عن نسبهم لقوله تعالى في سورة الكهف: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} ﴿٣٤﴾

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ  
بَدَلًا ﴿٥٠﴾.

**المرتکز الخامس عشر: تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ للقرون الثلاثة  
الأول من هذه الأمة.**

زكى الله تعالى ورسوله ﷺ القرون الثلاثة الأول من هذه الأمة، وبين  
تعالى أنّ المقربين عنده تعالى هم السابقين من الأمة لقوله تعالى في  
سورة الواقعة: { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةٍ  
النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ } والمقربون هم الكثير  
في أصحاب اليمين لقوله تعالى في سورة الواقعة: { لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾  
ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ }.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى خيرية القرون الثلاثة الأول من هذه  
الأمة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود (رل ع)  
أنّ النبي ﷺ قال: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،  
ثم يجيء أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته".



ومن المقربين عند الله تعالى آل بيت الرسول ﷺ، وزوجات ﷺ، وهن أمهات المؤمنين لقوله تعالى في سورة الأحزاب: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم<sup>ط</sup> وأزواجه<sup>ط</sup> أمهاتهم<sup>ق</sup>...} ﴿٦﴾ وقد خصهن تعالى بأمر، فنهى تعالى أولاً: عن الدخول في بيوتهن إلا لطعام باذن من رسول الله ﷺ، ثانياً: وأن يخرجوا إذا دعوا لطعام من بيوتهن دون إطالة، لئلا يؤذوا رسول الله ﷺ، ثالثاً: أن لا يستأنس بالحديث مع إحداهن، رابعاً: وإن أرادوا متاعاً فمن وراء حجاب، خامساً: حرم تعالى نكاح أيًا منهن من بعد رسول الله ﷺ لقوله تعالى في سورة الأحزاب: {يأئنها الذين ءآمنوا لا تدخلوا بيوت النبي<sup>ط</sup> إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير نظيرين<sup>ج</sup> إنه ولكن إذا دعيتم فأدخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستنسين<sup>ج</sup> لحديث<sup>ج</sup> إن ذلكم كان يؤذي النبي<sup>ط</sup> فيستحي<sup>ط</sup> منكم<sup>ط</sup> والله لا يستحي<sup>ط</sup> من الحق<sup>ج</sup> وإذا سألتموهن<sup>ج</sup> متاعاً فسألوهن<sup>ج</sup> من وراء حجاب<sup>ج</sup> ذلكم أطهر لقلوبكم<sup>ج</sup> وقلوبهن<sup>ج</sup> وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله<sup>ط</sup> ولا أن تنكحوا أزواجه<sup>ط</sup> من بعده<sup>ج</sup> أبداً<sup>ج</sup> إن ذلكم كان عند الله<sup>ط</sup> عظيماً<sup>ق</sup> ﴿٥٣﴾.

ومن المقربين أصحاب الرسول ﷺ والذين اختارهم الله لصحبته لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود (رل ع) قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه.

وقد نهى ﷺ عن سبهم لما رواه الإمام البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري (رل ع) قال: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدكم، ولا نصيفه.

ومن المقربين الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وقد أمر الرسول ﷺ بالتمسك بسنتهم، وأقرّ ﷺ خلافتهم، وأكد ﷺ راشدهم وهدايتهم من الله تعالى، لما ورد في مسند الإمام أحمد عن عرياض بن سارية (رل ع) قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعظَنَا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلّت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، قال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان

عبدًا حبشيًا، فإنه من يعيش منكم يرى بعدي اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي  
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات  
الأمر، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة".

فإن بيت الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وأصحابه هم عباد الله، وأولي  
البأس الشديد لقوله تعالى في سورة الأحزاب: { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ  
فِي الْكِتَابِ لُتْفِسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ  
أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ  
وَعْدًا مَّفْعُولًا }.

فإذا اعتمدنا أن القرن مئة عام، وأن قرنه ﷺ يبدأ من يوم ولادته،  
والتي قضى منها ثلاثة وخمسون (٥٣) سنة قبل الهجرة، فيكون نهاية  
القرن الأول عام سبعة وأربعون (٤٧) من الهجرة، والقرن الثاني يبدأ من  
عام ثمانية وأربعون (٤٨) من الهجرة حتى عام مائة وسبعة وأربعون  
(١٤٧) من الهجرة، ويبدأ القرن الثالث من عام مائة وثمانية وأربعون  
(١٤٨) من الهجرة إلى مئتين وسبعة وأربعين (٢٤٧) من الهجرة.

ومن أبرز رجالات تلك القرون الثلاثة من بعد الرسول ﷺ وصحابته الكرام بحسب تاريخ الولادة، المفسر مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي القرشي المخزومي، والذي ولد في عام واحد وعشرون (٢١) من الهجرة، أي في القرن الأول، وتوفي في عام مائة وأربعة (١٠٤) من الهجرة، أي في القرن الثاني، والإمام الفقيه أبي حنيفة، النعمان بن ثابت التميمي المولود عام ثمانون (٨٠) من الهجرة، أي في القرن الثاني، والمتوفى في القرن الثالث عام مائة وخمسون (١٥٠) من الهجرة، والمفسر مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، المولود عام ثمانون (٨٠) من الهجرة، أي في القرن الثاني، والمتوفى في القرن الثالث عام مائة وخمسون (١٥٠) من الهجرة، والذي قال عنه الإمام الشافعي: "من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، ومن أراد السيرة فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد الحديث فهو عيال على مالك، ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان"، كما ورد في كتاب البداية والنهاية لابن كثير، ومقاتل هو مؤلف أول تفسير للقرآن العزيز كاملاً بحسب ترتيبه من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ثم الإمام الفقيه مالك، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر المولود عام

أربعة وتسعون (٩٤) من الهجرة، أي في القرن الثاني، والمتوفى عام  
مائة وتسعة وسبعون (١٧٩) من الهجرة، أي في القرن الثالث، والمفسر  
عبد الرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همّام بن نافع الحميري اليماني  
الصنعاني المولود عام مائة وستة وعشرون (١٢٦) من الهجرة، أي في  
القرن الثاني، المتوفى عام مئتان واحد عشر (٢١١) من الهجرة، أي  
في القرن الثالث، والإمام الفقيه الشافعي، محمد بن إدريس بن عثمان  
بن شافع المولود عام مائة وخمسون (١٥٠) من الهجرة، أي في القرن  
الثالث، والمتوفى عام مئتان وأربعة (٢٠٤) من الهجرة أي في القرن  
الثالث من الهجرة، والإمام الفقيه المحدث أحمد بن حنبل المولود عام  
مائة وأربعة وستون (١٦٤) من الهجرة، أي في القرن الثالث، والمتوفى  
عام مئتان وواحد وأربعون (٢٤١) من الهجرة، أي في القرن الثالث،  
والإمام المُحدِّث البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة  
والمولود عام مائة وأربعة وتسعون (١٩٤) من الهجرة، أي في القرن  
الثالث، والمتوفى في القرن الرابع عام مئتان وستة وخمسون (٢٥٦) من  
الهجرة، والإمام المُحدِّث أبو داوود، سلمان بن الشعث بن شداد بن عمرو  
بن عامر المولود عام مئتان واثنان (٢٠٢) من الهجرة، أي في القرن

الثالث، والمتوفى عام مئتان وخمسة وسبعون (٢٧٥) من الهجرة، أي في القرن الرابع، والإمام المُحَدِّث مسلم، مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري والمولود عام مئتان وأربعة (٢٠٤) من الهجرة، إي في القرن الثالث، والمتوفى عام مئتان وواحد وستون (٢٦١) من الهجرة، أي في القرن الرابع، والإمام المُحَدِّث ابن ماجه، محمد بن يزيد الربيعي القزويني والمولود عام مئتان وتسعة (٢٠٩) هجرية، أي في القرن الثالث، والمتوفى عام مئتان وثلاثة وسبعون (٢٧٣) من الهجرة، أي في القرن الرابع، والإمام المُحَدِّث الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي المولود عام مئتان وتسعة (٢٠٩) من الهجرة، أي في القرن الثالث، والمتوفى عام مئتان وتسعة وسبعون (٢٧٩) في القرن الرابع، والإمام المُحَدِّث النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار والمولود عام مئتان وخمسة عشر (٢١٥) من الهجرة، أي في القرن الثالث، والمتوفى عام ثلاثمائة وثلاثة (٣٠٣) من الهجرة، أي في القرن الرابع، والطبري، المفسر أبو جعفر بن محمد جرير الطبري المولود عام مئتان وأربعة وعشرون (٢٢٤) من الهجرة، أي في القرن الثالث، والمتوفى عام ثلاثمائة وعشرة (٣١٠) من الهجرة، أي في القرن الرابع.

فمن طعن في أحدٍ من آل بيت الرسول ﷺ من تلك القرون الثلاثة أو أزواجه أو الخلفاء الراشدين أو أحدٍ من أصحابه، فقد كذب وأذى الله ورسوله ﷺ، واستحقَّ اللعن في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة الأحزاب: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا } ﴿٥٧﴾ ولقوله في سورة هود: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } ﴿١٨﴾ وهم لا يفلحون في الدارين لقوله تعالى في سورة يونس: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ } ﴿١٧﴾ وهو من الكافرين لقوله تعالى في سورة الزمر: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ } ﴿٣٢﴾ .

**المرتکز السادس عشر: وجوب إقامة الدين في الأرض.**

إقامة الدين في الأرض تعني إقامة العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات الإسلامية في الناس، حيث أن الله تعالى أنزل الدين لهم

لقوله تعالى في سورة آل عمران: { هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ  
لِّلْمُتَّقِينَ } ﴿١٣٨﴾ ولقوله تعالى في سورة إبراهيم: { هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ  
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } ﴿٥٦﴾ ولقوله تعالى في سورة  
الجاثية: { هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } ﴿٢٠﴾ .

وقد أوجب تعالى ذلك على هذه الأمة في قوله تعالى في سورة  
الشورى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا  
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى  
الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ  
يُنِيبُ } ﴿١٣﴾ وقد شرع تعالى إقامة الدين في الأرض لتحتكم البشرية إلى  
الدين في كل شؤونها، لقوله تعالى في سورة النساء: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ  
خَصِيمًا } ﴿١٠٥﴾ فإذا آمن الناس واتقوا فتح الله تعالى لهم بركات السماء  
والأرض، وحجب عنهم عذاب الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة  
الأعراف: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ﴿٩٦﴾ .



## المرتکز السابع عشر: وجوب دعوة الناس للدين.

بيّن الله تعالى أنّ دعوة الناس للدين هو واجب الرسول ﷺ وأمته من بعده لقوله تعالى في سورة يوسف: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ﴿١٠٨﴾ وبيّن تعالى أن تبليغ الدين هو من أحسن الأعمال في قوله تعالى في سورة فصلت: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ﴿٣٣﴾ وبالْحكمة والموعظة الحسنة لقوله تعالى في سورة النحل: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ﴿١٢٥﴾.

## المرتکز الثامن عشر: أن الله تعالى مظهرٌ وناصرٌ دينه على كل دين.

تكفل تعالى بنصر دينه على كل دين لقوله تعالى في سورة الفتح: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا} ﴿٢٨﴾ ونصره تعالى خاصًا لعباده الصالحين لقوله تعالى في سورة الأنبياء: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ

الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ولقوله تعالى في سورة النور: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } ﴿٥٥﴾ ولما ورد في سنن الإمام أحمد بن حنبل عن تميم الداري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر".

## الحروف المقطعة في مطلع السور.

أما الحروف المقطعة في مطلع السور، فأميل إلى أنها حروف أقسم بها تعالى تأكيداً وجزماً على صدق ما بعدها، وقد أقسم تعالى بها بيانا لأهميتها في كتابة اللغة، ولولا الحروف لما كتبت العلوم، ومن أهمها تدوين القرآن وحديث رسول الله ﷺ.

ولو كان معنى تلك الحروف المقطعة مبهم وغير واضح عند الكفار  
لألفوا المعلقات في ذم القرآن وأهله وعلقت في الكعبة كعادتهم، وهم الذين  
حاربوا الإسلام دون فتور أكثر من عشرين عامًا، وهم الذين رموا الرسول  
ﷺ بالسحر والجنون رغم فصاحة القرآن وحسن البيان ومتانة التشريع،  
ولو كان معنى الحروف المقطعة مبهم، لما أسلم عمر بن الخطاب عند  
قراءته في الصحيفة التي كانت لدى أخته في قوله تعالى في سورة طه: {  
طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكِّرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا  
مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ بل ولربما مزقها وزادته كفرًا وعنادًا.

## منهجية التفسير.

روعي في ومضات لفهم الآيات ما يلي: -

- أن يكون قريبًا بالمأثور من القرآن العزيز والسنة المطهرة ومعاني

اللغة في معاجم اللغة العربية.

- أن يكون التفسير موضوعيا حيث قسمت السور وخاصة الطوال منها إلى آيات ذات العلاقة وتم كتابة مواضيعها، ليتيح هذا التقسيم سهولة القراءة، والفهم الموضوعي لتلك الآيات وما يتعلق بها.

أما المسائل المختلف فيها بين الشُّراح فاخترت ما أميل إليه من رأي وفهم مبني على الأسس والمرتكزات المذكورة دون ذكر أي رأي آخر، بما لا يتعارض مع مدلول الموضوع الذي نتحدث عنه الآيات.

أما المراجع التي استعنت بها في التفسير فجعلتها ضمن فقرات الموضوعات عوضاً عن جعلها في ذيل كل صفحة، كقولي كما جاء في سورة كذا، وكما ورد في تفسير ...، وكما ورد في صحاح أئمة الحديث والسير، أو كما ذكر في الموسوعة الحرة وغيرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

## سورة الفاتحة ترتيبها (١) آياتها (٧)

موضوعاتها:

- حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده.

- الإقرار بالعبودية لله تعالى، وطلب الهداية للصرط المستقيم.

سمّيت سورة الفاتحة لافتتاح الكتاب العزيز بها، وسمّيت بأمر الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن وغير ذلك، وفي سورة الفاتحة إرشاد إلى ما ينبغي أن يفتح به قبل الدعاء، فيبدأ بحمد الله تعالى، ثمّ الثناء عليه، ثمّ تمجيده تعالى، ثمّ الصلاة والسلام على رسوله ﷺ ثم سؤال الحاجة.

وسمّيت بالسبع المثاني والقرآن العظيم لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رل ع) قال: قال رسول الله ﷺ " أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"، وسمّيت أم القرآن لاحتوائها على الثناء على الله، وتنزيهه من النقائص، وإثبات تفرده بالألوهية، وسمّيت بالسبع المثاني لآياتها السبع، ولقراءتها في كل ركعة.

ولا تصح الصلاة إلا بالفاتحة لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رل ع) عن النبي ﷺ قال: " من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمر

القرآن فهي خداج (ثلاثا) غير تمام"، فقيل لأبي هريرة (رل ع): إنا نكون وراء الإمام، فقال اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قال مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: { أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل".

ومن بركتها مغفرة ما تقدم من ذنب لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رل ع) أن رسول الله ﷺ قال: إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه".

ومن بركاتها أنها رقية لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري (رل ع) قال: كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غيب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأتيه برقية فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا، فلما

رجع قلنا له أكنت تحسن رقية؟ أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي أو نسأل النبي ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: وما كان يدريه أنها رقية؟ اقسما واضربوا لي بسهم".

كما وتجب الاستعاذة من الشيطان الرجيم قبل استفتاح القرآن العزيز لقوله تعالى في سورة النحل: { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } ﴿٩٨﴾.

(١ - ٥) حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

أمر الله تعالى ببدء القراءة باسمه تعالى لقوله تعالى في سورة العلق: { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ﴿١﴾ فافتتح الله تعالى كتابة العزيز بـ { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } و { بِسْمِ اللَّهِ } تعني أفتتح قراءة القرآن الكريم باسمه تعالى، و { الله } هو واجب الوجود، والاسم الذي تتسب له كل الأسماء والصفات، وهو تعالى مالك الملك، وعالم الغيب ماضيه وحاضره ومستقبله، وله تعالى الخلق والأمر، ولا يكون شيئاً في ملكه

إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَهُوَ تَعَالَى الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، وَهُوَ تَعَالَى  
الْمَخْتَار لِرُسُلِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

و{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ رَاحِمٍ، فَصِفَتُهُ تَعَالَى الرَّحْمَةَ،  
و{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} هُوَ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ وَالْمَرْحَمَةِ، وَ{الرَّحْمَنُ}  
هُوَ الرَّاحِمُ لَخَلْقِهِ مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، فَيُرْزَقُهُمْ وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي  
سُورَةِ الْأَنْفَالِ: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ  
يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} ﴿٣٨﴾ وَبِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ بِمَا كَلَّفَهُمْ.

و{الْحَمْدُ لِلَّهِ} هُوَ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِنِعْمِهِ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا  
تَحْصِي، وَالَّتِي عَرَّفَ تَعَالَى بَعْضَهَا فِي سُورَةِ النَّحْلِ فَقَالَ: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ  
خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ  
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ  
إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾  
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ  
قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ  
الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ



يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ .

وهو تعالى { رَبِّ الْعَالَمِينَ } "والرَّبُّ" كما جاء في قواميس اللغة المالك، والسَّيِّد، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقيِّم، والمُنْعِم، وهو تعالى الذي أعطى كل شيء في الكون خَلْقَهُ، أي خصائصه المعلومة والغير مكتشفة، ثم هدى كل شيء ليقوم بوظيفته في الكون كما قال تعالى في سورة طه: { قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَثُمَّ هَدَى } ﴿٥٠﴾ وضرب تعالى مثلا لهدايته النحل في قوله تعالى في سورة النحل: { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ﴿٦٩﴾ .

وهو تعالى {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} تأكيداً وتثنيةً للثناء عليه تعالى، ولرحمته بخلقه وبعباده المؤمنين {مَلِكٍ} للأجل المسمى لـ {يَوْمِ الدِّينِ} والحاكم المطلق فيه بعلمه وعدله وحكمته وفضله، ليجزي خلقه على دينهم، من أعمال ونيات وما أخفته الصدور، ولا يظلم ربك أحداً.

الملخص: -

حمد الله تعالى نفسه وأثنى عليها ومجدها.

(٥-٧) الإقرار بالعبودية لله تعالى وطلب الهداية للصراط المستقيم.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

{إِيَّاكَ} وحدك {نَعْبُدُ} ونطيع في كل ما أمرت ونهيت، من عقيدة

وعبادات وأخلاق ومعاملات، ونُسَلِمُ الوجه لك رجاء الاستمساك بالعروة

الوثقى لقوله تعالى في سورة لقمان: {وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} ﴿٢٢﴾ ومن العبادة تعلم

وتعليم الدين، وتبليغه تبليغاً مبيناً، حتى يكون الدين والتشريع في الأرض

كله لله، ولتحتكم البشرية إليه {وَإِيَّاكَ} وحدك لا شريك لك {نَسْتَعِينُ} لبلوغ

ما كَلَّفْتَنَا بِهِ، ف{ إِهْدِنَا } وأرشدنا إلى { الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ } القويم { صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، و{ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } من اليهود، إلا أن يسلموا ويحسن إسلامهم. ومن أسباب ملازمة غضبه تعالى عليهم إفسادهم في الأرض، ومن فسادهم في الأرض: -

١- نقضهم العهد العام المأخوذ على النبيين بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره في قوله تعالى في سورة آل عمران: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ } قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ .

٢- نقضهم العهد الخاص الذي أخذ عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره عند جبل الطور في قوله تعالى في سورة الأعراف: { وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيِي ۗ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

٣- كفرهم بمحمد ﷺ عنادًا وعصيانًا واستكبارًا رغم استفتاحهم به على الأوس والخزرج وحلت عليهم لعنة الله كما قال تعالى في سورة البقرة: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} ﴿٨٩﴾.

٤- رغم إقرارهم بصحيفة المودعة بين قاطني المدينة المنورة، حالفوا قريشًا لمحاربة الرسول ﷺ.

٥- سجدوا لأصنام قريش في سبيل محاربة الرسول ﷺ.

٦- كذبوا على الله تعالى بقولهم: إن قريشًا أهدى من محمد ﷺ.

٧- تعمد صد قريش عن سبيل الله، وذلك لما ورد في تفسير القرطبي

أن كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وجماعة معها وردوا مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله ﷺ فقالوا: أنتم أهل كتاب، وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا، فلا نأمن مكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم، ففعلوا، وقال أبو سفيان: أنحن أهدى سبيلا أم محمد؟ فقال كعب: ماذا يقول محمد؟ قالوا: يأمر بعبادة الله وحده، وينهى عن الشرك، قال: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاة البيت نسقي الحاج، ونقري الضيف، ونفك العاني، وذكروا أفعالهم، فقال: أنتم أهدى سبيلا، فاستحقوا اللعن من الله مرة أخرى.

٨- نقضهم موثيق دينهم كما قال تعالى في سورة البقرة: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دَيْرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دَيْرِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ حَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ

إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾.

تعمد الكذب على الله تعالى كما قال تعالى في سورة آل عمران: { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ﴿٧٨﴾ فاستحقوا مضاعفة عذابهم يوم القيامة لقوله تعالى في سورة هود: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾.

٩- قتلهم الأنبياء بغير حق لقوله تعالى في سورة البقرة: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } ﴿٨٧﴾.

١٠- تعلمهم السحر واتباعهم الشياطين كما قال تعالى في سورة

البقرة: { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ <sup>ط</sup> وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ  
وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ  
بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا  
تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ <sup>ج</sup> وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ  
بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ <sup>ج</sup> وَلَقَدْ عَلِمُوا  
لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا  
يَعْلَمُونَ } ١٠٢ .

ومن سننه تعالى أن: -

١- لا يهديهم الله لدينه في الدنيا، ولهم عذاب أليم في الآخرة لقوله  
تعالى في سورة النحل: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ  
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ١٠٤ .

٢- حلت عليهم لعنة الله تعالى في الدنيا إلى يوم القيامة، ويخلدون في  
النار في الآخرة، لنقضهم الميثاق العام للنبيين، والميثاق الخاص  
الذي أخذ عليهم عند جبل الطور بإصرارهم على عدم اتباع محمد  
ﷺ ونصره، إلا أن يستغفروا ويتوبوا، فأصبحت معصيتهم كمعصية  
إبليس لربه لما أمره تعالى بالسجود لآدم (عس)، والانقياد لرسول  
الإنس، فمن معاني السجود اتباع ما يوحى لآدم (عس) والرسول من

بعده، حيث انقطعت الرسالات عن الجن بخلق آدم (عس)، لقوله تعالى في سورة الأحقاف: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ۚ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ .

ثم قال تعالى: { وَلَا الضَّالِّينَ } وهم النصارى ومن أسباب ضلالهم: -

١- نقضهم العهد العام الذي أخذ عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره في قوله تعالى في سورة آل عمران: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ۖ وَلَتُنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا ءَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ .

٢- كذبهم على الله باتخاذهم عيسى وأمه إلهين لقوله تعالى في سورة المائدة: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ



لِي بِحَقِّي إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَفَقَدْ عَلِمْتَهُ وَتَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ .

٣- استحقوا اللعن من الله، ومضاعفة عذابهم يوم القيامة بسبب كذبهم على الله تعالى لقوله في سورة هود: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾ .

٤- اتخذهم عيسى (عس) وأمه إلهين من دون الله كما قال تعالى في سورة المائدة: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْإِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَفَقَدْ عَلِمْتَهُ وَتَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ فضلوا وأضلوا، وهو كذب على الله، ويستحقون اللعن إلا أن يؤمنوا برسول الله ﷺ ويحسن

إسلامهم.

٥- عدم رعايتهم هدي الله تعالى كما قال تعالى في سورة الحديد: { ثُمَّ

قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَآثِرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ<sup>ط</sup>  
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا  
كَتَبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا<sup>ط</sup>  
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ<sup>ط</sup> وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } (٢٧).

ومن سننه تعالى في الضالين: -

١- أن ليس لهم من هاد، ولهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة

أشقّ لقوله تعالى في سورة الرعد: {... وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

هَادٍ } (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ

اللَّهِ مِنْ وَاقٍ } (٣٤).

٢- حلت عليهم لعنة الله تعالى في الدنيا إلى يوم القيامة، ويخلدون في

النار في الآخرة، إلا ان يستغفروا ويتوبوا، وذلك بسبب إصرارهم على

عدم اتباع محمد ﷺ ونصره، فمعصيتهم كمعصية إبليس لربه لما

أمره تعالى بالسجود لآدم (عس)، ومن معاني السجود اتباع ما يوحى

لآدم (عس) حيث انقطعت الرسل عن الجن بخلق آدم (عس).

الملخص: -

الإقرار بالعبودية لله تعالى وطلب الهداية للصراط المستقيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة البقرة ترتيبها (٢) آياتها (٢٨٦)

سورة البقرة من السبع السور الطوال، وفيها إشارة إلى بقرة بني إسرائيل التي أمرهم تعالى بذبحها ليتعرفوا على قاتل الرجل المختصم فيه، وهم المغضوب عليهم، وفي هذه السورة بين تعالى أسباب غضب الله تعالى عليهم ليحذر المؤمنون من أفعالهم.

ومن بركاتها ما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبو أمامة الباهلي (رل ع) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة". أي السحرة.

ومن بركاتها تنفير الشيطان من البيت لما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رل ع) أن رسول الله ﷺ قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".

( ١ - ٥ ) القسم بأن القرآن هدى للمتقين وذكر بعض صفاتهم.

آلَمْ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا  
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى  
مِّن رَّبِّهِمْ ⑤ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑥

يقسم الله تعالى بـ { آلم } لأهمية الحروف في الكتابة، فالحروف هي أساس اللغة، ولولا الحروف لما كانت الكلمات ولا الكتب وأجلها القرآن والسنة، ولقد أقسم تعالى بالليل والنهار والفجر والصبح والضحى والعصر لبيان أهمية اليوم في الحساب وغيره، فأقسم تعالى بألف ولام وميم بأن القرآن هو { ذَلِكَ الْكِتَابُ } العظيم، ومن عظمته أنه:-

وُعدت به الأمم كما قال تعالى في سورة الشعراء: { وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ  
الْأَوَّلِينَ } ① وهو أحسن الحديث كما قال تعالى في سورة الزمر: { اللَّهُ نَزَّلَ  
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ② ... } ③.

وكتاب مبارك كما قال تعالى في سورة الأنعام: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ  
مُبَارَكٌ ... } ④ في أحكامه وشرائعه وتنزل الرحمات، وأحكمت وفصلت

آياته لقوله تعالى في سورة هود: {الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمْتُ عَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ  
مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} ﴿١﴾.

وهو تنزيل من العزيز العليم كما قال تعالى في سورة غافر: {حَمْ  
﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} ﴿٢﴾ ومن الرحمن الرحيم كما قال  
تعالى في سورة فصلت: {حَمْ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ﴿٢﴾ وتبياناً لكل  
شيء يحتاجه الناس لتدبير حياتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وهدى  
ورحمة وبشرى للمسلمين كما قال تعالى في سورة النحل: {... وَنَزَّلْنَا  
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} ﴿٨٩﴾.

وكتاب قيماً ليس له عوج ولا خلل كما تعالى قال في سورة الكهف: {  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} ﴿١﴾ قِيَمًا...} ﴿٢﴾  
ولا يأتيه الباطل كما قال تعالى في سورة فصلت: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ  
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} ﴿٤٢﴾.

وكتاب علي لا يعلى عليه كما قال تعالى في سورة الزخرف: {وَإِنَّهُ  
فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ} ﴿٤﴾ وأنزل في ليلة مباركة كما قال تعالى  
في سورة الدخان: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} ﴿٣﴾ ومبيناً

للحق ومصداقاً لما قبله كما قال تعالى في سورة آل عمران: { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ } ﴿٣﴾.

ولإخراج الناس من ظلمات التشريعات الوضعية إلى النور الذي جاء من عند الله تعالى كما قال تعالى في سورة إبراهيم: { الرَّ كِتَابُ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... } ﴿١﴾ وليُحْكَمَ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ قَاطِبَةً كما قال تعالى في سورة النساء: { إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ... } ﴿١٠٥﴾.

ثم قال تعالى: { لَا رَيْبَ فِيهِ } بأنه من رب العالمين، وهو { هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ } والمتقون هم الصنف الأول من الناس الذين تتحدث عنهم السورة، وهم الذين يُسَلِّمون كلَّ شؤونهم لهدي الله تعالى من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، وذلك هو الاستمساك بالعروة الوثقى كما قال تعالى في سورة لقمان: { وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } ﴿٢٢﴾ ومن صفاتهم: -

أولاً: أنهم { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } الذي أخبر الله تعالى به، فيؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإيمان بكل ما أخبر به تعالى من ماضي وحاضر ومستقبل الغيب، فماضي

الغيب هو كل ما أخبر به تعالى عن الرسل والأمم التي مضت مثلاً، وحاضر الغيب هو علمه تعالى بكل ما يكون في السماوات والأرض لحظة بلحظة، ومستقبل الغيب هو كل ما أخبر به تعالى عن البعث والحساب والجزاء وأحوال الناس في الجنة والنار ومثل ذلك.

ثانياً { وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ } المفروضة ويتنفلون، لتوثيق صلاتهم بربهم.

ثالثاً { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } من زكاة وصدقة وعلم، ومن أهمية الزكاة هي صمام أمان المجتمعات، وقد اعتنى الإسلام بمستحقي الزكاة عناية كبيرة جداً ففرض لهم نصيباً من الغنيمة والفداء والزكاة والصدقات والكفارات والأضاحي لسد حاجاتهم، ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته فيأمن المجتمع.

رابعاً { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ } وسيؤمنون إلى يوم القيامة { بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ } من الناس ومن الأمم، بالله تعالى وبرسوله ﷺ وما أوحى من قرآن وسنة الرسول ﷺ.

خامساً { وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ } أي ويؤمنون بكل ما أنزل تعالى من كتاب كالتوراة والإنجيل والزيور وغيرها.

سادساً { وَبِالْآخِرَةِ } أي بالبعث والنشور والحساب والجنة والنار { هُمْ يُوقِنُونَ } لا يرتابون.

{ وَأُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ } في الدنيا ولا يضلهم ولا يشقيهم لقوله تعالى في سورة طه: { ... فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } { ١٣٢ } ولكن يبتلون في الدنيا لتمحيصهم وتحقق إيمانهم لقوله تعالى في سورة العنكبوت: { أَلَمْ } { ١ } أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } { ٢ } وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } { ٣ } أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } { ٤ } .

ثم قال تعالى: { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } { ٦٢ } الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } { ٦٣ } لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } { ٦٤ } .

الملخص: -

أقسم تعالى بأن القرآن هدى للمتقين وذكر بعض صفاتهم.



(٦-٧) بيان عدم نفع نذارة الكافرين وذكر السنن الإلهية فيهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ  
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

يؤكد تعالى قائلا: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } عناداً وعصيانياً واستكباراً،  
فسننه تعالى فيهم { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ } بسنن الله تعالى في الدنيا قبل  
الآخرة { أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } فقد { خَتَمَ } وطبع { اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } الكفر  
فلا يخرج منها ولا يدخلها إيمان { وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ } جعل تعالى  
عليها { غِشْوَةً } فهم لا يفقهون الهدى ولا الدين { وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } في  
الآخرة، لأنهم حقت ووجبت عليهم الضلالة إن لم يتوبوا لقوله تعالى في سورة  
الأعراف: { فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ } ﴿٣٠﴾ .

ولقد حقّ القول عليهم فهم لا يؤمنون كما قال تعالى فيهم في سورة  
يس: { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيهِمْ  
أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ  
خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ  
تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ولقوله تعالى في سورة يونس: { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ

عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ  
الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ في الدنيا والآخرة.

والختم على القلوب والغشاوة على الأسماع والأبصار هو من كبير  
اللعن، لأن اللعن الأقل هو صم الآذان وإعماء الأبصار عن هدي الله  
تعالى كما قال تعالى في سورة محمد: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا  
فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى  
أَبْصَرَهُمْ ﴾ ﴿٢٣﴾ وكما قال في سورة الكهف: ﴿... إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً  
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ﴿٥٧﴾.  
فلعنة الله تعالى حلت عليهم كما قال في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ اللَّهَ  
لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا  
نَصِيرًا ﴾ ﴿٦٥﴾.

وسننه تعالى فيهم كثيرة ومتنوعة كل بحسب درجة إعراضه وعناده  
وعصيانه واستكباره فمنهم من: -

يضلّ تعالى أعمالهم عن هديه كما قال في سورة محمد: ﴿ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿١﴾.

أو أن يجعل الله تعالى بينهم وبين هديه حجاباً مستوراً، ويجعل على قلوبهم عشاوة لئلا يفهموا الوحي، وفي آذانهم وقراً كما قال تعالى في سورة الإسراء: { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ .

ومنهم من يعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة كما قال تعالى في سورة آل عمران: { فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وكما قال تعالى في سورة فصلت: { فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا } في الدنيا { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ .

أو أن تنزل عليهم قوارع أو جوائح من العذاب لقوله تعالى في سورة الرعد: { ... } وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ { في الدنيا } حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ { بقيام الساعة } إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ .

أو أن يمهلهم في الدنيا ليزدادوا إثماً كما قال تعالى في سورة آل عمران: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا } في الدنيا { وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } ﴿١٧٨﴾ في الآخرة.

أو يعذبهم بأموالهم وأولادهم وليموتوا على الكفر لقوله تعالى في سورة التوبة: { فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } ﴿٥٥﴾.

أو يلبسهم لباس الجوع والخوف كما قال تعالى في سورة النحل: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } ﴿١١٣﴾.

أو يزيد ضلالهم في الدنيا كما قال تعالى في سورة مريم: { قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا } ﴿٧٥﴾.

أو يزيدهم مقتاً وخسراناً كما قال تعالى في سورة فاطر: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ

كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا<sup>ط</sup> فِي الدُّنْيَا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا<sup>٣٩</sup> فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أو أن يزين تعالى لهم مكرهم ليصدهم عن سبيله كما قال تعالى في سورة الرعد: {... بَلْ زَيَّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ<sup>ط</sup> وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ<sup>٣٣</sup> لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا<sup>ط</sup> وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ<sup>ط</sup> وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ<sup>٣٤</sup>}.<sup>٣٤</sup>

أو أن تؤول نفقة أموالهم عليهم ثلاث حشرات، فلا تلبى الأغراض التي أنفقت من أجلها، ويغلبون في الدنيا ثم الخسران العظيم في الآخرة لقوله تعالى في سورة الأنفال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ<sup>ج</sup> فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً<sup>ق</sup> ثُمَّ يُغْلَبُونَ<sup>ق</sup> فِي الدُّنْيَا<sup>ق</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ<sup>٣٦</sup>}.<sup>٣٦</sup>

أو يهلكهم في الدنيا كما أهلك الأمم التي مضت كما قال تعالى في سورة الفجر: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ<sup>٦</sup> إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ<sup>٧</sup> الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ<sup>٨</sup> وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ<sup>٩</sup> وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ<sup>١٠</sup> الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ<sup>١١</sup> فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ<sup>١٢</sup> فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ<sup>١٣</sup> إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ<sup>١٤</sup>}.<sup>١٤</sup>

أَلَا أَنْ يَتُوبُوا عَنْ كُفْرِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: { فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ٣٩ .

وَلَا يَتُوبُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَعْرَاضٍ وَعِنَادٍ وَعَصْيَانٍ وَاسْتِكْبَارٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ } ١١ .

الملخص: -

أَكَّدَ تَعَالَى عَدَمَ نَفْعِ نَذَارَةِ الْكَافِرِينَ وَذَكَرَ سُنَنَهُ تَعَالَى وَجَزَاءَاتِهِ فِيهِمْ.

( ٨ - ١٠ ) بَيَانُ بَعْضِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَسُنَنِهِ تَعَالَى فِيهِمْ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨  
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ فِي  
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ١٠ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ١١

الصنف الثالث من الناس الذين تحدثت عنهم السورة هم يهود المدينة

المنورة، كبنِي قَيْنِقَاعَ وَبَنِي النَّظِيرِ وَبَنِي قَرِيضَةَ، وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ الْإِيمَانَ

ويبتنون الكفر بدين الله تعالى، وهم أخطر الناس على الدين لشدة عداوتهم للإسلام، فهم يرصدون أخبار المسلمين للعدو، ويعيشون آمنين بينهم.

فقال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ {  
بِالْسُّنْتِهِمْ} وَمَا هُمْ { حَقًّا } بِمُؤْمِنِينَ } فهم { يُخَدِّعُونَ اللَّهَ } بإعلانهم الإيمان وإبطانهم وكتمانهم الكفر، ولا يعلمون أنّ مخادعة الله تعالى محال، لا تخفى عليه خافية، ولكنّ الخلل في ظنهم الباطل بالله تعالى، ثمّ قال تعالى: { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا } أي ومرادهم مخادعة الذين آمنوا ليأمنوهم، ويفشوا أخبارهم لعدوهم، وتسقط عنهم الجزية { وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ } لأنّ الله تعالى مقيم سننه فيهم لقوله تعالى في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى } ﴿١٣٤﴾ فتنزل عليهم عقوبات الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة { وَمَا يَشْعُرُونَ } بها، وأنّ سبب بلائهم وشقائهم النفاق الذي في قلوبهم.

ثمّ قال تعالى: { فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ } النفاق والخداع { فزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } ونفاقاً وخداعاً ليزدادوا إثماً في الدنيا { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } في الآخرة { بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } على الله والمؤمنين، وسنن الله تعالى فيهم متفاوتة بدرجة النفاق والخداع والكذب الذي في قلوبهم وعدائهم لدينه تعالى فمنهم: -

من يبقى الله تعالى النفاق في قلوبهم إلى يوم القيامة لقوله تعالى في سورة التوبة: { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } ﴿٧٧﴾ .

أو يفضحهم الله تعالى كما قال تعالى في سورة التوبة: { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزْءُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ } ﴿٦٤﴾ .

أو يذرههم الله تعالى في نفاقهم فلا يهديهم لقوله تعالى في سورة التوبة: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } ﴿٧﴾ .

ومنهم من يركسهم الله تعالى في ضلالهم لقوله تعالى في سورة النساء: { فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا } ﴿٨٨﴾ .

أو يعذبهم الله تعالى مرتبين في الدنيا لقوله تعالى في سورة التوبة: { وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ



لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ { في الدنيا } ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ في الآخرة.

ومنهم من تدور عليهم دوائر السوء بلعنة الله تعالى عليهم وغضبه لقوله تعالى في سورة الفتح: { وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ } في الدنيا { وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } ﴿٦﴾ في الآخرة.

ولا يغفر الله تعالى لهم ولو استغفر لهم رسول ﷺ كما قال تعالى في سورة المنافقون: { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } ﴿٦﴾.

وفي الآخرة يجعلهم الله تعالى في الدرك الأسفل من النار كما قال تعالى في سورة النساء: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } ﴿٤٥﴾.

الملخص: -

المنافقون يخادعون الله تعالى والمؤمنين وهو خادعهم، ففي قلوبهم مرض النفاق، وسننه تعالى أن يزيد نفاقهم وخداعهم في الدنيا ليزدادوا إثماً وليجعلهم في الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

(١٠ - ١٦) بيان بعض سلوك المنافقين.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

المنافقون المعنيون في هذه الآيات هم اليهود، كبنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة، والذين نزلوا المدينة المنورة رجاء أن يُبعث خاتم الأنبياء والمرسلين ليؤمنوا به وينصروه، كما أخذ الله تعالى العهد عليهم، والذين يعرفونه كما يعرفون آبائهم، ولكن كفروا به إذ لم يكن منهم، فأظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر به ﷺ خشية أن تفرض عليهم الجزية،

فكان سلوكهم مخادع سببه عدم الإيمان بالرسول ﷺ، والنفاق الذي في قلوبهم، ومن مخادعتهم: -

أنه { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } فمبادئ الدين من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات غايتها الإصلاح الشامل لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض، وغاية المنافقين كل ما يحقق مصالحهم الشخصية ومكانتهم الاجتماعية، وإن كانت تلك المصالح على حساب مصالح الأفراد أو الأسر أو المجتمعات.

فأكد الله تعالى قائلاً: { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ } حقاً بكفرهم { وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } بعض جرمهم، لتقديمهم مصالحهم الخاصة على مصالح الدين، ولا يبالون بما يترتب على ذلك، ولو أدت تلك المصالح إلى دمار المجتمعات.

وقد ضرب الله تعالى مثلاً في القرآن على فسادهم بأنهم يتولون الذين غضب الله عليهم من المشركين لتحقيق مصالحهم، ويحلفون على الكذب، ويصدون الناس عن سبيل الله تعالى لإضعاف المسلمين، ومن سننه تعالى أن يجعل الشيطان يستحوذ عليهم لينسيهم ذكر الله تعالى، وليكونوا من حزبه، كما قال تعالى في سورة المجادلة: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾  
 اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تُغْنِيَ  
 عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ وَاكْفًا مِمَّا كَانُوا يَحْلِفُونَ لَكُمْ  
 وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ  
 الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ  
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ .

ولهم سلوك مخادع آخر أنه { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ }  
 أي كـمـحـمـد ﷺ والمهاجرين والأنصار { قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ }  
 فالإيمان يوجب تقديم مصالح الدين على المصالح الأخرى، وهم  
 حريصون على مصالحهم، فاعتبروا الإيمان سفاهة.

فردّ الله تعالى عليهم قائلاً: { أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ } بسلوكهم وضلالهم  
 ومخادعتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين { وَلَٰكِنِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ اللَّهَ  
 تَعَالَى طَمَسَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ نِفَاقِهِمْ، فَهَمْ { لَا يَعْلَمُونَ } عِظَم جُرْمِهِمْ،  
 وَلَا مَا يَتَرْتَبُ عَلَى تِلْكَ الْمَفَاسِدِ مِنْ دَمَارٍ لِلْمَجْتَمَعِ وَالْأَسْرِ وَالْأَفْرَادِ .

وسلوك آخر أنه { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا } بالسنتهم خداعاً ونفاقاً وسخريةً واستهزاءً { وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ } وإخوانهم وأقرانهم المنافقين { قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ } بمن آمن، ومن سننه تعالى أن { اللَّهُ } هو الذي { يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ } ويعينهم { فِي طُغْيَانِهِمْ } فهم { يَعْمَهُونَ } ويخبطون كما قال تعالى في نفس السورة: { فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } ﴿١٠﴾ جزاء نفاقهم.

ومن سننه تعالى أن يمهلهم يستهزؤون، ولا يُعجل لهم العقوبة، ليحق عليهم العذاب كما قال تعالى في سورة الرعد: { وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } ﴿٣٢﴾ وكما قال في سورة الأنعام { وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ } ﴿١٠﴾.

ثم قال تعالى: { أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ } الذي جاءهم من عند الله في التوراة، وتبين صدق رسالته ﷺ، والتي كانوا يستبشرون بها قبل بعثته على المشركين { فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ } التي خرجوا من أجلها إلى المدينة المنورة في الدنيا بكفرهم ونفاقهم، ولن تربح في الآخرة { وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } للحق الذي جاء من عند الله تعالى وعلى رسوله ﷺ.

ولهم غاية أخرى وهي إضلال المسلمين عن الحق الذي جاءهم من عند الله كما ضلّوا كما قال تعالى في سورة النساء: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ } ﴿٤٤﴾ من سننه تعالى أن يمدّ لهم في ضلالهم لقوله تعالى في سورة مريم: { قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ { في الدنيا } وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا } ﴿٧٥﴾ .

الملخص: -

بيّن الله تعالى بعض سلوك منافقي المدينة المنورة من اليهود بأنهم إذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض، قالوا: إنّما نحن مصلحون، وإذا قيل لهم: آمنوا كما آمن الناس، قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا استهزاءً، ومن سننه تعالى أن يمدّهم ويعينهم على طغيانهم ليزدادوا إثماً فيخسروا الدنيا والآخرة.

(١٧ - ٢٠) ضرب المثل لعقوبة منافقي اليهود.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمٌّ فُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ  
أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

غاية اليهود الذين نزلوا المدينة المنورة من بني قينقاع وبني النضير  
وبني قريظة أن يتاجروا مع الله تعالى تجارة رابحة، لما بين الله تعالى لهم  
أنه كتب رحمة للذين يؤمنون بالنبي الأمي ﷺ الذي يجدونه مكتوب  
عندهم في التوراة والإنجيل، وليعزروه وينصروه ويتبعوا النور الذي أنزل  
معه ليكونوا من المفلحين كما قال تعالى في سورة الأعراف عندما دعا  
موسى (عس) ربه قائلاً: { وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ  
إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ  
فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ  
يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ  
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ  
فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ﴿١٥٧﴾ .

وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وبَيَّنَّ اللهُ تعالى أنَّ الذين لا يؤمنون به هم الخاسرون كما قال تعالى في سورة الأنعام: { الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ وَكَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } ﴿٢٠﴾ وبَيَّنَّ اللهُ تعالى أنَّ فريقاً منهم يكتُمون الحق وهم يعلمون كما قال تعالى في سورة البقرة: { الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ وَكَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ﴿١٤٦﴾ فقد وصفت كتبهم الرسول ﷺ وصفاً دقيقاً حتى صاروا يعرفونه ﷺ كما يعرفون أبناءهم.

وكفَّار أهل الكتاب يعلمون بقرب زمان النبي ﷺ لما ورد في كتب السِّير عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: " إنَّ مما دعانا إلى الاسلام مع رحمة الله لنا وهداه، لما كنا نسمع من أحبار يهود؛ كنا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علمٌ ليس لنا، وكان لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبيٍّ يُبعث الآن، يقتلكم قتل عاد وإرم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله محمد ﷺ، أجبناه حين دعانا إلى الله عز وجل، وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به، فبادرناهم إليه فأما به وكفروا".



فبكفرهم به ﷺ، ونقضهم عهد الله تعالى، أذهب الله تعالى هداهم ومكانتهم، وأقام سننه تعالى فيهم تصديقاً لسنّته الخالدة في قوله في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى } ﴿١٣٤﴾.

إلا أنهم آثروا الحياة الدنيا، فقد كانوا ينظمون الخرز لتتويج عبد الله بن سبأ ملكاً عليهم، فعادوا الرسول ﷺ وتآمر عليه مع مشركي العرب، فعذبهم الله تعالى في الدنيا، فأجلى رسول الله ﷺ يهود بني قينقاع من المدينة المنورة لما ظاهره بعد غزوة بدر لما دعاهم للإسلام، فمنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى الشام.

أما يهود بني النضير فأقام رسول الله ﷺ حكم سعد بن معاذ بقتل مقاتلتهم وسبي نسائهم بعد غزوة أحد، لما أرادوا اغتيال الرسول ﷺ، بإلقاء حجر عليه من على ظهر بيوتهم، لما طلب ﷺ منهم اعانته على دفع فدية رجلين قتلا خطأ، ثم منح الله تعالى بيوتهم للمهاجرين.

أما يهود بني قريظة فقد تآمروا مع الأحزاب لجتثاث المسلمين من المدينة المنورة في السنة الخامسة من الهجرة، فأخرجوا من ديارهم إلى خيبر، وفي العام الخامس عشر الهجري أجلى أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب (رل ع) من لم يؤمن من كفّار أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام بوصية رسول الله ﷺ.

فضرب تعالى المثل لعقوبتهم التي أنزلها عليهم بقوله تعالى: {مَثَلُهُمْ} أي اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ} وأشعل {نَارًا} في ظلمة شديدة {فَلَمَّا أَضَاءَتْ} وجلّت وأوضحت {مَا حَوْلَهُ} وذهب الله بنورهم {عقوبة لهم} {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ} الجهالات {لَا يُبْصِرُونَ} الحق الذي نزل من عند الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، فأصبحوا {صُمٌّ} عن الهدى والحق {بُكْمٌ} لا يجيبون داعي الله {عُمِّيٌّ} عن دين الله تعالى {فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} ولا يجيبون داعي الله تعالى إلى الحق.

ثم قال تعالى: {أَوْ} عقوبتهم {كَصَيْبٍ} وهو سحاب كثيف قاتم فيه مطر شديد تصحبه عواصف ورعد، نزل عليهم {مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ} فأطفأ تلك النار، وحلت عليهم الظلمة، وأصبحوا {يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيِ آذَانِهِمْ} مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُخِيطٌ وَمَطْبِقٌ {بِالْكَافِرِينَ} مهما كانوا وأينما كانوا، {فِي يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} كَمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا {وقوفاً حائرين} وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ} أيضاً لتجتمع عليهم ظلمة انطفاء النار بالصيب، وظلمة ذهاب أسماعهم وأبصارهم {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

فأصبحوا كالحمار يحمل أسفاراً لا يعي منها شيئاً، فلم ينتفعوا بالنور الذي جاءهم في التوراة، ولم ينفعهم نزولهم إلى المدينة المنورة، ولم ينتفعوا بعلمهم بتقارب زمان النبي ﷺ، فخسروا تجارتهم مع الله تعالى في الدنيا والآخرة.

الملخص: -

ضرب الله تعالى مثلين لشدة عقوبة من كفر من اليهود بمن أوقد ناراً ليرى ما حوله، فأذهب الله بصيرته فلم ينتفع بتلك النار، أو بنزول صائب أطفأها فأبقاهم تعالى في ظلمة الجهل لا يهتدون، فخسروا عنائهم في الدنيا وخسروا الآخرة.

(٢١ - ٢٥) دعوة الناس للإيمان وبيان جزاء المؤمنين والكافرين.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ  
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ  
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ  
تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا  
 بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾

بعد أن بين الله تعالى أن المتقين هم المفلحون في الدارين، وأن  
 الكافرين والمنافقين هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، وجه الله تعالى  
 خطابه للناس عامة قائلاً: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} بطاعته في كل  
 ما أمر ونهى، فهو تعالى {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} وأسجد  
 الملائكة لكم لقوله تعالى في سورة الأعراف: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ  
 صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ  
 مِنَ السَّاجِدِينَ} ﴿١١﴾ ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} إن التزمتم بكامل شرعه  
 وهديته.

فهو تعالى {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا} ممهدة لقضاء مصالحكم،  
 لا ككواكب المجموعة الشمسية التي لا حياة لكم عليها {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً}  
 متماسكة، لا شقوق فيها ولا خلل رغم عظيمها وما فيها {وَأَنْزَلَ} لمصلحتكم  
 ونفعمكم {مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ} كقوله تعالى  
 في سورة النحل: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ  
 شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} ﴿١١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ

وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ حَذَّرَ تَعَالَى قَائِلًا: {  
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} وشركاء لا يخلقون شيئاً، ولا ينفعون ولا يضرّون {  
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ذلك.

ثم قال تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ } وشك { مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا } محمد  
ﷺ من القرآن { فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ } وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ { وأعوانكم من  
الإنس والجن } مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ { في زعمكم } فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا  
وَلَنْ تَفْعَلُوا { قطعاً لقوله تعالى في سورة الإسراء: } قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ  
وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ  
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ .

ثم حذّر قائلاً: { فَاتَّقُوا } واجتنبوا عذاب { النَّارِ } التي من عظيمها لها  
سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها لما ورد في  
صحيح الإمام مسلم وسنن الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود (رل ع)  
قال: قال رسول الله ﷺ: " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ  
كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا " و { أَلَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ }  
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ { وأهون الناس عذاباً فيها ما ورد في صحيح الإمام  
البخاري عن النعمان بن بشير (رل ع) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: " إِنْ

أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة، لرجل توضع في أخص قدميه جمرة يغلي منها دماغه".

ثم قال: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } أكلها دائم وظلها { كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ } أي في الدنيا { وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا } في الأسماء والأشكال والألوان، ولكن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة (رل ع) عن النبي ﷺ قال: قال الله: " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".

ثم قال: { وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ } من كل نقيصة خلقاً وخلقاً { وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } ومتفاوتون في درجات الحسن والجمال بحسب أعمالهم لما ورد في صحيح الإمام مسلم وسنن الإمام أحمد بن حنبل عن أبي هريرة (رل ع) قال: قال رسول الله ﷺ: أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل، لا يتغوطون، ولا يبولون، ولا يمتخطون، ولا يبرزقون، أمشاطهم الذهب، ومجامرهم الألوة (عود يتبخر به) ورشحهم المسك، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على طول أبيهم آدم ستون ذراعاً".

وهم المبشرون في الحياة الدنيا لقوله تعالى في سورة يونس: { أَلَا  
إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ  
﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ﴿٦٤﴾ .

الملخص: -

يأمر الله تعالى خالق الناس بعبادته، وجاعل الأرض فراشا والسماء  
بناءً، والمنزل من السماء ماءً، ومخرجاً كل الثمار، ناهياً عن الإشراك،  
متحديهم أن يأتوا بسورة من مثله، ومحذرههم النار التي أعدت للكافرين،  
ومبشراً الذين آمنوا وعملوا الصالحات بجنات تجري ومن تحتها الأنهار،  
لهم فيها من كل الثمرات، وأزواج مطهرة من كل عيب، وهم فيها  
خالدون.

(٢٦-٢٩) بيان أن الغاية من ضرب المثل هداية وإضلال من يشاء  
تعالى.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ  
بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ

﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٩﴾

ورد في سبب نزول الآيات في تفسير فتح القدير عن ابن عباس أنه لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه قال المشركون: رأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء كان يصنع هذا؟ وورد في تفسير التحرير والتنوير عن الحسن وقتادة أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب بها المثل ضحك اليهود وقالوا: ما يشبه أن يكون هذا كلام الله، فأنزل الله (إن الله لا يستحي) الآية.

وأراد تعالى من ضرب المثل بالذباب في سورة الحج في قوله: {يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ} ﴿٧٣﴾ لبيّن أن الآلهة التي تُعبد من دون الله تعالى عاجزة عن خلق الذباب المستحقر، ولو اجتمعت لخلقه كل الآلهة



التي تُعبد من دون الله، وأنها عاجزة عن استرجاع ما يسلبه الذباب منهم، فكيف يُعبد من لا يخلق ولا يقدر على جلب نفع؟ ولا يعبد الله تعالى خالق كل شيء وبيده النفع والضرر.

وأراد تعالى من ضرب المثل بالعنكبوت في سورة العنكبوت بقوله: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} ﴿٤١﴾ فشبهه الله تعالى متخذي الأولياء من دونه تعالى، كمن تحصن ببيت العنكبوت العاجز عن حماية ساكنه، فكيف يعبد المشركين من لا ينفعهم ولا يحميهم؟ والله تعالى قادر على فعل كل شيء.

فقال تعالى راداً عليهم: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا} لتقوية الإيمان وتعزيز الأفهام والمعاني والمغازي سواء {بِعُوضَةٍ} في الصغر {فَمَا فَوْقَهَا} أو أكبر منها {فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ} يقيناً {أَنَّهُ} أي الوحي من القرآن المنزل على محمد ﷺ هو {الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} دون ريب {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} لعدم استيعابهم المغزى من الأمثال.

وغايته تعالى من ضرب تلك الأمثال أن {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا} ممن كفر وناق وأعرض عن هدي الله تعالى كما حصل لليهود والمشركين {وَيَهْدِي

بِهِ كَثِيرًا} مِمَّنْ آمَنَ وَبَحَثَ عَنِ الْحَقِّ {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} المعرضين عن هدي الله تعالى عناداً وعصياناً، بسبب أنهم {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} كَنَقَضَهُمُ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمُ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَنَصَرَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ} قَالَ فَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾.

{و} بسبب أنهم {يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِءَ أَنْ يُوصَلَ} كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ} ﴿٨٣﴾.

علاوة على ذلك {وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} ويشيعون الفساد فيها بفعل ما نهى الله عنه كقوله تعالى في سورة البقرة: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِءَ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} ﴿٢٤﴾ وَإِذَا

تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ {فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} في الدنيا والآخرة.

فأقام الله تعالى سننه في اليهود والمشركين في قوله تعالى في سورة  
طه: {...} فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي  
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ فهدى الله تعالى من  
آمن بضرب المثل بالذباب والعنكبوت وفهموا الغاية منه، وأضلَّ الله تعالى  
من أعرض بكفرهم ولاستكبارهم، فلم يستتبروا بما نزل.

ثم استنكر الله تعالى على من كفر قائلًا: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ  
وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا} قبل نفخ الروح فيكم {فَأَحْيَاكُمْ} بعد نفخها {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ}  
في الأجل المسمى عنده {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} ويبعثكم {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} للحساب  
والميزان وأنتم لا تملكون تغيير شيئاً من ذلك، و{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا  
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} كما تشاهدون وتقرنون {ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ  
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فأطيعوه ولا تعصوه، فسِنَّه قائمة لا  
تتخلف عن أحد.

الملخص: -

بضرب الأمثال يقيم الله تعالى سننه في المؤمنين فيهديهم ويعمق إيمانهم، وبنفس الأمثال يضل الله تعالى الكافرين بسبب نقضهم المواثيق التي أخذت عليهم، وقطعهم ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام وغيره، وإفسادهم في الأرض ليخسروا الدنيا والآخرة، وكيف يكفرون وهو تعالى الذي أحياهم، ثم يميتهم، ثم يحييهم وإليه يرجعون، ولا تخفى عليه خافية.

(٣٠-٣٣) حوارہ تعالی الملائكة بجعل خليفة في الأرض.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۗ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

خلق الله تعالى الملائكة من نور، وهم {...} لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ كما قال تعالى في سورة التحريم، وخلق الله تعالى الجن من نار السموم قبل الإنس لقوله تعالى في سورة الحجر: {وَلَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وخلق الإنس من طين، وبعث الله تعالى الرسل في الجن والإنس لقوله تعالى في سورة الأنعام: {يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا...} ﴿١٣٠﴾ وكان الجن في الأرض قبل خلق آدم (عس) بألفي عام لما ورد في تفسير فتح القدير وتفسير الدر المنثور "قد كان فيها قبل أن يُخلق بألفي عام الجن بنو الجان، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فلما أفسدوا في الأرض بعث الله عليهم جنوداً من الملائكة فضربوهم حتى ألقوهم بجزائر البحور".

ومن المعلوم أن لا حاجة لله تعالى أن يخبر أحد من خلقه عما هو جاعل في السماوات أو في الأرض، فهو تعالى يخلق ما لا يعلمون لحكم يعلمها، ولكن أخبرهم ليستتطق الذي في قلوبهم، ولإثبات علمه بكل شيء قبل خلقه.

والله تعالى يعلم الغيب ماضيه وحاضره ومستقبله، ومنزلة كل إنسان وجان من الجنة والنار قبل خلقهم، ولكن خلقهم لينال الخلق منازلهم التي علمها مسبقاً فهو العليم القدير، وقد أخبر تعالى عن شيء من ماضي الغيب الذي يجب الإيمان به فقال: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>ط</sup> والخليفة هو السلطان الأعظم كما ورد في معاجم اللغة، أي أنه تعالى سيجعل سيداً في الأرض غير السيد الأول الجن لحكم يعلمها، {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} كما فعلت الجن {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ} دون فتور {وَنُقَدِّسُ لَكَ<sup>ط</sup>} وننزهك ونمجدك ولا نعصيك، ونفعل ما نؤمر، {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} مطلقاً، وأعلم عن الخليفة الذي أريد أن يكون في الأرض ما لا تعلمون، فكان آدم (عس) الذي خلقه تعالى من طين هو الخليفة المراد جعله في الأرض.

ثم أخبر تعالى عن أمر آخر كان من ماضي الغيب، والذي يجب الإيمان به فقال: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ} للمخلوقات {كُلَّهَا}، ليبين تعالى للملائكة الحكمة من خلق آدم (عس) {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فيما قلتم ونسبتم له {قَالُوا سُبْحَانَكَ} نُعْظَمُكَ وَنُنْزَهُكَ وَنُجَلِّكَ عَنْ سُوءِ تَقْدِيرِنَا، {قَالَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ {بِكُلِّ شَيْءٍ} {الْحَكِيمُ} فيما تقضي وتمضي وتريد، {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ<sup>ط</sup> فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} علمت الملائكة فضل آدم (عس)، ثم {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} ماضيه وحاضره ومستقبله {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ} قبل أن تقولوا {وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} وتسرون في نفوسكم قبل أن أخبركم.

فكرم الله تعالى آدم (عس) ليبين أن السموات ليس في المادة التي خلق منها الخلق، وإنما العبرة بالعلم والتعلم الذي يمنحه تعالى لخلقه، ففضل تعالى آدم (عس) المخلوق من طين بعلم الأسماء التي لم يعلمها الملائكة المخلوقون من نور، وعلى الجن المخلوقون من نار، وفضله على بقية الخلق.

أما واجب ومهمة آدم (عس) وذريته في الأرض هو إقامة الدين فيها لقوله تعالى في سورة الشورى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... } ﴿١٣﴾ وليعمرها لقوله تعالى في سورة هود: { ... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ... } ﴿٦١﴾ .

وشرف الله تعالى آدم (عس) على الجن بإيقاف الرسالات عنهم، وجعلهم تبعاً لرسول الإنس كما قال تعالى في سورة الأحقاف: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ } ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾

وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ  
أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾.

الملخص: -

أخبر الله تعالى الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة ليستتق ما في قلوبهم، ويعلم ما لا يعلمون، وعلم تعالى آدم (عس) الأسماء ليبيّن فضله على الملائكة، وأنّ الخلق يتفاضلون بما يعلمون، لا بالمادة التي خلقوا منها.

(٣٤ - ٣٩) تشریف آدم (عس) وإضلال الشيطان له.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ



يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

### خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

بَيْنَ تَعَالَى لَنَا شَيْئًا مِنْ مَاضِي الْغَيْبِ الْوَاجِبِ الْإِيمَانَ بِهِ فَقَالَ: {وَ} اذْكُرُوا {إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا} تَشْرِيفًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى {لِآدَمَ} سَجُودَ تَوْقِيرٍ لَا سَجُودَ عِبَادَةٍ، وَلَمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَسْمَاءٍ لَا تَعْلَمُهَا الْمَلَائِكَةُ، وَمِنْ مَعَانِي السَّجُودِ هُوَ التَّبَعِيَّةُ لِلْمَسْجُودِ لَهُ، كَأَمْرِ إِبْلِيسَ بِالسَّجُودِ لِآدَمَ (عَس) وَاتَّبَاعِ مَا يُوحَى إِلَيْهِ {فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} قِيلَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَسَجَدَ مَعَهُمْ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ فَطَرَتْ عَلَى أَنْ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ: {... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ﴿٦﴾ ثَانِيًا أَنَّ إِبْلِيسَ خُلِقَ مِنْ نَارٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: {قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثَالِثًا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}... ﴿٥٠﴾ رَابِعًا: أَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الشَّيَاطِينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: {يَبْنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ

لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ خامسًا: أن إبليس خلق من نار السموم لقوله تعالى في سورة الحجر: {وَأَلْجَأَنَّ خَلْقَنَّهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} ﴿٢٧﴾ ومن مارج من نار لقوله تعالى في سورة الرحمن: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ} ﴿١٥﴾ وبهذه الأدلة ثبت أن إبليس لم يكن قط من الملائكة، ولكن كان من المرأين بعبادته، فجعله تعالى مع الملائكة ليظهر حقيقته للملائكة.

فقال تعالى عن إبليس: {أَبَى} أن يطيع ربه {وَأَسْتَكْبَرَ} عن أمر ربه مدعيًا أنه خير منه كما قال تعالى في سورة الأعراف: {قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ... ﴿١٢﴾ وما هو بخير منه، فليست العبرة بالمادة التي خلق منها الخلق، ولكن العبرة بالعلم الذي يمنحه الله تعالى لخلقه، ثم قال تعالى عن إبليس: {وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} العاصين الخارجين المعرضين عن أمر ربه، وكما قال فرعون لموسى (عس) في سورة الشعراء: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} ﴿١٩﴾ أي العاصين الخارجين على أمر فرعون لقوله: "أنا ربكم الأعلى".

ثم أخبر تعالى عن أمر آخر من ماضي الغيب الواجب الإيمان به فقال: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} أي الجنة التي أعدت

لذلك الحدث، فجنة الآخرة لا يدخلها إبليس لحلول لعنة الله تعالى عليه  
 أولاً، ثانياً: ليس فيها شجرٌ لا يقرب، ثالثاً: وفيها ما لا عين رأت ولا أذن  
 سمعت ولا خطر على قلب بشر لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن  
 أبي هريرة (رل ع) عن النبي ﷺ قال: " قال الله: أعددت لعبادي الصالحين  
 ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"، أما تلك  
 الجنة فدخلها آدم وزوجه وأكلا منها، وإبليس والملائكة.

ثم قال: { وَكَلَّا مِنْهَا رَعَدًا } رزق كثيراً وافراً لا تعب فيه ولا عناء ولا  
 نصب { حَيْثُ شِئْتُمَا } وأينما أردتما من الجنة، واحذرا { وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ  
 الشَّجَرَةَ } فتفتنان بها { فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } العاصين المتجاوزين {  
 فَأَزَلَّهُمَا } وأوقعهما في المعصية وأقصاهما وأبعدهما { الشَّيْطَانُ عَنْهَا }  
 بعداوته { فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } من النعيم { وَقُلْنَا اهْبِطُوا } إلى الأرض  
 المستخلفين فيها { بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } عداوة أزلية بين المؤمنين من  
 الإنس والجن، والكافرين من الإنس والجن، وقد تطل الأزواج والأبناء  
 لقوله تعالى في سورة التغابن: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ  
 وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ  
 غَفُورٌ رَحِيمٌ } كما حصل لنوح (عس) وزوجه وولده.

ثم قال تعالى: { وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ } للعيش فيها { وَمَتَع }  
تنتفعون به { إِلَى حِينٍ } قيام الساعة والأجل المسمى عنده تعالى، وفي هذه  
الآية إشارة إلى استحالة العيش أو الوصول إلى غيرها { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ  
رَبِّهِ كَلِمَاتٍ } عتاب كما قال تعالى في سورة الأعراف: { ... وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا  
أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } ﴿٢٢﴾  
فاستغفرا كما قال تعالى في سورة الأعراف: { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن  
لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } ﴿٢٣﴾ فغفر لهما { فَتَابَ عَلَيْهِ }  
وقبل توبتهما { إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ } المحب للتائبين والقابل لتوبتهم، و { الرَّحِيمُ }  
بخلقه وبالمؤمنين.

و { قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا } إبليس و آدم (عس) وزوجه والملائكة،  
وفي هذه الآية دليل أن تلك الجنة ليست جنة الآخرة، فالحور العين في  
جنة الآخرة لما ورد في السنن الكبرى للإمام النسائي عن جابر بن عبد  
الله (رل ع) عن النبي ﷺ قال: دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا أو دارا،  
فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فذكرت غيرتك  
يا أبا حفص، فلم أدخلها، فبكى عمر وقال: أو عليك أغار يا رسول الله؟  
ثم قال تعالى: { فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى } معشر الإنس والجن { فَمَنْ تَبَعَ  
هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ } في الدنيا { وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } في الآخرة لقوله

تعالى في سورة يونس: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ﴿٦٤﴾ ثم قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } فلهم معيشة ضنكاً في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة لقوله تعالى في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى } ﴿١٢٤﴾ { أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } في الآخرة.

الملخص: -

شرف تعالى آدم (عس) بتعليمه الأسماء كلها وبإسجاد الملائكة له، وأسكنه الجنة، فأضله إبليس وأخرجه منها، وأكد تعالى أن الأرض قرار لهم، والعداوة بينهم.

(٤٠-٤٨) دعوة بني إسرائيل للإسلام وتحذيرهم من الكفر.

يَبْنَیٰٓ اِسْرَٔیْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِي اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَأِيَّی فَاَرْهَبُوْنِ ﴿٤٥﴾ وَعَامِنُوْا بِمَا اَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُوْنُوْا اَوَّلَ كٰفِرٍ بِهٖ وَلَا تَشْتَرُوْا بِآيٰتِيْ ثَمٰنًا قَلِيْلًا وَأِيَّی فَاَتَّقُوْنِ ﴿٤٦﴾ وَلَا

تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ  
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ \* أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ  
أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ  
وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا  
رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ  
عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ  
نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

يَحُضُّ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَاصَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَى قِيَامِ  
السَّاعَةِ قَائِلًا: { يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ } أَي يَا بَنِي الْعَبْدِ الصَّالِحِ يَعْقُوبَ (عَس)،  
وَبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْمُ يَعْهُمُ الْيَهُودَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى (عَس)، أَمَّا الْيَهُودُ فَهُوَ  
اسْمُ خَاصٍّ بِمَنْ آمَنَ بِمُوسَى (عَس) إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ { أَذْكَرُوا نِعْمَتِي }  
الكَثِيرَةَ { الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } فَجَعَلْتُ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا كَثْرًا كَمَا قَالَ  
تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَعَاقَبَكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا  
مِّنَ الْعَالَمِينَ } ﴿٢٠﴾.

وأمرهم بقوله: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِي } أولاً، الذي أخذته عليكم بالإيمان  
بمحمد ﷺ واتباعه ونصره عند جبل الطور، لما دعا موسى (عس) في  
قوله تعالى في سورة الأعراف: { وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي  
الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ } قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ  
شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾  
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ  
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ  
فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ل { أوفِ بعهدكم } فأحلُّ عليكم رحمتي ولتكونوا من  
المفلحين لقوله تعالى في نفس الآية { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا  
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } حتى قال { ... فالَّذِينَ  
ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ }.

ثم أمرهم ثانياً فقال: { وَإِيَّايَ } وحدي { فَأَرْهَبُونَ } وخشوا سنني التي  
أمضيها في الناس وفي الأمم التي قبلكم كما قال تعالى في سورة الفجر: {  
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي

الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾.

ثالثًا: { وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ } من القرآن المهين على كل دين لقوله تعالى في سورة المائدة: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ <sup>ط</sup>... } ﴿٤٨﴾ والقرآن { مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ } من التوراة، رابعًا { وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ <sup>ط</sup> } من أهل الكتاب، فتتحملوا إثم من كفر بعدكم بمحمد ﷺ، وتحل عليهم لعنة الله تعالى إلى يوم القيامة كما حلت على إبليس لاستكباره السجود لآدم (عس) كما في قوله تعالى في سورة الحجر: { قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } ﴿٣٥﴾ خامسًا: { وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا } بتحريف أحكام الله تعالى لإرضاء العامة وتلبية رغباتهم طلبا للجاه والمكانة في الدنيا، سادسًا: { وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ } واخشوني ولا تعصون.

سابعًا: { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ } لتضلوا الناس عن دين الله تعالى، ثامنًا { وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } صدقه ﷺ كما في قوله تعالى في سورة البقرة: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ <sup>ط</sup> وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ﴿١٤٦﴾.



تاسعًا وعاشرًا: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ } المفروضة على المسلمين، فالرسول ﷺ بعث للناس جميعًا لقوله تعالى في سورة الأعراف: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ﴿١٥٨﴾ الحادي عشر: { وَأَرْكَعُوا مَعَ } المسلمين { الرَّكَّعِينَ }.

ثم قال: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } لما ورد في تفسير فتح القدير وتفسير الدر المنثور أن سبب نزول الآية ما روي عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: أثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل - يعنون به محمداً - فإن أمره حق، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه."

الثاني عشر { وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ } على فعل الطاعات وترك المنهيات، والثالث عشر { وَالصَّلَاةَ } المفروضة والنوافل { وَإِنَّهَا } أي الصبر والصلاة { لَكَبِيرَةٌ } وشاقة { إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } المتضرعين { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ } يقينًا { وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } ومحشورون.

فبسبب اعراضهم عن هدي الله تعالى وكفرهم برسول الله ﷺ وعدائهم له حلت عليهم لعنة الله تعالى في الدنيا إلى يوم القيامة، ويخلدون في النار في الآخرة، بسبب أن معصيتهم هذه كمعصية إبليس لربه لما أمره تعالى بالسجود لآدم (عس)، ومن معاني السجود اتباع ما يوحى لآدم (عس) حيث انقطعت الرسل عن الجن بخلقه (عس).

ثم قال: {يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} في زمانكم بالتوراة والأنبياء والملوك {وَاتَّقُوا} وارهبوا {يَوْمًا} فيه أربعة أمور عامّة، الأول أنه {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} ويود أن يفتدى بمن في الأرض جميعًا، والثاني {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ} لأحد إلا بإذنه تعالى، والثالث {وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} لما كسبت من السيئات ولو ملئ الأرض ذهبًا، والرابع {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} من عذاب الله تعالى.

الملخص: -

يذکر الله تعالى بني إسرائيل الذين عاصروا رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة بنعمه عليهم، ويحذّرهم أن يكونوا أوّل كافر بما أنزل على محمد ﷺ، وأن لا يبيعوا هدي الله تعالى الذي جائهم في التوراة بالمصالح الدنيوية، وألا يلبسوا الحق بالباطل لصدّ الناس عن دين الله تعالى، وألا

يكتموا الحق الذي عندهم بصدق نبوته ﷺ، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة المفروضة على المسلمين، وأن يلتزموا بالبر الذي يأمرون الناس به، وأن يستعينوا بالصبر والصلاة على ما فرض الله عليهم، ويحذّرهم الآخرة.

(٤٩-٥٧) تذكير بني إسرائيل بعض نعم الله تعالى عليهم.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾  
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾  
وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ  
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ  
الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ  
إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا  
أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ  
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً  
فَأَخَذْتُمْ الصُّعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ

وَالسَّلَوَىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

## يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

عدد الله تعالى بعض النعم التي منحها لبني إسرائيل لعلمهم يؤمنون برسول الله ﷺ، وكان سبب انتقال بني إسرائيل من الشام إلى مصر أن دعاهم يوسف (عس) في قوله تعالى في سورة يوسف: { أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ } ﴿٩٣﴾ فلما استولى فرعون على مصر استعبد بني إسرائيل كما في قوله تعالى على لسان موسى (عس) في سورة الشعراء: { وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ } ﴿٢٢﴾ .

فالنعمة الأولى: أن أنجاهم الله تعالى من عبودية فرعون وقتل الذكور من أبنائهم لقوله تعالى: { وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ } وَيُذَقُونَ { سُوءَ الْعَذَابِ } { يُذَجِّجُونَ } ذُكُورَ { أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ { وَمِحْنَةٌ } مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٦﴾ .

وسبب تلك المحنة ما ورد في تفسير الرازي والألوسي والخازن وغيره، أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر، وأحرقت كل قبطي بها، ولم تتعرض لبني إسرائيل، فهاله ذلك،

وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا: يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل".

والنعمة الثانية: أن الله تعالى شقّ لهم البحر، فنجّاهم وأهلك فرعون وملئه كما قال تعالى: { وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ } لَمَا ضَرَبَ مُوسَى (عس) البحر بعصاه بأمر ربّه لقوله تعالى في سورة الشعراء: { فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ } قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وقال: { فَأَنْجَيْنَاكُمُ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ }.

النعمة الثالثة: لَمَا واعد تعالى موسى (عس) وقومه عند جبل الطور بعد أربعين ليلة، فاستعجل موسى (عس) فذهب وحده بعد ثلاثين ليلة، فأضلّهم السامري، وعبدوا العجل لقوله تعالى في سورة طه: { وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى } قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ثم عفا عنهم كما قال تعالى: { وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا } مِنْ بَعْدِهِ } أَي بَعْدَ ذَهَابِهِ (عس) { وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ } بعصيان هارون (عس) كما قال تعالى في سورة طه: { وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي } ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ

عَلَيْهِ عَٰلِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ فقال تعالى: { ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }.

والنعمة الرابعة: أن آتاه الله تعالى موسى (عس) التوراة لعلهم يهتدون كما قال تعالى: { وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } والنعمة الخامسة: أن عفا الله تعالى عنهم بعد أن قاتلوا الذين عبدوا العجل منهم كما قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَتَقَوْمِ إِنَّا كُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } ﴿٥٤﴾ .

النعمة السادسة: أحيى تعالى السبعين رجلاً الذين اختارهم موسى (عس) بعد أن أهلكهم بالصاعقة لما طلبوا رؤية الله تعالى جهرة كما قال تعالى: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ﴿٥٦﴾ .

النعمة السابعة: أنزل تعالى عليهم المنّ وسلوى الطير ، وظللهم تعالى بالغمام بأرض التيه بسيناء ، كما قال تعالى: { وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِمَّنْ طَيَّبْتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا }

بمعاصيهم} وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ بإعراضهم عن هدي الله تعالى، ولعلمهم أن سنن الله تعالى ماضية في الناس لا يستثنى منها أحد في قوله في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } ﴿١٢٤﴾.

الملخص: -

عدد الله تعالى بعض النعم التي أنعمها على بني إسرائيل لعلمهم يسلمون، فبيّن تعالى أنه خلصهم من عبودية فرعون وقتل آبائهم، وفرّق لهم البحر فنجّاهم وأهلك فرعون وملئه، وعفا عنهم بعد عبادتهم العجل بقتال من عبده منهم، وآتاهم التوراة لعلمهم يهتدون، وأحيا تعالى السبعين رجلاً الذين اختارهم موسى (عس) بعد إهلاكهم بالصاعقة لما طلبوا رؤية الله تعالى جهرةً، وظلّهم بأرض التيه بسيناء بالغمام، أنزل عليهم المنّ والسلوى، فكان الأولى أن يسلموا.

(٥٨-٦١) بني إسرائيل قابلوا النعم بالمعاصي.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّن

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ \* وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا ۗ قَالَ آتَتْبِدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

في أرض التيه قابل بني إسرائيل نعم الله تعالى بالمعاصي، فأمضى تعالى فيهم سننه التي لا تتخلف عن أحد، وكان الأولى بعد أن نجّاهم الله تعالى من عبودية فرعون، وقتل الذكور من أبنائهم، وشقّ البحر لهم، وأهلك فرعون وملئه أن يشكروا نعمه ويذعنوا له ويستسلموا لهديه، ولكن لما أمرهم تعالى قائلًا: { وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ } أي بيت المقدس { فكلوا منها حيث شئتم رغداً } وافرًا { وادخلوا الباب سجداً } طائعين خاضعين مذعنين مستسلمين لحكمه تعالى وشرعه { وقولوا حطة } أي حط عنا خطايانا { نغفر لكم خطيكم } التي مضت { وسنزيد المحسنين }



إِحْسَانًا وَنِعْمَةً وَفَضْلًا { فَبَدَّلَ } وَغَيْرِ { الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا } وَفَعْلًا { غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ }.

يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ر ل ع) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا، وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ، فَبَدَلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمٍ وَقَالُوا حَبَّةً فِي شَعْرَةٍ" فَكَانَتْ عَقُوبَتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا } وَعَذَابًا { مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } فَأَهْلَكَهُمْ تَعَالَى بِالطَّاعُونَ كَمَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَلَمَّا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (ر ل ع) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ هَذَا الطَّاعُونَ رَجَزَ سُلْطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهَا، وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا".

فَكَانَتْ عَقُوبَتُهُمْ أَنْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ دُخُولَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي أَرْضِ سِينَاءَ، وَقَدْ فَصَّلَ تَعَالَى تِلْكَ الْحَادِثَةَ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ لَمَّا أَمَرَهُمْ مُوسَى (ع س) قَائِلًا: { يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ } ٢١ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ } ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا

عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾.

ثم ذكّرهم تعالى بنعمة أخرى فقال: {وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ الْمَاءَ مِنْ رَبِّهِ} لِقَوْمِهِ ۖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مِّنْ أَسْبَاطِهِمْ {مَّشْرَبُهُمْ} وأمرهم قائلاً: {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا} أي ولا يكن دابكم ومنهجمكم {فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}.

ثم ذكّرهم تعالى بنعمة أخرى فقال: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ} أي المن والسلوى من الطير، والذي يأتي به الله تعالى لهم {فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا} أي بقول الأرض {وَقَتَائِبَهَا} أي قرعها وخيارها {وَفُومِهَا} أي ثومها {وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا} خشية أن لا ينزل المن ولا يأتي الطير، ونسوا أن الزرع لا يخرج إلا بإذن الله تعالى، فاستنكر طلبهم ف{قَالَ أَتَسْتَبَدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ} وأقل قدرًا ومنفعة {بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} وأفضل وأجود، فوبخهم وعنفهم فقال: {أَهْبِطُوا} وانزلوا

مِصْرًا { بدل بيت المقدس، والتي كنتم تسامون فيها سوء العذاب } فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ<sup>ق</sup> وطلبتهم.

فكانت عقوبتهم قوله تعالى: { وَضُرِبَتْ } أي وطبعت وختمت { عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ } والمهانة { وَالْمَسْكَنَةُ } أي الحرص على الدنيا { وَبَاءُوا } أي ورجعوا { بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ } أولاً { كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } عناداً وعصياناً واستكباراً { وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }.

وقد علموا أن قتل نفس بغير حق ولو كانت كافرة كقتل الناس جميعاً لما قتل قابيل أخاه هابيل لقوله تعالى في سورة المائدة: { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ } ٣٢ وأعظم من قتل نفس كافرة بغير حق، قتل نفس مؤمنة، وأشنع من ذلك قتل نفس مؤمنة تأمر بالمعروف وتنتهي عن المنكر، وقتل نبي من الأنبياء أعظم بكثير من ذلك كله، ف { ذَلِكَ } أي الرجز والعذاب الذي حلَّ بهم { بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } على محارم الله تعالى وشرائعه،

ولذلك جعل تعالى الدعاء في سورة الفاتحة: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾  
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} ﴿٧﴾.

الملخص: -

بني إسرائيل قابلوا النعم بعظيم المعاصي، فيوم أمرهم تعالى دخول بيت المقدس طائعين مستغفرين، دخلوا يزحفون على أستاءهم وقالوا حبة في شعرة، فحرّم تعالى عليهم بيت المقدس أربعين سنة، ويوم استسقى لهم موسى (عس) الماء، فجرّ الله تعالى لهم إثني عشرة عينًا بعدد اسباطهم، وأمرهم أن لا يشيعوا الفساد في الأرض، وقالوا لموسى (عس) لن نصبر على طعام المن والسلوى، وادع لنا ربك أن يخرج لنا من بقل الأرض وقتائها وفومها وعدسها وبصلها، فضرب تعالى عليهم الذلة والمسكنة، وغضب الله تعالى عليهم جزاء كفرهم بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير الحق، والذي هو من أشنع وأبشع المعاصي.

(٦٢-٦٦) بيان القاعدة العامّة للإيمان وتحذير بني إسرائيل من الكفر

به ﷺ.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا  
 آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ  
 ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ  
 عَلِمْتُمْ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾  
 فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

بين الله تعالى القاعدة العامة لقبول الإيمان من الناس بعد بعثة  
 الرسول ﷺ بقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا } بما أنزل على محمد ﷺ  
 وَالَّذِينَ هَادُوا } أي اليهود الذين آمنوا بما أنزل على موسى (عس) {  
 وَالنَّصَارَى } أي الذين آمنوا بما أنزل على عيسى (عس) { وَالصَّابِئِينَ } من  
 عبدة الكواكب وغيرهم { مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ } ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا  
 رسولًا، وذلك لسببين: -

الأول: أن الله تعالى أرسل محمد ﷺ للناس جميعًا، وأمرهم بالإيمان  
 به في قوله تعالى في سورة الأعراف: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
 إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ  
 فَءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ  
 تَهْتَدُونَ } ﴿١٥٨﴾ .

والثاني: أن أحكام الإسلام وشرائعه مهيمنة على شرائع كل دين نزل من قبل لقوله تعالى في سورة المائدة: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ... } ﴿٤٨﴾ .

ثم قال تعالى: { وَالْيَوْمَ الْآخِرِ } أي وآمن باليوم الآخر للعرض والحساب { وَعَمِلَ صَالِحًا } في حياته بمقتضى ما جاء في الإسلام { فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ } العظيم { عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } في الدنيا { وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } في الآخرة لقوله تعالى في سورة يونس: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ﴿٦٤﴾ .

ثم ذكر تعالى بني إسرائيل بالميثاق الذي أخذه عليهم عند جبل الطور بالإيمان برسوله الأمي فقال: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ } الذي عاهدتم الله تعالى بالالتزام به { وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ } جبل { الطُّور } إنذاراً لكم للوفاء بعهدكم قائلاً: { خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ } أي في التوراة { بِقُوَّةٍ } وعزيمة دون تفريط في أي حكم من أحكامه وشرائعه ومواثيقه { وَأَذْكُرُوا } أي وتدارسوا { مَا } نزل { فِيهِ } من شرائع وأحكام ومواثيق أخذت عليكم { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }

في عقيدتكم وعباداتكم وأخلاقكم ومعاملاتكم، ولتتقوا سننه تعالى في الدنيا وعذابه يوم القيامة.

وقد فصل تعالى الميثاق الذي أخذه عليهم عند جبل الطور، والذي يأمرهم بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره، وأن يكونوا له عونًا وظهيرًا، وأن يتبعوا القرآن الذي معه ليكونوا من المفلحين كما قال تعالى في سورة الأعراف: {وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَآيِي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ \* وَأَكْتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ .

ومن المعلوم أنّ العهد الذي أخذ على بني إسرائيل كان في زمن موسى (عس)، وأن الخطاب في هذه الآيات لبني إسرائيل الذين عاصروا رسول الله ﷺ في قوله تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ} وأعرضتم ونقضتم الميثاق الذي أخذناه عليكم {مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} أي من بعد بعثته ﷺ {فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} لحلت عليكم سننه تعالى بالعقوبة، و{لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَسِرِينَ} في الدارين بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} ﴿١٢٤﴾.

ثم ذكّرهم بعقوبة أصحاب السبت إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ فقال: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ} جزاء {الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} عقوبة مخالفة حكم الله تعالى {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا} وعبرة {لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا} أي للذين كانوا معهم في القرية ومن جاورهم في زمانهم {وَمَا خَلَفَهَا} أي ومن يأتي بعدهم من الناس {وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} فسننه تعالى وجزاءاته ماضية في الناس إلى يوم القيامة لا يُستثنى منها أحد بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا



يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ وَمَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
أَعْمَى ﴿١٢٤﴾.

فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره، وإصرارهم على الكفر برسول الله ﷺ، ومناصرتهم للكفار والمشركين أخزاهم الله تعالى في الدنيا، فأخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة المنورة بعد أن كادوا أن يُنصّبوا أبي بن سلول ملكًا عليهم، ثم أُجلوا من جزيرة العرب ومن خيبر إلى الشام في عهد عمر بن الخطاب (رل ع).

الملخص: -

بيّن تعالى القاعدة العامة لقبول الإيمان من الناس بعد بعثة الرسول ﷺ، وذكر بني إسرائيل الميثاق والعهد الذي التزموا به لما رفع تعالى عليهم جبل الطور بالإيمان بمحمد ﷺ وتأيبده ونصره، والذي نكثوه عند بعثته ﷺ فعفى عنهم، ولكن ذكّرهم بعقوبة أصحاب السبت في القرية التي كانت حاضرة البحر لبيان أنّ العقوبة ليست محجوبة عنهم، فلما أصروا على الكفر بمحمد ﷺ أخزاهم الله تعالى، فأخرجهم ﷺ من المدينة المنورة، ثم أُجلوا من جزيرة العرب إلى الشام في عهد عمر بن الخطاب (رل ع) جزاء نقضهم ميثاقهم ومناصرتهم كفار قريش.

## (٦٧-٧٤) تذكير بني إسرائيل مماطلتهم في ذبح بقرة وتأكيدهم قسوة قلوبهم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا  
قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا  
هِيَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا  
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ  
صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظْرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ  
الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ  
لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَسْنَا  
جِئْنَا بِالْحَقِّ فذبحوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا  
وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ  
الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ  
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ  
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

ورد في سبب نزول الآيات ما ورد في سنن الإمام البيهقي عن عبدة السلماني قال: "كان في بني إسرائيل عقيم لا يولد له، وكان له

مال كثير، وكان بن أخيه وارثه فقتله، ثم احتمله ليلا حتى أتى به حياً آخرين فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم، حتى تسلحوا وركب بعضهم إلى بعض، فقال ذوو الرأي والنهي: على ما يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم، فأتوه فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا: أتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قال: "فلوا لم يعترضوا البقر لأجزاء عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال: "والله لا انقصها من ملء جلدها ذهباً"، فأخذوها بملء جلدها ذهباً، فذبحوها فضربوه ببعضها فقام، فقالوا: من قتلك؟ قال: هذا لابن أخيه ثم مال ميتا، فلم يعط بن أخيه من ماله شيئاً، ولم يُورث قاتل بعده".

من المعلوم أن تلك الحادثة كانت في زمن موسى (عس)، وأن الخطاب لبني إسرائيل الذين عاصروا رسول الله ﷺ لينتهوا عن سلوكهم ويؤمنوا به ﷺ، والله تعالى يعلم حقيقة خلقه أجمعين، كما يعلم حقيقة يهود الذين قال تعالى أنهم هم المغضوب عليهم، ولعنهم لقتلهم أنبيائهم وتحريفهم كلام الله تعالى، وقولهم لموسى (عس) اذهب أنت ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، لما أمرهم بدخول بيت المقدس، فأراد تعالى أن تكون حقيقتهم ظاهرة معلومة للرسول ﷺ والناس.

فذكر الله تعالى بني إسرائيل بتلك الحادثة ليكفوا عن نهجهم ويؤمنوا برسول الله ﷺ فقال تعالى: { وَإِذْ } أي وذكروا يا بني إسرائيل إذ { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً } لمعرفة قاتل الرجل الثري الذي تخاصمتم في قتله، وكان الأولى أن يقولوا سمعنا وأطعنا، وتنفيذ أمر رسولهم (عس) الذي أخرجهم من عبودية فرعون وقتل آبائهم، وقلق البحر لهم، وأهلك فرعون وملئه، ولكن { قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا } وسخرية، وتناسوا أن الأمر هو الله تعالى، ف { قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } فأمركم بما لم يأمر به الله تعالى، ولكن تشددوا ف { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ } ولم تكن هناك حاجة لمعرفة شيء عن البقرة، فإن أي بقرة تجزء، فشدد الله تعالى عليهم ف { قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ } أي لا كبيرة طاعن في السن { وَلَا بَكْرٌ } أي ولا صغيرة سن لم تُنجب { عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ } متوسطة في العمر { فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ } حالًا ولا تكثرُوا السؤال.

فتمادوا في تشددهم ف { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا } فشدد الله تعالى عليهم ف { قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ } صافي ناصع زاهي { لَوْنُهَا } مُبْهَجَةٌ { تَسْرُّ النَّظِيرِينَ } ثم تشددوا ف { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ } إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ } فشدد الله تعالى عليهم

ف} قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ { شغلي وعمل، أي معززة لم تذلل في الأعمال { تُثِيرُ الْأَرْضَ } من سمنها إذا مشت { وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ } والزرع { مُسَلَّمَةٌ } من كلِّ عيب { لَا شَيْءَ فِيهَا } أي لا شائبة فيها، ولا يخالط صفرتها لون آخر { قَالُوا أَلَكُنَّ جِئْتِ بِالْحَقِّ } وتناسوا المعجزات التي أظهرها الله تعالى على يد رسولهم (عس) حتى نجوا { فَذَبْحُوهَا } كرهاً { وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } لأنهم دفعوا ثمنها ذهباً ملئ جِلدها، وكان ذلك عقوبةً لهم بسبب تشددهم.

ثم قال تعالى { وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا } أي تدافعتم التهمة بينكم { وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } من المماطلة والجدل وحب التسوية، فذبحوها { فَقُلْنَا أضرِبُوهُ بِبَعْضِهَا } أي بأي شيء من بعضها، ولو شددوا لشدد الله تعالى عليهم { كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى } للحشر والحساب { وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ } ومعجزاته { لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } فتسلمون ليؤفي الله تعالى بعهدكم.

ثم قال تعالى: { ثُمَّ قَسَتْ } وصلبت { قُلُوبُكُمْ } ونزع منها اللين والرحمة والخشوع { مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ } أي من بعد تلك الحادثة { فَهِيَ } أصبحت { كَالْحِجَارَةِ } تكسر ولا تفتح { أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } أي من الحجارة، لا ينفعها دين ولا موعظة { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ } فينتفع منه الخلق {

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ { مِنَ السَّمَاءِ } مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ { وَمَخَافَتِهِ } وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ وتمكرون.

الملخص: -

اليهود هم الذين غضب الله تعالى عليهم ولعنهم، لقتلهم الأنبياء، وتحريفهم التوراة، وقولهم لنبيهم (عس) اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فذكّرهم تعالى بنهجهم عندما أمرهم بذبح بقرة لمعرفة قاتل الرجل الثري العقيم، فتشددوا فشدد الله تعالى عليهم حتى دفعوا ثمنها ذهباً ملئ جلدًا، فضربوا المقتول ببعضها فأحياه الله تعالى، فلما سأله عن قاتله قال هذا وأشار إلى ابن أخيه، فلم يُورث، ولم يُورث قاتل بعده، ثم بين تعالى أن قلوبهم قست وأصبحت كالحجارة أو أشد لا تنفعها موعظة ولا دين، وأن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار ومنها ما يخرج منه الماء ويهبط من السماء من خشية الله تعالى.

(٧٥-٨٢) بيان بعض أسباب غضب الله تعالى على بني إسرائيل.

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

يوجه الله تعالى الخطاب للمؤمنين قائلًا: { أَفَتَطْمَعُونَ } معشر المؤمنين بعد ما علمتم أن الله تعالى غضب على يهود لنقضهم موثيق الله تعالى، وكتمانهم الحق، وتلبيسهم الحق بالباطل، وكفرهم بآيات الله تعالى، وقتلهم الأنبياء بغير حق { أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ } فيكونوا مسلمين { وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ومن ذلك تغير صفة رسول الله ﷺ في كتبهم لما ورد تفسير القرطبي وغيره قال ابن إسحاق والكلبي: " كانت صفة رسول الله ﷺ في كتابهم رُبعة أسمر، فجعلوه آدم سبطًا طويلًا، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم:

انظروا إلى صفة النبي ﷺ الذي يبعث في آخر الزمان ليس يشبهه نعت هذا، وكانت للأحبار والعلماء رياسة ومكاسب، فخافوا إن بينوا أن تذهب مآكلهم ورياستهم، فمن ثم غيروا"، فغضب الله تعالى عليهم، وكانوا ينكرون النبوة في بني إسماعيل لما ورد تفسير الطبري عن السدي (بغياً) قال: "بغوا على محمد ﷺ وحسدوه وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل؟ فحسدوه أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده".

وتحريف ما بينه الله تعالى يوجب اللعن في الدنيا والآخرة، لأن فيه أذاً لله تعالى، لعمدتهم حجب الهداية عن الناس، وإسهاماً في ضلالهم لقوله تعالى في سورة الأحزاب: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا } ﴿٥٧﴾.

ومن أسباب غضب الله تعالى عليهم أنهم { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير زاد المسير وغيره قال مقاتل: كان المسلم يلقي حليفه أو أخاه من الرضاعة من اليهود فيسأله: أتجدون محمداً في كتابكم؟ فيقولون: نعم إنه لحق، فسمع كعب بن الأشرف وغيره فقال لليهود في السر: أتحدثون



أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، أي بما بين لكم في التوراة من أمر محمد ليخاصموكم به عند ربكم باعترافكم أنه نبي، أفلا تعقلون أن هذا حجة عليكم"، فردّ الله تعالى عليهم فقال: {أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}.

ومن غضب الله تعالى عليهم أن {وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ} أي لا يعلمون علم التوراة، وأن ما يدعونه ليس {إِلَّا أَمَانِي} يتمنونها وأكاذيب افتروها كما ورد في تفسير زاد المسير {وَإِنَّهُمْ} في الحقيقة {إِلَّا يَظُنُّونَ} ويفترون، فتوعدهم تعالى قائلاً: {فَوَيْلٌ} وعذاب شديد {لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} ومن عند أنفسهم ليضلوا الناس عن هدي الله تعالى {ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} كقوله تعالى في سورة آل عمران: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} فقالوا ذلك للمحافظة على رياستهم ومكاسبهم، و {لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} في الدنيا {فَوَيْلٌ لَهُمْ} وعذاب شديد في الدنيا {مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ} وافترت {وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} في الآخرة، ويستوجب اللعن في الدنيا والآخرة لأنهم يؤذون الله تعالى في حجب هديه للناس ويسهمون في ضلالهم لقوله تعالى في سورة الأحزاب: {

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وذلك تصديقًا لسنة الله تعالى في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى } ﴿١٣٤﴾ .

فغضب الله تعالى عليهم، وأمضى سننه فيهم، فاستحوذ عليهم الشيطان لينسيهم ذكر الله تعالى كما قال في سورة المجادلة: { أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } ﴿١٩﴾ وليضلهم الله تعالى عن هديه لقوله في سورة مريم: { قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا } ﴿٧٥﴾ .

ومن غضب الله تعالى عليهم أنهم يفترون على الله الكذب { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً } لما ورد في تفسير فتح القدير عن ابن عباس: أن اليهود كانوا يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نُعَذَّبُ بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودة ثم ينقطع العذاب، فكذبهم الله تعالى فقال: { قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا } بذلك { فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ } لكم { أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ثم بين تعالى الحق فقال: { بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً } كنقض موثيق

الله تعالى، وكتمانهم الحق بنبوة الرسول ﷺ، وكفرهم بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق { وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ } من كل وجه { فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.

الملخص: -

نَبَّهَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ قَائِلًا: أَفْتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنَ لَكُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ يَحْرِفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَلِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا لِحِفْظِ رِيَاسَتِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَكَذِبَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِمْ: لَنْ تَمْسُنَا النَّارُ إِلَّا إِيْمَانًا مَعْدُودَةً، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

(٨٣-٨٨) أمور بسببها غضب الله تعالى على بني إسرائيل.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا

مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دَيْرِكُمْ ثُمَّ  
 أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ  
 فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دَيْرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ  
 أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ  
 وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ  
 ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ  
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ  
 وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ  
 رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾  
 وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

من الأمور التي أدت إلى غضب الله تعالى على بني إسرائيل نقضهم  
 المواثيق كما قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } بفعل ثمانية  
 أمور، الأول { لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } والعبادة هي طاعة الله تعالى في كل  
 ما أمر، والانتهاه عن كل ما نهى ابتغاء مرضاته، ولنيل الحسن من  
 جزاءاته واجتناب عقوباته في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة  
 الأعراف: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ثانياً: {  
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} طيلة حياتهما، ثالثاً ورابعاً وخامساً {وَذِي الْقُرْبَىٰ  
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ} أي أن تحسنوا إليهم، سادساً {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}  
 كل ذلك لتعزيز العلاقات الاجتماعية في المجتمع، للوصول إلى إقامة  
 المجتمع الأمثل في الأرض، سابعاً {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} المكتوبة عليكم،  
 ثامناً {وَأَتُوا الزَّكَاةَ} المفروضة عليكم ليأمن الفقير على حياته والغني  
 على ثرواته {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ} عن كل ذلك {إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ}  
 عن هدي الله تعالى.

وأمر آخر أدى إلى غضب الله تعالى عليهم قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا  
 مِيثَاقَكُمْ} في التوراة {لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ} فلا يقتل بعضكم بعضاً  
 وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ} ومن على ملئتكم {مِنْ دِيَارِكُمْ} وديارهم {ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ}  
 بالوفاء بالعهد والالتزام بما ورد فيه {وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} على أنفسكم وتعلمون  
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ} في المدينة المنورة {وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا  
 مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ} وتتعاونون {عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} وأمر  
 آخر {وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ} فتأخذوا منهم الفدية بعد أسرهم {وَهُوَ  
 مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} من ديارهم.

وسبب نزول هذه الآيات ما ورد في تفسير فتح القدير " فكانوا إذا كان بين الأوس والخزرج حرب، خرجت معهم بنو قينقاع مع الخزرج، والنضير وقريظة مع الأوس، وظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يسفكوا دماءهم، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم.

فاستنكر الله تعالى عليهم فقال: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ } فتقيمون أحكامه وتلتزمون بشرعه { وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ } فيقتل بعضهم بعضاً { فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } وقد أخزاهم الله تعالى ثلاث مرات، أما الخزي الأول فقد أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة المنورة وارتحلوا إلى خيبر، وصادر رسول الله ﷺ حصونهم وما بقي من ممتلكاتهم وآلت للمؤمنين غنيمةً، والخزي الثاني كان عند فتح خيبر بعد أن تجمع فيها يهود المدينة مع يهود خيبر، وصادر رسول الله ﷺ جميع ممتلكاتهم وغنمها المسلمون، وصالحوه ﷺ على أن يعملوا في الزرع ولهم نصف ثمارها، وأن يخرجهم من خيبر متى شاء ﷺ، ذلك بسبب نقضهم موثيقهم مع رسول الله ﷺ، وتآمرهم على قتله ﷺ مع مشركي قريش، وتآليب الأحزاب عليه ﷺ وعلى المؤمنين لاستئصالهم من المدينة المنورة، والخزي الثالث أن أجلاهم عمر بن الخطاب من جزيرة العرب إلى الشام،

ولهم خزي آخر من عذاب شديد يوم القيامة كما قال تعالى: { وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ } في جهنم { وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } وتمكرون.  
ثم قال تعالى: { أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } للحفاظ زعامتهم ومكاسبهم الدنيوية، والتي باعوها بأرخص الأثمان { بِالْآخِرَةِ } ونعيمها { فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ } يوم القيامة { وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } من عذابه، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، وبذلك كله استحقوا لعنة الله تعالى في الدنيا والآخرة لأنهم يؤذون الله تعالى في حجب هديه للناس ويسهمون في ضلالهم لقوله تعالى في سورة الأحزاب: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا } ﴿٥٧﴾.

ومن أسباب غضب الله تعالى عليهم قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ } أي التوراة هدىً ونور { وَقَفَّيْنَا } أي وأرسلنا { مِنْ بَعْدِهِ } أي على أثره { بِالرُّسُلِ } الكثير كقوله تعالى في سورة المؤمنون: { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا ... } ﴿٤٤﴾ { وَعَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ } والحجج والبراهين { وَأَيَّدْنَاهُ } بالمعجزات ونصرناه { بِرُوحِ الْقُدُسِ } جبريل (عس) { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ } وأعرضتم وكفرتهم { فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } بغير حق.

ومن أسباب غضب الله تعالى عليهم كما قال تعالى: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ } أي لا تستوعب إلا التوراة، أو أنها مملوءة بالعلم ولا حاجة لها بغيره كما ورد في التفاسير، فرد الله تعالى عليهم فقال: { بَلْ } الحقيقة أن { لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } برسول الله ﷺ فأصمهم وأعمى أبصارهم عن دينه وهديته { فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } لكم كما هو الحال.

الملخص: -

من أسباب غضب الله تعالى على بني إسرائيل نقضهم موثيق الله تعالى كالإحسان إلى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، ونقضهم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومقاتلة بعضهم لبعض، وإخراجهم من ديارهم إثمًا وعدوانًا، وأخذ الفدية منهم، وقتلهم الرسل إن أرسلوا بما لا تهوى أنفسهم، وقولهم قلوبنا غلف، فلعنهم الله تعالى وأقام سننه فيهم وأخزاهم في الدنيا فأخرجوا من جزيرة العرب وصودرت ممتلكاتهم، ولهم العذاب الشديد يوم القيامة.

(٨٩-٩٣) من أسباب غضب الله تعالى على بني إسرائيل.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ  
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ



اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
 بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى  
 غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا  
 نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ  
 قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ \*وَلَقَدْ جَاءَكُمْ  
 مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا  
 مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا  
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ  
 إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

من أسباب غضب الله تعالى على بني إسرائيل أنه {وَلَمَّا جَاءَهُمْ  
 كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي القرآن العزيز {مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ} من التوراة التي  
 بين أيديهم {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ} بعثته ﷺ {يَسْتَفْتِحُونَ} به {عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا}  
 أي الأوس والخزرج لما كانوا أهل شرك {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا  
 بِهِ} أي بالقرآن وبرسول الله ﷺ {فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} حلت عليهم  
 بصم آذانهم وإعماء أبصارهم عن هدي الله تعالى كقوله تعالى في سورة  
 محمد: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ} ﴿٢٣﴾

وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير الطبري عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته! فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم! فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قوله: (ولما جاءهم كتاب من عند الله).

وسبب إنكارهم أنهم لا يريدون النبوة إلا في بني إسرائيل، لما ورد تفسير الطبري عن السدي (بغياً) قال: "بغوا على محمد ﷺ وحسدوه وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل؟ فحسدوه أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده".

فوبّخهم الله تعالى فقال: {بِئْسَمَا} الكفر الذي {أَشْتَرُوا بِهِ} أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} من القرآن {بَغِيًّا} وعدواناً {أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} من النبوة والرسالة {عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} كمحمد ﷺ {فَبَاءُوا} ورجعوا بكفرهم برسول الله ﷺ {بِغَضَبٍ} استجدّ عليهم {عَلَى غَضَبٍ} استحقوه من قبل في الدنيا بسبب نقضهم موثيق الله تعالى، وقتل بعضهم بعضاً،

وإخراجهم من ديارهم، وأخذهم الفدية منهم {وَاللَّكَفِرِينَ} في الآخرة {عَذَابٌ مُّهِينٌ}.

وسبب آخر لغضبه تعالى عليهم أنه {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} على محمد ﷺ {قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا} من التوراة {وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ} وما نزل من بعده {وَهُوَ الْحَقُّ} من عند الله تعالى، و {مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ} ف {قُلْ} لهم {فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ} بغير حق {إِنْ كُنْتُمْ} فعلاً {مُؤْمِنِينَ} بالتوراة وما أنزل إليكم؟

وقد استمرت محاولاتهم قتل الأنبياء من بعد موسى (عس) كما قال تعالى عنهم في سورة النساء: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...} ﴿١٥٧﴾ ومحاولاتهم قتل رسول الله ﷺ بوضع السم في الشاة، والتآمر بإلقاء حجر عليه ﷺ من على ظهر بيوت بني النضير، لما طلب ﷺ منهم اعانته لدفع فدية رجلين قتل خطأ، وتأليب الأحزاب عليه ﷺ لاجتثاثه من المدينة المنورة.

فحجهم الله تعالى بأمر آخر فقال: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ} والمعجزات {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ} معبودًا من دون الله تعالى {مِنْ بَعْدِهِ} أي

بعد ما ذهب موسى (عس) لمناجاة ربه على جبل الطور { وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ }  
بشرككم.

وأمر آخر لغضب الله تعالى عليهم قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا  
مِيثَاقَكُمْ } بالإيمان بمحمد ﷺ ونصره لما دعا موسى (عس) ربه كما  
قال تعالى في سورة الأعراف: { وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي  
الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ } قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ  
شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾  
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ  
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ  
فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا التَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ وَ أُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾.

ثم قال تعالى: { وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ } جبل { الطُّور } لتلتزموا بمواثيقكم التي  
أخذت عليكم فقال: { خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ } في التوراة { بِقُوَّةٍ } دون تفريط في  
أي شيء منها { وَأَسْمَعُوا } وأطيعوا، ف { قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا } فأخزاهم الله  
تعالى { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ } محبة عبادة { الْعِجَلِ بِكُفْرِهِمْ } أي بسبب

كفرهم، { قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ } الذي تَدَّعُونَ { إِن كُنْتُمْ } حقًا {  
مُؤْمِنِينَ} بما أنزل إليكم في التوراة، وبذلك حلت عليهم لعنة الله تعالى  
لقوله تعالى في سورة الأحزاب: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا } ﴿٥٧﴾.

الملخص: -

من أسباب غضب الله تعالى على بني إسرائيل أنهم كفروا برسول  
الله ﷺ وما أنزل عليه من عند الله تعالى مصداقًا لما معهم، رغم أنهم  
كانوا يستفتحون به على الذين كفروا قبل بعثته، فضاغف الله تعالى  
غضبه عليهم، وأحلّ عليهم لعنته بفعلهم، وحبب لهم عبادة العجل عقوبةً  
لهم، وأخزاهم تعالى فأخرجوا من جزيرة العرب.

(٩٤-١٠١) دحض مزاعم بني إسرائيل وبيان حقيقتهم.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا  
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ  
أَشْرَكُوا يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ  
يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ

عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ  
كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ  
لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ  
﴿٩٩﴾ أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا  
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

كذب الله تعالى كفرة بني إسرائيل بمحمد ﷺ الذين ادعوا أنهم أبناء  
الله وأحبائه، وأنهم يدخلوا النار أياماً معدودة، وأن الجنة خالصة لهم من  
دون الناس فقال: { قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ } ونعيمها حقاً { عِنْدَ  
اللَّهِ خَالِصَةٌ مِّنْ دُونِ } لا يشارككم فيها أحداً من { النَّاسِ } كما تدعون {  
فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ } في سبيله { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } بأنكم أبناء الله تعالى أحبائه،  
وأن الجنة خالصة لكم.

ثم بين تعالى حقيقتهم فقال: { وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا } أي الموت في سبيل  
الله تعالى رغم إيمانهم باليوم الآخر، وذلك { بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ } أي بسبب  
ما قدمت أيديه من نقضهم مواعيثهم، والميثاق الذي أخذ عليهم بالإيمان  
بمحمد ﷺ ونصره، وكتمانهم وتحريفهم الحق الذي أنزل عليهم، وشرائعهم

بآيات ثمنًا قليلًا، وتلبيسهم الحق بالباطل، وقتلهم الأنبياء بغير حق {وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} لا تخفى عليه خافية.

ثم قال تعالى عنهم: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ} جزمًا {أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ}  
مهما كانت، ولو كانت حياة ذلًا ومهانة حتى {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} الذين  
لا يؤمنون باليوم الآخر، {فَيَوَدُّ أَحَدُهُمْ} من بني إسرائيل {لَوْ يُعَمَّرُ} في  
الأرض {أَلْفَ سَنَةٍ} ولو رُدُّوا إلى أرذل العمر لكي لا يُعلم من بعد علم  
شيئًا {وَمَا} ذلك العمر الطويل {هُوَ بِمُزْحَازِحِهِ} ولا مبعده {مِنَ الْعَذَابِ} أن  
يُعَمَّرَ أي ولو عمّر ألف سنة، بسبب ما قدّمت أيديهم {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا  
يَعْمَلُونَ} أحصاه الله ونسوه.

ثم ردّ تعالى على زعمهم فقال: {قُلْ} لبني إسرائيل {مَنْ كَانَ عَدُوًّا  
لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ} أي نزل القرآن {عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} ومشيتته، وهو {  
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} من كتاب نزل قبله {وَهَدَى} وبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} إلى  
يوم القيامة، وسبب نزول هذه الآية ما ورد في تفسير زاد المسير عن بن  
عباس قال: أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: من يأتيك من الملائكة؟  
قال: جبريل، فقالوا: ذاك ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، فنزلت هذه  
الآية والتي تليها.

فبيّن تعالى أنّ عداوتهم لجبريل (عس) هي عداوة له تعالى، لأنّ الملائكة تعمل بأمره كما قال تعالى في سورة الأنبياء: { لَا يَسْبِقُونَهُ وَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } ﴿٢٧﴾ ولذلك قال: { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ } بالكفر برسله، والكذب عليه، وقتل أنبيائه { وَمَلَائِكَتِهِ } الذين لا يعصون الله ما أمرهم { وَرُسُلِهِ } إلى الناس { وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ } الموكلون بأمر الله تعالى { فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ } ويلعنهم كما قال تعالى في سورة المائدة: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } ﴿٧٨﴾.

وسننه تعالى ماضية فيهم، فتؤول نفقة أموالهم حسرة عليهم، ثم يغلبون في الدنيا لقوله تعالى في سورة الأنفال: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } ﴿٣٦﴾ فذهبت أموالهم حسرة عليهم وهزموا، وأخرجوا من جزيرة العرب، ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وهم وقود النار لقوله تعالى في سورة آل عمران: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ } ﴿١٠﴾.



ثم قال تعالى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ تَبَيَّنَ الْحَقُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَخْرُجُ مُرِيدِي الْإِيمَانِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ} الخارجون عن هدي الله تعالى عنادًا وعصيانًا، ثم استنكر تعالى عليهم فقال: {أَوْكَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ} ونقضه {فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} كما نقضوا المواثيق مع رسوله ﷺ حتى أخرجوا من مدينة رسول الله ﷺ {بَلْ} الحقيقة أن {أَكْثَرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} بسبب الختم على قلوبهم وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة لكي لا يصل هدي الله تعالى لأفهامهم لقوله تعالى في سورة البقرة: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ٧.

ثم أكد تعالى ذلك فقال: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} وما لا تهوى أنفسهم، و {مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ} من التوراة {نَبَذَ} ونقض {فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ} المنزل {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} عنادًا واستكبارًا، و {كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} أنه الحق من عند الله.

المُلخَص: -

كذب الله تعالى زعم يهود بأنهم أبناء الله وأحبائه، وأنهم يدخلوا النار أيامًا معدودة، وأن الجنة خالصة لهم من دون الناس، وبين أنهم يكرهون الموت، وأحرصهم على حياة مهما كانت، وذلك لكفرهم برسله ﷺ، وتحريفهم التوراة، وكذبهم على الله تعالى، وقتل الأنبياء بغير حق، واتخاذهم جبريل (عس) عدوًا لهم، فعاداهم الله تعالى، وغضب عليهم ولعنهم، وأمضى سننه فيهم فصدّهم عن هديه وسبيله.

(١٠٢-١٠٣) الاستنكار على بني إسرائيل اتباعهم ما تتلوا الشياطين  
وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كِنَّ  
الشَّيَاطِينِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ  
هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا  
تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ  
بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ  
عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ  
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو  
كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾

استنكر الله تعالى على بني إسرائيل اتباعهم ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان (عس) بعد موته، وكفرهم بالحق الذي أنزله تعالى على رسوله ﷺ، والذي أخذ تعالى العهد عليهم بالإيمان به ﷺ ونصره، وهم يعرفونه كما يعرفون آبائهم، وسبب كفرهم به ﷺ أنه لم يكن من بني إسرائيل لما ورد تفسير الطبري عن السدي " وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل؟ وغايتهم المحافظة على مكانتهم ومكاسبهم الدنيوية، فعملوا على إضلال الناس عن هدي الله تعالى فقال: { وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ } (عس).

أما ملك سليمان (عس) فليس كما ورد في كثير من التفاسير أن ملكه في خاتمه، أو كرسيه، أو ما تتلوا الشياطين، أو بين مصر وكابل، ولكن كما قال تعالى عنه عندما دعا (عس) ربه في سورة ص: { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَعَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) وكما قال تعالى في سورة النمل: { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ } (١٧) وكما قال تعالى في سورة سبأ: { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن

يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَأَلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾.

ويزعم يهود أن سليمان (عس) كان ساحرًا لما ورد في تفسير الطبري عن ابن إسحاق قال: "وذلك أن رسول الله ﷺ فيما بلغني لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين، قال بعض أحرار اليهود: ألا تعجبون من محمد! يزعم أن ابن داود كان نبياً! والله ما كان إلا ساحراً".

فردّ الله تعالى عليهم فقال: { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ } أي وما كان ساحراً { وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا } فهم الذين { يُعَلِّمُونَ النَّاسَ } أمرين، أولهما { السِّحْرُ } والثاني { وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ } من الله تعالى { بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ } والشياطين هم كفرة الجن، والذين يكذبون على الملكين مئة كذبة عند تعليمهم لأحد، لما ورد في مختصر صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ ناساً عن الكهان، فقال: "ليس بشيء"، قالوا: يا رسول الله! إنهم يحدثونا أحياناً بشيء فيكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن فيقترها في أذن وليه، فيخلطون معها مئة كذبة".

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ } مِمَّا أَنْزَلَهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا { حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ } وَابْتِحَارَ وَامْتِحَانُ { فَلَا تَكْفُرْ } بِتَعَلُّمِ مَا لَا يَنْفَعُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ { فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ } وَلَيْسَ لِلسَّاحِرِ قُدْرَةٌ عَلَى إِيقَاعِ السَّحْرِ عَلَى أَحَدٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي مَلِكِهِ تَعَالَى إِلَّا بِإِذْنِهِ وَعِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ وَعَدْلُهُ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: { وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه { ... وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ } وَأَيْنَمَا { أْتَى } ٦٦ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدْ عَلِمُوا } أَي بَنِي إِسْرَائِيلَ { لَمَنِ اشْتَرَاهُ } وَابْتِحَارَ تَعَلُّمُهُ { مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ } وَلَا جَزَاءَ حَسَنًا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ { وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } عِظَمَ خَسَارَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ { وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا } بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ { وَاتَّقُوا لِمَثُوبَةٍ } وَجَزَاءَ حَسَنًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُونُسَ: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ٦٢ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ٦٤ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ { مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ }

وهو { خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } فأحلّ الله تعالى لعنته عليهم في الدنيا والآخرة بسوء أعمالهم لقوله تعالى في سورة الأحزاب: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا } ﴿٥٧﴾.

الملخص: -

استنكر الله تعالى على بني إسرائيل اتباعهم ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان (عس) من السحر، وما تكذبه الشياطين على الملكين هاروت وماروت، ولقد علموا أنّ من اشتراه وتعلّمه ليس له جزاء حسن في الدنيا والآخرة، وبتعلمهم السحر استبدلوا الباطل بالإيمان برسوله ﷺ، وأعرضوا عن العهد الذي أخذه الله تعالى عليهم بالإيمان به ونصرة، والذي يعرفونه كما يعرفون آبائهم، وحلت عليهم لعنة الله في الدنيا والآخرة، ولو أنّ بني إسرائيل آمنوا لمتوبة وجزاء حسن من الله تعالى هو خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون.

(١٠٤-١٠٨) النهي عن سلوك يهود، وفضح حسد كفار أهل الكتاب والمشرّكين.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمَعُوا<sup>ط</sup> وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ

يُنزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ  
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ \* مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ  
مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكٌ  
الْأَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ  
تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ  
الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

ينهى الله تعالى المؤمنين عن سلوك يهود فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا }  
حقًا بالله ربًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا { لَا تَقُولُوا رَاعِنَا } كما تقول يهود،  
فالأرعن هو الأهوج والأحمق في منطقهم { وَقُولُوا أَنْظِرْنَا } وأمهلنا { وَأَسْمَعُوا }  
ما يأمركم الله تعالى به ورسوله ﷺ، ومختصر سبب نزول الآية ما ورد  
في تفسير الوسيط عن بن عباس في رواية عطاء: أن العرب كانوا  
يتكلمون بها، فلما سمعهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك، وكان  
قول راعنا في كلام اليهود سبًا قبيحًا، فقالوا: إننا كنا نسب محمدًا سرًا،  
فالآن أعلنوا السب لمحمد، فإنه من كلامه، فكانوا يأتون نبي الله ﷺ  
فيقولون: يا محمد راعنا، ويضحكون، ففطن بها سعد بن معاذ، وكان  
عارفًا بلغة اليهود، وقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفس محمد

بيده، لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه، فقالوا: أستم تقولونها؟  
فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا الْآيَةَ.

ثم قال تعالى: {وَاللَّكَافِرِينَ} برسول الله ﷺ {عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا  
والآخرة، فالله تعالى لا يحب الكافرين ولا يهديهم لدينه لقوله تعالى في  
سورة البقرة: {... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} ﴿٢٦٤﴾ ويتابع الله تعالى عليهم  
القوارع لقوله تعالى في سورة الرعد: {... وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ  
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا  
يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا  
ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} ﴿٣٢﴾ وبسبب إصرارهم على كفرهم أخرجهم  
الله تعالى من المدينة المنورة، ثم من جزيرة العرب، ولهم عذاب مهين في  
الآخرة كما قال تعالى في سورة البقرة: {... وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} ﴿٩٠﴾.

ثم فضح الله تعالى حسد كفّار أهل الكتاب والمشرّكين للمسلمين  
فقال: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} بمحمد ﷺ {وَمَا أَنزَلَ عَلَيْهِ} مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
وَالْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ} أدنى {خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} وكيف بهم  
وقد أنزل تعالى عليكم دينًا متكاملًا {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ} ودينه وفضله {  
مَنْ يَشَاءُ} فاخْتَصَّكُمْ بهذا الدين دون سائر الأمم تشریفًا لكم يا أمّة العرب  
كما قال تعالى في سورة الزخرف: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ



تَعْقِلُونَ} ﴿٣﴾ عظم هذا التشريف الذي شرفكم الله تعالى به {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ففضل عليكم بدينه وهدايته.

ثم قال تعالى: {مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ} كقوله تعالى في سورة النحل: {وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ...} ﴿١٦﴾ وللآية معاني أخرى كقوله تعالى في سورة المؤمنون: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً...} ﴿٥٥﴾ وتعني حجة وبرهان ومعجزة، وقد تعني دين لقوله تعالى في سورة المائدة: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...} ﴿٤٨﴾ فالإسلام ناسخ لأحكام الشرائع التي قبله.

ثم قال تعالى: {أَوْ نُنسِهَا} كما نسي الكثير من الكتب والصحف، كصحف إبراهيم وزبور داود وغيرهما {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} كالإسلام والذي هو هدى للناس، ورحمة للعالمين، ومصداقاً لكل هدي نزل قبله، ثم قال تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ} يا رسول الله ويا أيها المؤمنون {أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وقال تعالى لرسوله وللمؤمنين: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} وما فيهما وما بينهما، ولا يكون شيئاً في ملكه تعالى إلا بإذنه

وعلمه وعدله وحكمته ولا يظلم ربك أحداً { وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ } يتولى مصالحكم { وَلَا نَصِيرٍ } ينصركم، فأطيعوه وتوكلوا عليه.

ثم قال تعالى: { أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ } ﷺ لتؤمنوا بما أوحى إليه { كَمَا سِئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ } من يهود فقالوا: أرنا الله جهرة كما قال تعالى في سورة البقرة: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } ﴿٥٥﴾ فيعاقبكم كما عاقبهم { وَمَن يَتَّبِدِ الْكُفْرَ } ككفار أهل الكتاب { بِالْإِيمَانِ } الذي أنزله تعالى على رسوله ﷺ { فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } والهدي المستقيم.

الملخص: -

النهي عن التلفظ بألفاظ يهود كقولهم راعنا، وتأکید بغض وحسد كفار أهل الكتاب والمشرکین لمحمد ﷺ أن ينزل الله تعالى على العرب من أدنى خير من ربهم، فكيف وقد شرفهم الله تعالى واختصهم دون سائر الأمم بهذا الدين الخاتم والمهيمن على شرائع كل دين، والله تعالى لا ينسخ آية ولا تشريع إلا ويأتي بمثله أو خير منه، والله تعالى وليكم وناصركم ما التزمتم بشرائعه، أم تريدون أن تسألوا رسولكم ﷺ كما سأل يهود رؤية الله تعالى جهرة لتؤمنوا بما وعدكم، ومن يتبدل الكفر بالإيمان كما فعل كفار أهل الكتاب فقد ضلّ سواء السبيل والصرط المستقيم.

(١٠٩-١١٢) حسد كفّار أهل الكتاب للمسلمين ورغبتهم في إضلالهم،

وتكذيب مزاعمهم.

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا  
مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ  
اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا  
تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾  
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا  
بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ  
أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

بيّن الله تعالى حسد كفّار أهل الكتاب للمسلمين على منّة الله تعالى  
عليهم فقال: { وَدَّ } وتمنى وأحبّ { كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } اليهود والنصارى {  
لَوْ يَرُدُّونَكُمْ} ويصرفونكم عن دينكم الذي شرفكم به الله تعالى { مِّنْ بَعْدِ  
إِيمَانِكُمْ } بما أوحاه الله تعالى لنبيّكم ﷺ لترجعوا { كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ  
أَنْفُسِهِمْ } ولتتحول نعمة الله تعالى عنكم { مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } فيما  
أوحى لنبيّكم ﷺ { فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا } ما دامت تلك أمانيّ لم تظهر على  
ألسنتهم وأفعالهم لقوله تعالى في سورة الممتحنة: { لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ

الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرَهُمْ وَتُقْسَطُوا  
إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴿٨﴾.

أما إذا أعلنت تلك الأمانى على الألسنة وبانت في الأفعال فلا موالاة  
لقوله تعالى في سورة الممتحنة: { إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي  
الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ  
يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } ﴿٩﴾ وانتظروا { حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } ﴿١٠﴾ فيهم،  
وسننه تعالى قائمة فيهم بما يتناسب مع ما يصدر عنهم، فلما أصروا  
على عدائهم لله تعالى ولرسوله ﷺ أخرجهم الله تعالى من المدينة المنورة  
ثم أجلوا إلى الشام في عهد أمير المؤمنين عمر (رل ع) { إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

ثم قال تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ } المفروضة عليكم { وَءَاتُوا الزَّكَاةَ }  
لمستحقيها ليأمن الفقير على حياته، والغني على ثرواته للوصول إلى  
إقامة المجتمع الأمثل في الأرض { وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ سِوَا  
فِعْلِهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ } أو لم يفعله، كقوله تعالى في سورة المزمل: { ... وَمَا  
تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا } ﴿٣٠﴾  
ثم قال تعالى: { تَجِدُوهُ } وتجدوا أجره في الدنيا والآخرة { عِنْدَ اللَّهِ } لقوله  
تعالى في سورة النحل: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فِي  
الْآخِرَةِ { إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } فَاحْذَرُوا مَخَالَفَتَهُ.

ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى زَعْمِ كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَّا قَالُوا: { وَقَالُوا لَنْ  
يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا } فَقَالَ: { تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ } كَقَوْلِهِمْ فِي  
سُورَةِ الْمَائِدَةِ: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ } قُلْ فَلِمَ  
يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ فِي الدُّنْيَا بَسُنَّه { بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن  
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ  
الْمَصِيرُ } ﴿١٨﴾ ثُمَّ حَجَّهْمُ فَقَالَ: { قُلْ هَاتُوا بُرْهٰنَكُمْ } لَزَعْمِكُمْ بِأَنَّ الْجَنَّةَ  
خَالِصَةٌ لَّكُمْ { إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ }.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعْيَارَ الْعَامَّ لِاسْتِحْقَاقِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: { بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ  
وَجْهَهُ } مَنِ النَّاسِ { لِلَّهِ } فَأَطَاعَهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ، وَانْتَهَىٰ عَنِ كُلِّ مَا نَهَىٰ  
وَهُوَ مُحْسِنٌ } فِي عِبَادَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَمَعَامَلَاتِهِ { فَلَهُ } أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا  
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَمْضِي تَعَالَى سُنَّه  
فِيهِمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ: { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ  
تَقْوَاهُمْ } ﴿١٧﴾ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّٰلِحٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا } ﴿٩٦﴾ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ:

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ وتستغفر  
لهم حملة العرش كما قال تعالى في سورة غافر: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ  
وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا  
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ  
الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ  
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ  
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾.

### الملخص: -

بيّن الله تعالى وُدّ كثير من كفّار أهل الكتاب ردّ المسلمين كفاراً  
حسدًا لما حضاهم تعالى به من فضله، لتزول نِعْمه عنهم، وأمرهم بإقام  
الصلاة وإيتاء الزكاة ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، وكذب  
تعالى زعمهم بأنّ الجنة خالصة لهم، وبيّن تعالى أنّها خالصة لكل من  
يسلم وجهه لله تعالى من الناس وهو محسن فلا خوف عليهم ولا هم  
يحزنون في الدنيا والآخرة.

(١١٣-١١٨) استنكاره تعالى على أهل الكتاب تكفير بعضهم وزعمهم

اتخاذهم الولد.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرِيُّ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَيْسَتْ الْيَهُودُ  
عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ  
فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن  
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ  
أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ  
﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ  
﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ  
قَنِينٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ  
فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ  
قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

استنكر الله تعالى على أهل الكتاب تكفير بعضهم فقال: { وَقَالَتِ

الْيَهُودُ } في المدينة المنورة { لَيْسَتْ النَّصْرِيُّ عَلَى شَيْءٍ } من دين الله تعالى {

وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ } من دين الله تعالى، ومختصر

سبب نزول الآية ما ورد في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: لما قدم

أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى ابن مريم وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شيء، وجدد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) إلى قوله: (فيما كانوا فيه يختلفون).

ثم قال تعالى: { وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ } أي رغم أن كلا منهما يتلو الكتاب المنزل عليه، والذي يصدق نبوة موسى وعيسى عليهما السلام، ثم قال تعالى: { كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } من مشركي العرب { مِثْلَ قَوْلِهِمْ } في رسول الله ﷺ، كقولهم ساحر أو مجنون { فَأَلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ } جميعاً { يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }.

ثم استنكر تعالى على النصارى فقال: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُ رَسُولِهِ } لما ورد في تفسير الطبري عن مجاهد: أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه، فقال تعالى: { أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.



ومختصر الخزي الذي لحق بالنصارى في الدنيا بسبب طرح الأذى في بيت المقدس ومنع اليهود من الصلاة فيه، أنّ المسلمين هزموهم في معركة اليرموك في العام الخامس عشر الهجري في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رل ع)، وفتحوا بيت المقدس في العام السادس عشر الهجري، واستلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رل ع) مفاتيح البيت، فطهر بيت المقدس مما أصابه من الأذى، وسمح لليهود بزيارة بيت المقدس وممارسة شعائرهم بعد إجلائهم من جزيرة العرب.

ثم قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } ومختصر سبب نزول الآية ما ورد في تفسير الطبري قولان، الأول أنّ الرسول ﷺ خرج مع أصحابه في سفر ونزل عليهم الغمام فصلوا، ولما انكشف الغمام تبين لهم أنّ صلاتهم لم تكن نحو القبلة فعذرهم الله تعالى، والثاني أنّها نزلت عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة لما زعم يهود أنّ صلاة المسلمين لبيت المقدس باطلة وذهب أجرها، فبين تعالى أنّ كلتا الوجهتين له تعالى، وأنه لا يضيع أجر صلاة المسلمين لبيت المقدس في قوله تعالى في سورة البقرة: {... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ} بِرَحْمَتِهِ لَخَلْقِهِ {عَلِيمٌ} بِأَعْمَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَقَالُوا} أَي كَفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ {أَتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} كَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ... ﴿٣٠﴾ فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى قَائِلًا: {سُبْحَانَكَ} أَي تَقْدُسُ وَتَنْزَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَلرَبِّمَا أَرَادَ كَفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِزَعْمِهِمْ ذَاكَ الرَّفْعَ مِنْ شَأْنِهِمْ بِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَمْ أَتْبَاعُ أَبْنَاءِ اللَّهِ، بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَاسْتَنَكَرَ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلًا: {بَدِيعُ} أَي الْمُبْدِعُ لَخَلْقِ {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أَوْ نَسَقٍ مَسْبُوقٍ {وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا} لِيَكُونَ فِيهِمَا {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ} فَلَا حَاجَةَ لَهُ بِالْوَلَدِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} أَي مِنْ كَفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ {لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ} بِخُصُوصِنَا {أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَتُؤْمِنَ {كَذَلِكَ} قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ {مِنَ الْأُمَمِ} مِثْلَ قَوْلِهِمْ {وَشَرَطَهُمْ} تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ {وَرِغْبَاتِهِمْ} قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ {وَالْمُعْجَزَاتِ وَالْحُجُجِ} وَالْبِرَاهِينَ عَلَى صَدَقَةِ ﷺ {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} بِاللَّهِ تَعَالَى.

الملخص: -

استنكر الله تعالى على اليهود والنصارى تكفير بعضهم رغم أنهم يتلون كتبهم التي تُصدق نبوة موسى وعيسى عليهما السلام، واستنكر على النصارى منع عمارة بيت المقدس والسعي في خرابه، وأخزاهم تعالى في الدنيا بفتح المسلمين للبيت وتطهيره والسماح لليهود بممارسة شعائرهم، واستنكر على كفّار أهل الكتاب نسبة الولد له تعالى وطلبهم أن يكلمهم الله تعالى أو تأتيهم آية ليؤمنوا برسوله ﷺ، وقد جائهم تعالى بالبراهين والمعجزات بصدقه ﷺ.

(١١٩-١٢٣) تأكيد بعثته ﷺ، ورغبة كفّار أهل الكتاب تبعية المسلمين لدينهم، وتحذير بني إسرائيل.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۗ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ

﴿١٢٢﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

أكد تعالى صدق نبوة رسوله ﷺ فقال: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ } والصدق والعدل وبالدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه { بَشِيرًا } للمؤمنين في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ﴿٩٧﴾ في الآخرة { وَنَذِيرًا } لمن أعرض وكفر لقوله تعالى في سورة الزمر: { كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } ﴿٢٦﴾ ثم قال تعالى: { وَلَا تَسْأَلْ عَنِّ } كفر وضلال { أَصْحَابِ الْجَحِيمِ } المعاندين المستكبرين لقوله تعالى في سورة الأنعام: { ... وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ } ﴿١٠٧﴾ ليؤمنوا.

أما دعوة الناس وتبليغ الدين البلاغ المبين فهو واجب يشترك فيه جميع المسلمين، لقوله تعالى في سورة يوسف: { قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحٰنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ﴿١٠٨﴾ حيث بين الله تعالى أن تبليغ الدين من أحسن الأعمال لقوله تعالى في

سورة فصلت: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } ﴿٣٣﴾ وبالحكمة والموعظة الحسنة لقوله تعالى في سورة النحل: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } ﴿١٢٥﴾ ولو بتبليغ آية كما أمر رسول الله ﷺ حتى يدخل الإسلام كل بيت لما ورد في مسند الإمام أحمد عن تميم الداري قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزَّ عَزِيزٍ أَوْ بَذُلَّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ " .

ثم قال تعالى: { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ } وعن دينك وشريعتك { أَلْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى } تترك دينك و { تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } ودينهم، ف { قُلْ } ردًّا عليهم { إِنَّ هُدَى اللَّهِ } المنزل على رسوله ﷺ { هُوَ الْهُدَى } الحق، والذي يعلمونه لقوله تعالى في سورة البقرة: { ... وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } ﴿١٤٤﴾ ثم قال تعالى { وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ } ودينهم وشرعهم { بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } ف { مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ } يرا مصالحكم { وَلَا نَصِيرٍ } ينصركم على عدوكم لقوله تعالى في سورة

آل عمران: { إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } ﴿١٦٠﴾.

ثم قال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ } من اليهود والنصارى، و { يَتْلُونَهُ } أي يتلون التوراة والإنجيل { حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } ﷺ كمن آمن من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وغيره، كونهم يعرفونه كما يعرفون ﷺ آبائهم لقوله تعالى في سورة الأنعام: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ } كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } ﴿٢٠﴾ ثم قال تعالى: { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران: { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } ﴿١٢٠﴾.

ثم حذر الله تعالى بني إسرائيل فقال: { يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } بجعله تعالى فيهم أنبياء وملوكًا لقوله تعالى في سورة المائدة: { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَعَآتَكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } ﴿٢٠﴾ ثم حذرهم تعالى الآخرة فقال: { وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا } ولو كان ذا قربى لقوله تعالى

في سورة فاطر: { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ... } ﴿١٨﴾ ثم قال تعالى: { وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ } ولا فداء، ولو كان ملء الأرض ذهباً لقوله تعالى في سورة آل عمران: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ أَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ } أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ } ﴿٩١﴾ ثم قال تعالى { وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ } كقوله تعالى في سورة المدثر: { فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } ﴿٤٨﴾ { وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } من عذاب الله تعالى في جهنم.

الملخص: -

أكدّ تعالى صدق نبيه ﷺ، وأنّ الأمة ليست مسؤولة عن كفر أصحاب الجحيم، ولكن مسؤولة عن تبليغ الرسالة للناس أجمعين، وبينّ تعالى أنه لن يرضى كفّار أهل الكتاب عن دينه ﷺ حتى يتبع ملتهم وأهوائهم، وإنّ الذين يتلون الكتاب منهم يعلمون أنّه الحق من ربهم، ثمّ حذّر الله تعالى بني إسرائيل الآخرة يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، ولا تنفعا شفاعاة، ولا يؤخذ منها عدل، ولا ينصرون من عذاب الله تعالى.

(١٢٤) التذكير بابتلاءات إبراهيم (عس) وبيان إتمامه ما كُلف به  
 وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ  
 وَمِن ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

ورد في بعض التفاسير في قوله تعالى { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ  
 بِكَلِمَاتٍ } أن من البليات تقليم الأظفار، وقصُّ الشَّارِبِ، والسَّوَالِكِ، وغَسْلُ  
 يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وفيه نظر، بل هي من الفطرة لما ورد في صحيح الإمام  
 مسلم عن عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ  
 الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَالِكِ، وَاسْتِنْسَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ،  
 وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ" قَالَ زَكَرِيَّا:  
 قَالَ مُضْعَبٌ: وَنَسِيْتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ، كما ورد في  
 بعض التفاسير أن من البليات التي ابتلي بها إبراهيم (عس) الطواف  
 بالبيت، والسعي بن الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة من الحج،  
 وهي من مشاعر الحج.

وورد في تفسير الطبري أن البليات كانت إقامة الدين، وهو الأرجح،  
 وقد بذل جهده (عس) في دعوة الناس للإيمان بالله وحده، وقام بما وجب  
 عليه على أحسن وجه فقال تعالى: { فَأَتَمَّهُنَّ } وكما قال تعالى في سورة  
 النجم: { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } ﴿٣٧﴾.



فحاجَّ إبراهيم (عس) الملك النمرود على أن الحياة والممات بيد الله تعالى كما قال تعالى في سورة البقرة: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } ﴿٢٥٨﴾ .

وبين (عس) لعمه أزر وقومه أن الأصنام والأفلاك لا يمكن أن تكون آلهة وتبرئ من عبادتها كما قال تعالى في سورة الأنعام: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَحِبُّ الأَفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ﴿٧٩﴾ .

وتبرأ من عمه لما أصرَّ على الشرك كما قال تعالى في سورة التوبة: { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } ﴿١١٤﴾ أما والديه (عس) فقد استغفر

لهما على كبره كما قال تعالى في سورة إبراهيم في قوله: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي  
مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ  
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } ﴿٤١﴾ .

وبين (عس) لعمه وقومه أن الأصنام لا تسمع ولا تنفع ولا تضر،  
وأعلن عداوته لها كما قال تعالى في سورة الشعراء: { وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ  
إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا  
عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ  
﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ  
﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } ﴿٧٧﴾ .

وبين (عس) لقومه أن عبادتهم للأصنام ليست إلا للمودة التي بينهم،  
وأنهم سيتبرؤون من بعضهم ويلعن بعضهم بعضًا يوم القيامة وتدخلهم  
النار كما قال تعالى في سورة العنكبوت: { وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ  
أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ  
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ } ﴿٢٥﴾ .

ولمّا أكثر (عس) في دعوته لعمه وقومه هدده عمّه بهجره ورجمه  
 كما قال تعالى في سورة مريم: { يَا بَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ  
 لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا بَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ  
 لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا بَرَاهِيمُ لَمَّ تَتَنَّهُ  
 لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ .

وكلمة أب تستخدم لغير الوالدين كقوله تعالى في سورة يوسف: {  
 فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ  
 ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ... ﴿١٠٠﴾ } فعبّر تعالى بأبويه رغم أنّ المرأة  
 زوجة أبيه، وليست أمّه.

فلمّا أصرّ قومه على عبادة الأصنام أقسم (عس) أن يحطمها، فألقى  
 في النار، فجعلها تعالى بردًا وسلامًا كما قال تعالى في سورة الأنبياء: {  
 وَتَأْتِيهِمُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جَذَاًا إِلَّا  
 كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ } قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِءَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ  
 الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ  
 عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِءَالِهَتِنَا  
 يَا بَرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُو كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾  
 فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ

لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

فهاجر (عس) من بابل إلى بيت المقدس كما قال تعالى في سورة العنكبوت: { فَأَمَنَ لَهُ و لُوْطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ﴿٢٦﴾ .

ثم هاجر إلى مكة مع زوجته هاجر وابنه إسماعيل، وعزم (عس) على تنفيذ رؤيا ذبح ابنه إسماعيل (عس) رغم كبره، وذلك هو البلاء المبين، ففداه الله تعالى بذبح عظيم كما قال تعالى في سورة الصافات: { فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١٦﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١١٧﴾ قَالَ يَآبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١١٨﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١١٩﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٢٠﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّعْيَاءَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢٢﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٣﴾ .

فرضي الله عنه { قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } أي نبياً قدوةً، ناسخاً لدين من قبله { قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي } أي وجعل كذلك من ذريتي أئمةً للناس،

فبين الله تعالى السنة في اصطفاء الأنبياء {قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي} ونبؤتي {الظَّالِمِينَ} أي وإن كان من ذريتك، ولكنها للمؤمنين المخلصين من ذريته (عس).

الملخص: -

أكد تعالى وفاء إبراهيم (عس) بكامل ما أرسل من أجله للإيمان بالله تعالى، فحاجَّ النمرود وعمه وقومه وحطَّم الأصنام، فنجاه تعالى من النار، وعزم على تنفيذ رؤيا ذبح ابنه إسماعيل (عس) رغم كِبَره، ففداه تعالى بذبح عظيم.

(١٢٥-١٢٩) تأكيد جعل البيت مثابة للناس، وبيان العهد الذي أخذ على إبراهيم وإسماعيل، والتذكير بأدعيته وابنه إسماعيل (عس).

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ  
وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ  
السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن  
الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا  
ثُمَّ أَصْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ  
مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا

وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

قال تعالى: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ } أي واذكروا يا بني إسرائيل يوم جعل الله تعالى البيت الحرام { مَثَابَةً } ومرجعاً { لِلنَّاسِ } لصلاتهم وحجهم وعمرتهم، من آدم (عس) إلى يوم القيامة، فهو أول بيت وضع للناس، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أَبِي ذَرِّ (رل ع) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ: أَرْبَعُونَ، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكْتِكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ".

ثم قال تعالى: { وَأَمَّنَّا } أي واذكروا يا بني إسرائيل يوم جعل تعالى البيت أمناً، كما قال تعالى في سورة آل عمران: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا... } ﴿٩٧﴾ منذ خلق تعالى السماوات والأرض، لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن مجاهد أن رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال: "إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى

يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تُحلَّ لي قط إلا ساعة من الدهر، لا يُنْفَرُ صيدها، ولا يُعَضد شوكتها، ولا يختلى خلاها (أي لا يقطع النبات الرقيق ما دام رطباً) ولا تحلُّ لقطتها إلا لمنشد، فقال العباس بن عبدالمطلب: إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لا بد منه للقين (أي للحداد) والبيوت، فسكت ثم قال إلا الإذخر فإنه حلال"، وفي هذه الآيات حجة على بني إسرائيل لسبب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى أول بيت وضع للناس.

ثم أمر تعالى هذه الأمة فقال: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ} وكان المسلمون لا يصلون خلف مقام إبراهيم (عس) كونه يحول بينهم وبين الكعبة، وهذا من موافقات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رل ع) لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أنس (رل ع) قال: قَالَ: قَالَ عُمَرُ: "وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ، فَنَزَلَتْ {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ} وَآيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؛ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبُرِّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ} فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ».

ثم بين تعالى العهد الذي أخذه على إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فقال: { وَعَهْدَنَا } أي واذكروا يا بني إسرائيل يوم عهدنا { إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } ثم قال: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } { قَالَ } تعالى: { وَمَنْ كَفَرَ } أي وأرزق من كفر { فَأَمْتَعُهُ قَلِيلًا } في الدنيا { ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } يوم القيامة.

ثم ذكر الله تعالى بدعوة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - عند رفعهما قواعد البيت قائلاً: { وَإِذْ } أي واذكروا يا بني إسرائيل يوم { يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الذي لا تخفى عليه خافية { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ } ممتثلة لأمرك ونهيك { وَأَرِنَا } أي وعلمنا { مَنَاسِكَنَا } أي كل ما يتقرب به من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات { وَتُبَّ عَلَيْنَا } أي واقبل توبتنا { إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } لخلقنا { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ } إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ { فاستجاب لهما وبعث محمد ﷺ خاتماً للمرسلين، تشریفاً له ولأمتة كما قال تعالى في سورة آل عمران: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ



إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ۚ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

الملخص: -

بيان العهد الذي أخذ على إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام -  
بتطهير البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود، واستجابة دعوتهما  
برزق أهله من الثمرات، ولدعوتهما أن يبعث في ذريتهما رسول يتلوا  
عليهم آياته ويذكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعث الله تعالى الرسول  
محمد ﷺ للناس أجمعين تشریفًا له ولأمته.

(١٣٠-١٣٤) بيان أن من السفاهة الرغبة عن ملة إبراهيم (عس)،  
والإشارة إلى وصيته ويعقوب (عس) لبنيه.

وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي  
الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ  
أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ  
اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ  
حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ  
وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

لا زالت الآيات معطوفة على بني إسرائيل، حيث يحذّرهم الله تعالى  
الكفر بالرسول ﷺ قائلا: { وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ { وَلَمْ يَحْرَصْ عَلَى، وَلَمْ يَطْمَع  
فِي، وَيَصِدْ عَنِ { مِلَّةٍ } وَدِينِ { إِبْرَاهِيمَ } (عَس) { إِلَّا مَنْ سَفِهَ } وَجَهَّلَ }  
نَفْسَهُ } وَأَهْلَكَهَا، فَأَمِنُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدِينِ إِبْرَاهِيمَ (عَس) وَالَّذِي تَدْعُونَ  
الانتماء إليه هو الإسلام لقوله تعالى عنه في سورة البقرة: { رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا  
مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ  
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } ﴿١٢٨﴾.

والإسلام يعني الاستسلام التام لأمر الله تعالى في كل ما أمر وكل  
ما نهى، من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، وإسلام الوجه لله تعالى  
هو التمسك بالعروة الوثقى لقوله تعالى في سورة لقمان: { وَمَنْ يُسَلِّمْ  
وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ  
الْأُمُورِ } ﴿٢٢﴾.

ثم قال تعالى: { وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ } وختارناه واجتبيناه { فِي الدُّنْيَا } قدوة  
للنَّاسِ { وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } عند الله تعالى وفي زميرهم، وذلك

بسبب أنه { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَسْلِمْتُ } وجهك وأمرك وشأنك لله، { قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }.

ولم يكن إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان مسلمًا، والمسلمون هم أولى الناس به لقوله تعالى في سورة آل عمران: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } ﴿٦٨﴾.

ثم قال تعالى: { وَوَصَّي بِهَا } أي بإسلام الوجه لأمر الله تعالى عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملات { إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ } أي إسماعيل وإسحاق - عليهما السلام - { وَيَعْقُوبُ } أي وكذلك وصَّى يعقوب (عس) بنيه فقالا: { يَبْنِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى } واختار واجتبا { لَكُمْ } إقامة { الدِّينِ } عقيدة وعبادة وأخلاقا ومعاملات { فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } مستسلمين لما شرعه الله لكم، فلا مبرر لكفركم برسول الله محمد ﷺ، وقد بعثه الله تعالى لكل الناس لقوله تعالى في سورة الأعراف: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا }

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ  
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾.

والإسلام مهيمن على كل دين، وليحكم بين الناس لقوله تعالى في  
سورة المائدة: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ  
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا  
جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ... } ﴿٤٨﴾ والإسلام هو الدين الناسخ لشرائع كل دين، وخير  
منها لقوله تعالى في سورة البقرة: { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ } وكل دين آية من  
الله تعالى { أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا } والإسلام خير منها { أَوْ مِثْلَهَا } أَلَمْ تَعْلَمْ  
أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾.

والإسلام خير من ملهم فهو رحمة للعالمين لقوله تعالى في سورة  
الأنبياء: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ﴿١٠٧﴾ ويأمر أهل الكتاب  
بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم  
الخبائث، ويضع عنهم ما شدد عليهم من إصر، وما شدد عليهم من  
أغلال الأحكام التي كانت عليهم لقوله تعالى في سورة الأعراف: { الَّذِينَ  
يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ  
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ }  
١٨٠

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ .

ثم قال تعالى: { أَمْ كُنْتُمْ } يا بني إسرائيل { شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ } على فراش { الْمَوْتِ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي } ووفاتي { قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ } فلا حجة لكم يا بني إسرائيل الكفر برسول الله ﷺ .

ثم حذرهم الله تعالى قائلا: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ } ومضت قدوة للناس { لَهَا مَا كَسَبَتْ } من إسلام الوجه لله تعالى { وَلَكُمْ } يا بني إسرائيل { مَا كَسَبْتُمْ } من كفر برسوله ﷺ وعدم اتباعه، وسننه تعالى لا تتخلف عن أحد ممن كفر كما قال تعالى في سورة فاطر: { ... وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا } ﴿٣٩﴾ ثم قال تعالى: { وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } ﴿٣٨﴾ كما قال تعالى في سورة المدثر .

الملخص: -

يؤكد تعالى لبني إسرائيل أنّ من السفاهة الإعراض عن ملة إبراهيم (عس)، وقد اصطفاه الله تعالى في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين،

حيث إنه لم يتردد في الإيمان والانقياد إلى الله تعالى، وقد وصّى إبراهيم بنيه أن لا يموتوا إلا على الإسلام، وكذلك وصّى يعقوب (عس) بينة، فلا حجة لبني إسرائيل كفرهم برسول الله ﷺ، ثم حذرهم تعالى سننه التي لا تتخلف عن أحد ممن كفر فكل نفس بما كسبت رهينة.

(١٣٥-١٤١) تنفيذ دعوة كفار أهل الكتاب وبيان أن الحق في اتباع ملة إبراهيم (عس).

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا  
تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾

يعجب تعالى من تمادي كفار أهل الكتاب في الإعراض عن هديه  
المنزل على رسوله ﷺ فقال: { وَقَالُوا } أي كفار أهل الكتاب للمسلمين {  
كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا} وسبب نزول هذه الآية ما ورد في تفسير  
الطبري عن ابن عباس قال: " قال عبدالله بن سوريا الأعور لرسول الله  
ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى  
مثل ذلك " فكذبهم الله تعالى فقال: { قُلْ بَلْ } الهدى في { مِلَّةَ } ودين { إِبْرَاهِيمَ }  
حَنِيفًا { متشبثا بالإسلام معرضًا عن سواه { وَمَا كَانَ } إبراهيم (عس) { مِنْ  
الْمُشْرِكِينَ } كما أشرك أهل الكتاب في قولهم في سورة التوبة: { وَقَالَتِ  
الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ } وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ  
يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } ﴿٣٠﴾ .

ولذلك كفرهم الله تعالى بشركهم كما قال في سورة المائدة: { لَقَدْ  
كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ  
أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ  
وَمَا أُونَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ و { قُولُوا } معشر المسلمين { ءَامَنَّا  
بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} لله تعالى عقدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملات.

ثم قال تعالى: {فَإِنْ ءَامَنُوا} أي كفّار أهل الكتاب {بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ  
بِهِ} معشر المسلمين {فَقَدْ أَهْتَدَوْا} لدين الله تعالى {وَإِنْ تَوَلَّوْا} وأعرضوا  
فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ} وخلاف وعداء لكم {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} ويمنع شرهم  
وعدائهم ومكرهم {وَهُوَ السَّمِيعُ} لكل شيء {الْعَلِيمُ} الذي لا تخفى عليه  
خافية، وقد كفى الله تعالى المسلمين شرّ كفّار أهل الكتاب تصديقاً لوعده  
تعالى في سورة النور: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ  
الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي  
شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ٥٥ فهزمهم المسلمون  
وأخرجوهم من المدينة المنورة ومن جزيرة العرب.

والإسلام هو {صِبْغَةَ اللَّهِ} ودينه الذي ارتضاه لخلقه {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ  
اللَّهِ صِبْغَةً} ودينًا للناس {وَنَحْنُ} معشر المسلمين {لَهُ عِبِدُونَ} و{قُلْ}  
لكفّار أهل الكتاب {أَتُحَاجُّونَنَا} وتجادلوننا وتخاصموننا {في اللَّهِ} ودينه  
الذي أنزله علينا {وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَّا} جزاء {أَعْمَلْنَا} في الدنيا والآخرة



وَأَكْفَرُكُمْ} جزاء {أَعْمَلُكُمْ} وكفركم برسوله ﷺ ونقضكم الميثاق الذي أخذ عليكم بالإيمان به ﷺ ونصره {وَنَحْنُ} معشر المسلمين {لَهُ وَمُخْلِصُونَ}.

ثم استنكر عليهم تعالى فقال: {أَمْ تَقُولُونَ} وتدعون {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى} فأنتم متمسكون بدينهم، ف{قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ} بدينهم {أَمْ اللَّهُ} تعالى؟ {وَمَنْ أَظْلَمُ} أي ولا أحدٌ أظلم {مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ} كما كتموا بعثة رسول الله ﷺ، والذي يعرفونه كما يعرفون آبائهم كما قال تعالى في سورة البقرة: {الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ﴿١٤٦﴾ وقد أخذ تعالى عليهم الميثاق بالإيمان به ﷺ ونصره لقوله تعالى في سورة آل عمران: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} ﴿٨١﴾.

ثم أمرهم تعالى فقال: {وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ} على رسولنا ﷺ {مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ} من التوراة والإنجيل {وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِءَ} وبرسوله ﷺ ودينه فيحق عليكم عذابه {وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي} التي أنزلتها عليكم {ثَمَنًا}

قَلِيلًا { ﷺ للمحافظة على مصالحكم الخاصة ومكانتكم الدنيوية } وَإِيَّيَ فَاتَّقُونِ { فسِنَّه تعالى لا تتخلف عن أحد بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، وإشقاء من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: { ... فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى } ﴿١٢٤﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } وتمكرون ف { تِلْكَ أُمَّةٌ } آمنت بالله تعالى ورُسوله { قَدْ خَلَتْ } ومضت بإيمانها وأعمالها الحسنة { لَهَا مَا كَسَبَتْ } من خير { وَلَكُمْ } يا كفّار أهل الكتاب { مَا كَسَبْتُمْ } من كفر برسوله ﷺ، وكتمان حقيقته، وعدم الإيمان به ونصره { وَلَا تُسْأَلُونَ } معشر المسلمون { عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } فكل نفس بما كسبت رهينة.

الملخص: -

كذب تعالى زعم كفّار أهل الكتاب بأن الهدى في اتباع دينهم، وبين أنّ الهدى في اتباع هدي إبراهيم متشبثا بالإسلام معرضًا عن سواه، وبين تعالى أنّ أنبياء الله لم يكونوا يهودًا ولا نصارى، ولكن كانوا مسلمين مستسلمين لهديه وأمره، وبين تعالى لكفّار أهل الكتاب أنّ كفرهم برسوله ﷺ والتخلي عن العهد الذي أخذ عليهم بالإيمان به ونصرة، وكتمانهم الحق الذي يعرفونه عن رسول الله ﷺ والذي يعرفونه كما يعرفون آبائهم

من أشدّ الظلم، وأنّ لكل أمة جزء ما كسبت، ولا تسأل هذه الأمة عمّا كانوا يعملون.

(١٤٢-١٤٥) بيان الغاية من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ مَا وَوَلَّيْتُمْ عَنِ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ  
الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ  
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ  
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ  
الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ  
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى  
تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ  
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ  
أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ  
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ  
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

سفه تعالى استنكار يهود المدينة المنورة تحويل قبلة المسلمين إلى البيت الحرام فقال: { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتَهُمْ وَمَا صَرَفْتَهُمْ } عَنْ قِبَلَتِهِمْ { لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ } { الَّتِي كَانُوا عَلَيَّهَا } { قُلْ لِلَّهِ } الأمر في التوجه نحو { الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } و { يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } بسابق علمه وعدله وحكمته وفضله { إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } فهدى المسلمين له لكونه أول بيت وضع للناس كما تعلم يهود، وكونه مباركاً وهدى للعالمين كما قال تعالى في سورة آل عمران: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ } ﴿٩٦﴾ .

ثم قال تعالى: { وَكَذَلِكَ } أي بهدينا { جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } شرفاً وعدلاً ومكانة كقوله تعالى في سورة آل عمران: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... } ﴿١١٠﴾ و { لَتَكُونُوا } بذلك الشرف يوم القيامة { شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } لما ورد في سنن الإمام الترمذي عن أبي سعيد الخدري (رل ع) قال: قال رسول الله ﷺ: " يدعى نوح فيقال هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال هل بلغتكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُهُ، قال: فيؤتى بكم تشهدون أنه قد بلغ، فذلك قول الله " كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"، وذكر ابن المبارك هذا الحديث مطوَّلاً بمعناه، وفيه: { فتقول تلك

الأمم كيف يشهد علينا من لم يُدركنا؟ فيقول لهم الرب سبحانه: كيف تشهدون على من لم تُدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولاً وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقصصت علينا أنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا فيقول الرب: صدقوا"، ثم قال تعالى: { وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } فالتزموا هديه واحذروا مخالفته ﷺ.

ثم بين تعالى غاية أخرى من تحويل القبلة فقال: { وَمَا جَعَلْنَا } أي وما فرضنا { الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا } من بيت المقدس { إِلَّا لِنَعْلَمَ } وليتبين { مَنْ يَتَّبِعُ } هدي { الرَّسُولِ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ } كافرًا { عَلَى عَقِبَيْهِ } بعد تحويلها، كما فعل يهود المدينة المنورة { وَإِنْ كَانَتْ } أي تحويل القبلة { لَكَبِيرَةً } وعظيمة { إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ } فاستجابوا { وَمَا كَانَ } غاية { اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } وأجر صلاتكم كما ادعى يهود، ف { إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ }.

وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير الثعلبي أن حُيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، كانت هدى أو ضلالة؟ فإن كانت هدى فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة لقد دنتم لله بها، وإن من مات منكم عليها مات على الضلالة، فقال المسلمون: إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى

الله عنه، قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا، وكان قد مات قبل أن تُحول القبلة؟ فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم.

ثم بين تعالى سبب آخر لتحويل القبلة فقال: { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ } رغبةً في قبلة إبراهيم (عس) { فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } لك وللمسلمين { فَوَلِّ وَجْهَكَ } وتوجهه { شَطْرَ } وتجاهه { الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } وتلقاه { وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } ويستنكرون.

وقد رغب وأحبَّ يهود المدينة أن تكون قبلة المسلمين تبعًا لقبلتهم لما ورد في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان [أكثر] أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرًا، فكان رسول الله ﷺ يحبُّ قبلة إبراهيم (عس)، وكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله عز وجل ( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ).

ثم أكد تعالى تعنت كفار أهل الكتاب فقال: { وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ } ومعجزة وبرهان ليتبعوك { مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ } رغم أخذ العهد عليهم باتباعه ونصره ﷺ في قوله تعالى في سورة آل عمران: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ... ﴿٨١﴾ فنقضوا ميثاق الإيمان به ونصره ﷺ.

ثم قال تعالى: { وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ } ومتوجهاً إلى { قِبَلَتَهُمْ } من بيت المقدس { وَمَا بَعْضُهُمْ } أي اليهود والنصارى { بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ } فكلٌّ منهم متمسك بقبلته { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ } ورغباتهم { مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } الذي أوحى إليك { إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } فأعرض عن استنكارهم.

الملخص: -

سفه تعالى استنكار يهود المدينة تحويل القبلة إلى البيت الحرام وشرف المسلمين بالتوجه إليه، فهو أول بيت وضع للناس، وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة، ويكون الرسول عليهم شهيداً، وليتبين الذين يتبعون الرسول ﷺ ممن يعرض عنه، ولرغبته ﷺ في قبلة إبراهيم (عس)، وما كان تعالى ليضيع أجر صلاة المؤمنين كما ادعت يهود، وأكد تعالى أن كفار أهل الكتاب لن يؤمنوا ولن يتحولوا لقبلة المسلمين ولو جاءهم ﷺ بكل آية وبرهان.

(١٤٦-١٥٢) بيان معرفة كفار أهل الكتاب رسول الله ﷺ والأمر

بالإتزام بهديه تعالى لإتمام النعمة

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

يؤكد الله تعالى معرفة كفار أهل الكتاب الوافية برسول ﷺ فقال:

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ { من يهود ونصارى } { يَعْرِفُونَهُ } { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } فيعرفون أنه النبي الأمي كما قال تعالى في سورة الأعراف: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ



وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ وَأَنَّهُ ﷺ لَا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَأَنَّ خَاتَمَ النَّبِيَّةِ بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ، وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَى الْأَوْسِ وَالخَزَجِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} ﴿٨٩﴾ وَيَعْرِفُونَ زَمَانَهُ وَمَكَانَهُ وَقَدْ نَزَلُوا الْمَدِينَةَ الْمَنُورَةَ وَجَزِيرَةَ الْعَرَبِ لِيَقِينَهُمْ بِقَرَبِ مَبْعَثِهِ ﷺ، بَلْ وَيَعْرِفُونَ صِفَةَ أَصْحَابِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْفَتْحِ: {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} ﴿٢٩﴾ ثُمَّ أَكَّدَ تَعَالَى كِتْمَانَهُمُ الْحَقِّ الَّذِي يَعْلَمُونَهُ فَقَالَ: {وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} لِلْمَحَافِظَةِ عَلَى مَكَانَتِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ

الدنيوية، وفريقًا أسلموا، ثم جزم تعالى أن { الْحَقُّ } هو ما جاءك { مِنْ رَبِّكَ } عز وجل { فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } المرتابين بما أوحى إليك.

ثم أكد تعالى فقال: { وَلِكُلِّ } منكم دينٌ { وَجِهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا } ومستقبلها { فَاسْتَبِقُوا } معشر المسلمين { الْخَيْرَاتِ } بفعل ما أمرتم به وترك ما نهيتم عنه { فِإِنَّ مَاتَ تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا } يوم القيامة للحساب والميزان والجزاء { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثم أمر تعالى رسوله ﷺ بالتوجه للبيت الحرام أين ما كان فقال: { وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } للصلاة { وَإِنَّهُ } أي ما أنزل إليك { لِلْحَقِّ } واليقين { مِنْ رَبِّكَ } ثم حذرهم فقال: { وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } فالتزموا دينه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، ثم أكد تعالى أمره بوجوب التوجه للمسجد الحرام على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين فقال: { وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ } من برٍ وبحر وجو { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } للصلاة { وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } ونحوه { لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ } وذريعة للتجريح والطعن في دينكم { إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } لإعراضهم عن دينكم عنادًا وعصيانًا واستكبارًا { فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي } وخافوني وهابون { وَلَا تُتَمِّمُوا } أي ولأجل أن أتم { نِعْمَتِي }

عَلَيْكُمْ} بنصر دينكم على كل دين كما قال تعالى في سورة التوبة وفي سورة الصف: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } ﴿٣٣﴾ ﴿٩﴾ ثم قال تعالى: { وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } فتتشبثون بدينكم وهدى نبيكم.

وقد جعل الله تعالى نصر المؤمنين حقًا عليه كما قال تعالى في سورة الروم: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا<sup>ط</sup> وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } ﴿٤٧﴾ فنصر الله تعالى لكم حق { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } فحقق الله تعالى دعوة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - لكم عند رفعهما قواعد البيت في قوله تعالى في سورة البقرة: { رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ<sup>ط</sup> إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ﴿١٢٩﴾ ثم أمر تعالى بكثرة ذكره فقال: { فَادْكُرُونِي } وتمسكوا بعهدي وديني وميثاقي لـ { أَدْكُرْكُمْ } وانصركم { وَأَشْكُرُوا لِي } نعمي التي أنعمت عليكم والتي لا تعد ولا تحصى { وَلَا تَكْفُرُونِ } ولا تعصون فتخسرون دنياكم وأخراكم.

الملخص: -

يؤكد الله تعالى أنّ كفّار أهل الكتاب يعرفون رسوله ﷺ كما يعرفون  
أبنائهم، وأنّ فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون، وأمر المؤمنين  
بالاستباق في الخيرات التي دلّهم عليها والتمسك بقبلتهم لئلا يكون  
للناس عليهم حجة وذريعة للتجريح في دينهم، إلا الذين ظلموا منهم  
فسيظلمون يطعنون وينالون من الدين، وأنّ الله كافيهم شرّهم وناصرهم  
كما استجاب لدعوة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فأرسل إليهم  
رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فاستمسكوا  
بدينه وأكثروا من ذكره ولا تكفرون.

(١٥٣-١٥٨) الأمر بالصبر والصلاة عند البلاء، وبيان أنّ الطواف  
بين الصفا والمروة من شعائر الله للحج والعمرة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا

تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالْتَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ \* إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

لفهم هذه الآيات يستحسن الإشارة إلى المراحل الثلاث التي مر بها المسلمون من بعثة الرسول ﷺ إلى وفاته، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الصبر والمصابرة، والتي امتدت من نزول الوحي إلى تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، ومدتها ثلاثة عشر (١٣) عامًا، وخلالها أذن الرسول ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة في العام الخامس من البعثة، ثم بلغهم أنّ أهل مكة أسلموا، فرجع أناس منهم ثم تبين أنهم لم يسلموا، فهاجروا إلى الحبشة الهجرة الثانية وهاجر معهم غيرهم في العام الذي يليه، ثم كانت الهجرة إلى المدينة المنورة، والمرحلة الثانية امتدت لخمس سنوات، من تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة حتى غزوة الأحزاب، وهي مرحلة السجال ضد الكفار والمشركين ومنافقين المدينة المنورة، حبت أذن الله تعالى للمسلمين بمقاتلة المعتدين، وذلك في السنة الثانية من الهجرة لقوله تعالى في سورة الحج: { أذِنَ لِلَّذِينَ

يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ وتم خلاله استأصال اليهود من المدينة المنورة، والمرحلة الثالثة هي مرحلة التمكين في الأرض والظفر والظهور، والتي بدأ فيها المسلمون غزو كل من تحزب ضد المسلمين في المدينة المنورة حتى دانت جزيرة العرب للرسول ﷺ، وكانت مدتها خمس سنوات إلى وفاته ﷺ.

وحيث أنّ السورة مدنية، فالآيات تتحدث عن المرحلة لثانية، وهي الاستعداد للسجال الذي سيدور بين المسلمين ومن ناوئهم، فأرشد الله تعالى المؤمنين قائلًا: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ } على الجهاد في سبيل الله، وعلى البلاء، وعلى فعل الواجبات من عبادات وأخلاق ومعاملات وترك المنهيات { وَالصَّلَاةِ } أي واستعينوا بالصلاة المفروضة والتطوع والقيام والتضرع والدعاء، واعلموا { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } فهو تعالى مؤيدهم وناصرهم.

ثم قال تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ } سواءً بعد الهجرة أو قبلها كآل ياسر ففي معجم الطبراني عن عثمان بن عفان (رل ع) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي عمّار وأم عمّار: اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة، ثم قال تعالى: { بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ } ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن ابن مسعود (رل ع) قال: أرواحهم

في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، ثم أشار تعالى إلى بعض أصناف البلاء فقال: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ } ولنمتحن إيمانكم وصبركم { بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ } وبشر الصابرين { والبلاء سنة من سنن الله تعالى في الناس لقوله تعالى في سورة البقرة: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلاَ إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ } ثم قال تعالى: { الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } { أَوْلِيَاكَ } تنزل { عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ } ومغفرة { مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلِيَاكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ }.

ثم أشار تعالى إلى قرب فتح مكة المكرمة وبيان أن السعي بين الصفا والمروة من شعائر الله تعالى للحج والعمرة فقال: { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ } أي السعي بينهما { مِّن شَعَائِرِ } ومناسك { اللَّهِ } فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح { ولا حرج } عليه أن يطوف بهما { وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير الطبري عن الشعبي أن وثناً كان في الجاهلية على الصفا يسمى إسافاً، ووثناً على المروة يسمى نائلة، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنيين، فلما جاء الإسلام كسرت الأوثان، وقال المسلمون إن

الصفا والمروة إنما كان يطاف بهما لأجل الوثنيين، وليس الطواف بينهما من الشعائر، فنزلت الآية لبيان أهمية الحدث الذي من أجله شرع السعي تذكيرًا بقصة هاجر زوجة إبراهيم (عس) وابنها الرضيع إسماعيل (عس) وسعيها في طلب الماء له، ليفجر الله تعالى بئر زمزم بوادٍ غير ذي زرع عند بيته المحرم بضربة يضربها جبريل (عس) بجناحه تمهيدًا لبعثة خير خلق الله محمد ﷺ وبعثة خير أمة أخرجت للناس، ثم قال تعالى: { وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا } عمومًا أو حجٍ أو عمرة أو زكاة أو صدقة { فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } يثيبكم عليها في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً } في الدنيا { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ﴿٩٧﴾ في الآخرة.

### الملخص: -

ينبه الله تعالى المؤمنين إلى ما قد يصيبهم من بلاء عمومًا، ويرشدهم إلى الاستعانة بالصبر والصلاة عند نزولها، وقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ليثيبهم الله تعالى مغفرة من ربهم ورحمة، وهم المهتدون، ويبين تعالى أنّ الشهداء أحياءٌ عند بهم يرزقون عند ربهم، وأنّ الصفا والمروة من شعائر ومناسك الحج والعمرة، وللتذكير بقصة هاجر وابنها إسماعيل (عس) وبئر زمزم للإذن ببعثة خير البشر محمد ﷺ وخير أمة أخرجت



للناس، وأن من تطوع بهما أو بأي خير فإن الله شاكر لعباده، عليم بهم  
يُثيبهم عليها في الدنيا والآخرة.

### (١٥٩-١٦٣) التحذير من كتمان الدين وحلول اللعنة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ  
فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا  
وَأَصْدَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْنَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ  
أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾  
وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

يحذر الله تعالى المؤمنين من المسلمين ومن كفّار أهل الكتاب  
فيقول: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ } والبيّنات هو كل ما يدل  
على أنّ الله تعالى هو رب العالمين، والذي أعطى كل شيء خلقه ثم  
هداه ليقوم بوظيفته في الكون، ومن البيّنات المعجزات والدلائل والبراهين،  
ثم قال تعالى: { وَالْهُدَىٰ } أي الدين من عقيدة وعبادات وأخلاق  
ومعاملات { مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ } المنزل سواءً في القرآن  
أو التوراة أو الإنجيل أو غيرها مما أنزل تعالى { أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ } في

الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الأحزاب: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا } ﴿٥٧﴾ فبكتمانهم ما أمروا بتبليغه يؤذون الله تعالى { وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ } من الخلق والخليقة بسبب حبس الرزق عنهم بكتمانهم ما نزل الله إليهم كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان.

واللعن هو الطرد من رحمة الله، ومنه حجب الهدى عن الملعون كقوله تعالى في سورة البقرة: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ والختم على القلوب وعلى الأسماع والغشاوة على الأبصار من اللعن الشديد كما لعن إبليس، واللعن الأقل هو صم الأذان وإعماء الأبصار عن هدى الله تعالى لقوله تعالى في سورة محمد: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } ﴿٢٣﴾ ومن اللعن الإهلاك كقوله تعالى في سورة الكهف: { وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا } ﴿٥٩﴾ ثم استثنى تعالى فقال: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا } عن كتمان ما أنزل الله تعالى، وعن ما نهى الله تعالى عنه، والعزم على عدم العود للذنب { وَأَصْدَحُوا } بفعل كل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه،

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر { وَبَيَّنَّا } للناس ما نزل الله إليهم { فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ } وأغفر لهم { وَأَنَا التَّوَّابُ } الذي يقبل التوب ويغفر الذنوب جميعاً وهو { الرَّحِيمُ } بخلقه وبالمؤمنين رؤوف رحيم، وبذلك وجب على المسلم تبليغ الدين للناس لقوله تعالى في سورة النحل: { أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } ﴿١٤٥﴾ ولقوله تعالى في سورة يوسف: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ﴿١٠٨﴾ ولقوله تعالى في سور فصلت: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } ﴿٣٣﴾ ولذلك بذل المسلمون الأوائل قصارى جهدهم لإيصال الإسلام إلى الناس في كل بقاع الأرض، وغفل عن ذلك الكثير من الأمة اليوم.

ومما ينبغي تبليغه أن الله رب العالمين، وأن رسول الله ﷺ أرسل للناس أجمعين، وهو خاتمهم لقوله تعالى في سورة الأعراف: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ﴿١٥٨﴾ وأن رسول الله ﷺ خاتم النبيين لما

ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رل ع) أنّ رسول الله ﷺ قال: فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهور ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون"، ومما ينبغي تبليغه أنّ لله تعالى سنة خالدة ماضية في الناس من آدم (عس) إلى قيام الساعة بإسعاد من اتبع هديه تعالى في الدنيا والآخرة وإشقاء من أعرض عن هديه تعالى في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى} ﴿١٢٤﴾ أما هداية الناس فبيد الله تعالى وحده لعلمه حقيقة ما تخفيه الصدور لقوله تعالى في سورة البقرة: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...} ﴿٢٧٢﴾.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} بعد التبليغ {وَمَا تَأْتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} في الدنيا {خَلِيدِينَ فِيهَا} أي في جهنم {لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ} ليستريحوا {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} ولا يمهلون {وَالْهُكْمُ} معشر الإنس والجن {إِلَهُ وَاحِدٌ} لا شريك له {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ} بخلقة {الرَّحِيمُ} بعباده المؤمنين.

الملخص: -

يحذر الله تعالى المؤمنين من كتمان ما أنزل للناس، وبين أن ذلك يستوجب لعنته ولعنة اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك يتوب الله عليهم، فوجب على المسلم تبليغ الدين للناس، وأن رسول الله ﷺ أرسل إليهم أجمعين، وهو خاتمهم، وأن سننه تعالى ماضية في اسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة وإشقاء من أعرض عن هديه في الدنيا والآخرة، وأن من كفر بعد ذلك فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(١٦٤) ضرب بعض الأمثال الدالة على أن الله تعالى خالق الخلق

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

يضرب الله تعالى الأمثال الدالة على أنه خالق الخلق قائلا: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي لآيات واضحة على عظيم خلقه وقدرته وإبداعه، فأمر تعالى بالنظر في كيف بدأ الخلق كما قال تعالى في سورة العنكبوت: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقَ...} ﴿٢٠﴾ وبدأ

الإنسان في ذلك فنزل على القمر وزار بعض الكواكب القريبة كالمريخ  
 وأخذ عينات منها ليتعرف على مواد تكوينها مقارنة بمواد تكوين الأرض،  
 حتى تبين أنّ مادة الكون واحدة ومتجانسة، وأنّ جميع السدوم كانت  
 منحصرة عن الأرض كما ورد في الموسوعة الحرة، وأخبر تعالى أنّ  
 السماوات والأرض كانت كتلة واحدة ثم فتقها سبحانه كما قال تعالى في  
 سورة الأنبياء: { أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا  
 فَفَتَقْنَاهُمَا... } ﴿٣٠﴾ وكانت دخان قبل بنائهما كما قال تعالى في سورة  
 فصلت: { ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا  
 أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } ﴿١١﴾ ثم أمر تعالى في النظر في كيفية بناء  
 السماء بعد أن كانت دخان كما قال تعالى في سورة ق: { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى  
 السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ } ﴿٦﴾ وأرشد إلى التدبر  
 في رفع السماء عن الأرض في قوله تعالى في سورة الغاشية: { وَإِلَى  
 السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ } ﴿١٨﴾ وأشار تعالى إلى تمدد الكون في سورة الذاريات  
 حيث قال: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } ﴿٤٧﴾ .

كما بين تعالى أنّه يمسك السماوات أن تتكشر مرة أخرى وتقع على  
 الأرض كما قال في سورة الحج: { ... وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ  
 إِلَّا بِإِذْنِهِ } ﴿٦٥﴾ وأشار تعالى إلى حقيقة زوال السماوات والأرض وتحدى

أن يمسكها من أحد من بعده كما قال تعالى في سورة فاطر: { إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } ﴿٤١﴾ وأشار تعالى إلى تبديل الأرض غير الأرض والسموات بعد انكماشهما في قوله تعالى في سورة إبراهيم فقال: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } ﴿٤٨﴾ وأشارت السنة النبوية إلى سرعة قيام الساعة لما ورد في كتاب الجمع بين الصحيحين عن أبي هريرة (رل ع) يبلغ به قال: " تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فلا يصل إلى فيه، حتى تقوم والرجلان يتبايعان الثوب فلا يتبايعانه، حتى يقوم الرجل يلوط حوضه، فما يصدر حتى تقوم".

ثم يضرب الله تعالى مثل آخر على خلقه فقال: { وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ } والملاحظ في القرآن العزيز أنّ ذكر الليل عمومًا يسبق ذكر النهار كما هو في هذه الآية للدلالة على أنّ الليل هو الأصل في هذا الكون، وبينّ تعالى أنّ الليل يغطي النهار كما قال تعالى في سورة الرعد والأعراف: { يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ... } ﴿٣﴾ ﴿٥٤﴾ ولولا الليل ما رأينا جمال السماء، أمّا خلق النهار فهو معجزة أخرى، وسبب النهار هو الغلاف الجوي والجانبية الأرضية اللتان ابدع الله تعالى خلقهما، فعندما تسبح أشعة الشمس في الفضاء لا يكون نهارًا، ولكن إذا دخلت أشعة الشمس الغلاف

الجوي تحولت إلى نهار، والنهار ليس إلا طبقة رقيقة على الأرض يبلغ أقصى سمك له أربعمئة وثمانون (٤٨٠) كيلومتر فقط، والذي يعادل تقريبًا أربعة من مئة (٤٠٠) من قُطر الأرض، والذي شبهه تعالى بسلخ الشاة كما قال تعالى في سورة يس: { وَعَايَةُ لَهُمْ أُلَيْلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ } ﴿٣٧﴾.

وضرب الله تعالى مثل آخر فقال: { وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ } وفي خلق البحر الذي جعله تعالى يغطي ثلاثة أرباع اليابسة لآيات في حمل الفلك التي يجري فيه، والأرزاق من الأسماك والأعشاب واللؤلؤ والمرجان وغيرها لآيات على عظيم تدبير الله تعالى للخلق، وضرب مثلًا آخر فقال: { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ } وليس سبب نزول المطر وصول السحاب إلى مناطق باردة في السماء، فالبخار من البحار وغيره لا يُرى كسحاب إلا إذا وصل إلى مناطق باردة، ولا ينزل منه المطر، وإنما التأليف بين السحاب هو سبب نزول المطر كما قال تعالى في سورة النور: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وَثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ... } ﴿٤٣﴾ ثم بين تعالى اعجازه في خلق الماء فقال: { فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } وفصل ذلك في سورة الأنعام فقال: { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ }



فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وضرب تعالى مث آخر فقال: { وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ } وبين تعالى أن تلك الدواب أمم كأمثال الناس كما قال تعالى في سورة الأنعام: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } ﴿٣٨﴾ وضرب الله تعالى مثل آخر على خلقه فقال: { وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } ﴿١٦٤﴾ وليكون ذلك بشرى للناس كما قال تعالى في سورة الروم: { اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتَنفِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۗ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } ﴿٤٨﴾ .

### الملخص: -

يؤكد تعالى على أن في ابداع وابتقان خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك والسفن التي تجري وتمخر في البحر والمنافع والأرزاق فيه، وما أنزل تعالى من السماء من ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها، وبث ونشر فيها من كل دابة، وتصريف الرياح

والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات وبراهين على عظمته خلق الخالق وتدبيره تعالى وإعجازه.

(١٦٥-١٧١) تأكيد عظم حب المؤمنين لله تعالى والتحذير من اتباع خطوات الشيطان وضرب المثل لحال الكافرين.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُم مِّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّعُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

يستنكر تعالى على المشركين رغم كثرة الآيات والبيانات الدالة على أن لله تعالى الخلق والأمر، إلا أن { وَمِنَ النَّاسِ } المشركين بالله تعالى { مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا } وآله شركاء { يُحِبُّونَهُمْ } ويعظمونهم { كَحُبِّ اللَّهِ } وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ { سبحانه } وَلَوْ { استطاع أن } يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا { باتخاذهم أندادا من دون الله } إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ { المعد لهم في جهنم } فسيعلمون { أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } لا منازع ولا شريك له { وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } عندها { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا } وأشرك بهم { مِنَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا وَرَأَوْا } عظيم وشدة { الْعَذَابِ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } للنجاة، وقالوا لهم: ما كنتم إيانا تعبدون وإنا كنا عن عبادتكم لغافلين كما قال تعالى في سورة يونس: { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ } وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ وكقوله تعالى في سورة الأحزاب: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } رَبَّنَا ﴿٦٧﴾ ءَاتِيهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ فتكون الحسرة والندامة { وَقَالَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً } فنعود للدنيا { فَنَتَّبِرًا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنْنَا } ف { كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ } جزاء { أَعْمَلَهُمْ } التي اكتسبوها تعود { حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ } وندم حيث لا ينفع الندم { وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ } أبداً { مِنَ النَّارِ } ف {

يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا} من المطاعم والمشارب} وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ} الذي أخذ العهد على نفسه بإضلالكم كما قال تعالى في سورة النساء: {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضِلَّتَهُمْ وَلَا مَنِينَهُمْ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيُبَيِّتْكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا} ﴿١١٩﴾ ويتبرأ منهم ويكفر بشركهم لقوله تعالى في سورة ابراهيم: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنفُسَكُمْ لَمَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ﴿٢٢﴾.

ثم يؤكّد تعالى قائلاً: {إِنَّهُ} أي الشيطان {لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} وأخرج أبويكم من الجنة كما قال تعالى في سورة الأعراف: {يَبْنِي عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَيْمَانِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} ﴿٢٧﴾ ف{إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ} الذي يسوئكم في الدنيا والآخرة كالإثم والمعاصي والمنكر والفجور {وَالْفَحْشَاءِ} وشديد

القبيح من الأفعال والأقوال كالزنا والسب والشتم والطعن في الأعراض {  
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

ثم قال تعالى عن الكافرين: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } من  
البيانات والهدى { قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا } وما وجدنا { عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا } فاستنكر  
عليهم تعالى قائلاً: { أَوْلَوْ } أي أفتتبعون آبائهم حتى لو { كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا  
يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } فمثلهم { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا } عنادًا وعصيانًا  
واستكبارًا { كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ } رافعًا صوته { بِمَا لَا يَسْمَعُ } ولا يعي ولا يفهم  
ما يقول { إِلَّا } إشارة { دُعَاءَ وَنِدَاءً } فجزائهم أن جعلهم الله تعالى { صُمُّكُمْ  
عُمِّي } عن هدي الله تعالى { فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } ولا يفهمون ولا يتعظون.

الملخص: -

يؤكد تعالى أن المؤمنين أشد حبا لله من حب المشركين لأندادهم،  
ولو يرى المشركين حقيقة العذاب يوم القيامة لعلموا أن القوة لله جميعا  
وأنه شديد العذاب، ولو يرى حين يتبرأ الذين اتبعوا ممن أشركوا لتمنوا  
حياة أخرى ولتبرأوا ممن أشركوا به، وما هم بخارجين من النار، ثم أمر  
تعالى الناس بأكل الطيبات وعدم اتباع الشياطين، إلا أنه إذا قيل  
للكافرين اتبعوا ما أنزل الله قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، أو كذلك

حتى لو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، فجزائهم أن يجعلهم الله تعالى صمّ بكم في الدنيا عن هدي الله تعالى جزاء تعنتهم وكفرهم.

(١٧٢-١٧٦) الأمر بأكل الطيبات وتحريم الخبيث، والتحذير من كتمان الدين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ  
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ  
بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا  
قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ  
بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

يُرشد الله تعالى المؤمنين فيقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } بالله تعالى  
ورسوله ﷺ { كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } فالحلال لا يعد ولا يحصى {  
وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} على ما رزقكم { إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } فيما شرع لكم من  
عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، ثم حصر تعالى المحرمات لقلّة

عددها فقال: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ} أكل {الْمَيْتَةِ} لعظم ضررها، ولمعرفة بعض أضرار الميتة من المهم معرفة ما يحدث في جسم الإنسان للقياس، فكما ذكر في الموسوعة الحرة أنّ جسم الإنسان البالغ يحتوي على ما يقارب من ثلاثين إلى سبعة وثلاثين (٣٠-٣٧) ترليون خلية، وتشير الإحصائيات إلى أنّ الخلايا التي تموت وينمو غيرها في الجسم يقارب من ثلاثة وسبعة من عشرة (٣,٧) مليون خلية في الثانية، أي ما يعادل واحد من مليون من عدد خلايا الجسم، ويتخلص جسم الإنسان من معظم تلك الخلايا عن طريق الدم، والذي ينقلها إلى البراز، كما ويحمل الدم ثاني أكسيد الكربون الذي تتخلص منه الرئتان، والبولينا الذي تتخلص منه الكلى، وما يتخلص منه الكبد والمخاط وغير ذلك، فالدم هو الناقل لكل ذلك، فالدم مادة خصبة لنمو الجراثيم والبكتيريا والفيروسات خاصة بعد الموت، ومثل ذلك يكون في بهيمة الأنعام، ولذلك حرم الله تعالى الميتة {وَالدَّمَ} والله تعالى هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فهو أعلم بما يحرم.

ثم قال تعالى: {وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} للنهي الذي ورد في سنن الإمام الترمذي عن ابن عمر (رل ع) قال: "نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة والبانها" والجلالة هي التي تتغذى أو تأكل القذر كالخنزير لنقله بعض أمراض الديدان كالخطافية والدبوسية ودودة الخنزير الشريطية كما ذكر

في الموسوعة الحرة، ثم قال تعالى: { وَمَا أَهْلَ بِهِ } وذبح { لِغَيْرِ اللَّهِ } كونه  
شركًا بالله، ثم استثنى تعالى فقال: { فَمَنْ اضْطُرَّ } لأكل شيء من ذلك {  
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} على شرع الله تعالى وحدوده { فَلَا إِثْمَ } ولا حرج { عَلَيْهِ }  
ان يأكل ما يبقي حياته من غير اسراف { إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

ثم حذر تعالى من كتمان ما أنزل للناس فقال: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ  
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ } سواء من المسلمين أو أهل الكتاب الذين أخذ  
الله تعالى عليهم العهد بعدم كتمانهم كما قال تعالى في سورة آل عمران: {  
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ  
فَنَبذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ } ١٨٧ وأخفوا  
صفة الرسول ﷺ للمحافظة على سلطتهم ومصالحهم الخاصة ومكانتهم  
بين أقوامهم، وليرضى عنهم اتباعهم، فهم يعرفونه كما يعرفون ابنائهم  
كما قال تعالى في سورة: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ  
أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ١٤٦ وأخذ تعالى عليهم  
العهد بالإيمان به ونصره ﷺ كما قال تعالى في سورة آل عمران: { وَإِذْ  
أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ  
مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ } قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ  
إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } ٨١ ثم قال



تعالى: { وَيَشْتَرُونَ بِهِ } أي بالبينات والهدى { ثَمَنًا قَلِيلًا } جزاء كتمانهم أو ما يفتون به الناس، وقد حذرهم الله تعالى من حلول لعنته عليهم في الدنيا لقوله تعالى في سورة البقرة: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ } ﴿١٥٩﴾ من الخلائق { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } في الآخرة { أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ } ولا يطهرهم من معاصيهم وذنوبهم ليزدادوا إثماً كما قال تعالى في سورة آل عمران: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا } ﴿١٧٨﴾ { وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } ﴿١٧٨﴾ ثم قال تعالى: { أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا } واستبدلوا { الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ } فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ { وعذاباتها } { ذَلِكَ } أي وسبب كل تلك العقوبات { بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ } أي القرآن والتوراة والإنجيل { بِالْحَقِّ } والصدق والعدل والدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه { وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ } من اليهود والنصارى { لَفِي شِقَاقٍ } وخلاف عميق { بَعِيدٍ } عريض، كتكفير بعضهم بعضاً لقوله تعالى في سورة البقرة: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ } ﴿١١٣﴾ { ... } ولذلك ينبغي على المسلم تبليغ الناس أن الله

تعالى هم رب العالمين، ودينه رحمة للعالمين، وسوله محمد ﷺ أرسل للناس أجمعين، وأنّ الله تعالى جزاءات للناس في الدنيا والآخرة، فيسعد من اتبع هديه، ويشقى من أعرض عن دينه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ وَمَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾}.

الملخص: -

شرّع الله تعالى أكل الطيب وحرّم أكل الخبيث، فحرّم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير الثابت ضررها، وحرّم ما ذبح لغير الله تعالى كونه شرك، إلّا من اضطر لأكل شيء منه بمقدار ما يقيم حياته، كما وغلظ عقوبة كتمان ما أنزل تعالى للناس من البينات والهدى، لأنّه تعالى أنزل الكتاب بالحق، فعلى المسلم تبليغ الناس الدين، وأنّ الله تعالى هو رب العالمين، ودينه رحمة لهم، وسوله محمد ﷺ أرسل إليهم أجمعين.

(١٧٧-١٧٩) بيان صفات الأبرار وتشريع القصاص للناس

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ  
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَعَآتَى الْمَالَ عَلَى

حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي  
 الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ  
 فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ  
 بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ  
 أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي  
 الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

فصل تعالى الصفات التي لا بد من أن يتحلى بها الأبرار فقال: {لَيْسَ الْبِرُّ { وَالصَّلَاةَ وَالتَّقْوَىٰ وَالْإِيمَانَ } أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ  
 وَالْمَغْرِبِ } بإقامة الصلاة وحدها رغم أهميتها كركن من أركان الإسلام،  
 أما سبب نزول الآية كما ذكر في تفسير الطبري أن رجلاً سأل النبي ﷺ  
 عن البر فنزلت، فقال تعالى: { وَلَكِنَّ الْبِرَّ } وَالصَّلَاةَ وَالتَّقْوَىٰ } مَنْ ءَامَنَ  
 بِاللَّهِ { رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا أَوْلًا } وَالْيَوْمِ الْآخِرِ { ثَانِيًا،  
 أي آمن باليوم الآخر للعرض والحساب وللمسارعة في الخيرات لقوله  
 تعالى في سورة آل عمران: { يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ

الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَالْمَلَائِكَةِ } ثَالِثًا، أَي وَيُؤْمِنُونَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَا يَعْبُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ { وَالْكِتَابِ } رَابِعًا، أَي وَأَمِنَ بِالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَ تَعَالَى عَلَى رَسَلِهِ، كَالْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصَحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهَا { وَالنَّبِيِّينَ } خَامِسًا، أَي وَالْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّينَ مِنْ آدَمَ (عَس) إِلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ { وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ } سَادِسًا، لَ { ذَوِي الْقُرْبَى } لِتَعْزِيزِ الصَّلَةِ بِذِي الْقُرْبَى وَالْأَرْحَامِ { وَالْيَتَامَى } أَي الْفَاقِدَ أَحَدَ الْأَبْوِينَ أَوْ كِلَاهُمَا { وَالْمَسْكِينِ } أَي الَّذِي دَخَلَهُ كِفَافٌ، لَا يَزِيدُ دَخْلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: { أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ... } ﴿٧٩﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَابْنِ السَّبِيلِ } أَي الْمَسَافِرِ الْمُنْقَطِعِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وَلَا يَسْتَطِيعُ الرَّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ { وَالسَّائِلِينَ } أَي الْمَحْتَاجِينَ لِتَعْزِيزِ الْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ { وَفِي } تَحْرِيرِ وَعَتَقِ { الرِّقَابِ } لِلْقَضَاءِ عَلَى الرِّقِّ الَّذِي وَرِثَ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، كُلَّ ذَلِكَ تَمْهِيدًا لِإِقَامَةِ الْمَجْتَمَعِ الْأَمْثَلِ فِي الْأَرْضِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَأَقَامَ الصَّلَاةَ } سَابِعًا، سِوَاءِ الْمَفْرُوضَةِ أَوْ النَّفْلِ { وَآتَى الزَّكَاةَ } ثَامِنًا، لِمُسْتَحْقِيقِهَا الثَّمَانِيَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعِزْمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } ﴿٦٠﴾

ليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، ولا يبقى المال دولةً بين الأغنياء من الناس، تاسعاً { وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا } الله تعالى وبعهودهم مع الناس، فلا يغدرون ولا يعتدون، عاشرًا { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ } وشدة الحرب { وَالضَّرَّاءِ } أي والصابرين على ما يصيبهم من سقم ومرض لقوله تعالى في سورة الأنبياء: { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ } { ٨٣ } وأثناء { وَحِينَ } وقوع { الْبَأْسِ } والحرب والقتال، وبشر الصابرين لقوله تعالى في سورة البقرة: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } { ١٥٦ } أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } { ١٥٧ } ثم قال تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا } في إيمانهم وبرهم وتقواهم { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } حقًا.

ثم قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ } وفرض { عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ } والمساواة { فِي الْقَتْلِ } الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى } وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان أن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتلى وجرحى حتى قتل العبيد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض الأموال حتى أسلموا، وكان أحد الحيين له طول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا إلا

نرضى حتى يقتل بالعبد منّا الحر منهم، وبالمرأة منّا الرجل منهم، فساوى الله تعالى بينهم في الدماء، وأمرهم بالعدل فرضوا.

ثم قال تعالى: {فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ} أي من وليّ المقتول {شَيْءٌ} وقبيل الدية بدل القصاص {فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ} أي فليطلب ولي المقتول الدية بالمعروف {وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ} أي وليؤدي القاتل الدية إلى ولي المقتول {بِإِحْسَانٍ} ف {ذَلِكَ} الشرع والحكم {تَخْفِيفٌ} لكم معشر المسلمين {مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} وكان الحكم على أهل التوراة أن يقتل القاتل عمداً أو خطأ، ولا يعفى عنه ولا يقبل منه الدية، وحكم على أهل الإنجيل العفو، ولا يقتل القاتل بالقصاص ولا يأخذ ولي المقتول الدية، ثم جعل الله تعالى عز وجلّ التخفيف في أمة محمد ﷺ إن شاء ولي المقتول قتل القاتل، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ منه الدية كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، ثم قال تعالى: {فَمَنْ أَعْتَدَى} وتجاوز الحكم في القتل {بَعْدَ ذَلِكَ} الحكم والتشريع {فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فيقتل المعتدي في الدنيا ولا تقبل منه الدية، وعذاب أليم في الآخرة، ثم قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي} تشريع {الْقِصَاصِ حَيَوةٌ} للمحافظة على الأنفس، وليمتنع الناس عن القتل {يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} بالرقى في إيمانكم وتجنب القتل فيما بينكم والعقوبته في الدنيا والآخرة.

الملخص: -

يؤكد تعالى أنّ البر ليس بإقام الصلاة وحدها رغم عظيمها، ولكن بالإيمان بالله تعالى وبالיום الآخر والملائكة والكتب المنزلة وبالنبيين، وإيتاء المال لذوي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل والسائلين، لتعزيز الحياة الاجتماعية، وليأمن الفقير على حياته والغني على ثرواته، وفي تحرير الرقاب من العبودية، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد مع الله تعالى ومع الناس، والصبر عند القتال ونزول البلاء، ثم شرع تعالى المساواة في القتل العمد، فالحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى دون مفاضلة، وتجب الدية على من عُفِيَ عنه، ويطلب ولي المقتول الدية بالمعروف، ويدفع القاتل الدية بالإحسان، فمن اعتدى بعد ذلك فيقتل ولا تقبل منه الدية، وله عذاب أليم في الآخرة، ولكم في تشريع القصاص حفظ لحياتكم، ولعلكم تتقون إراقة الدماء والثأر بينكم.

(١٨٠-١٨٤) الحث على كتابة الوصية، والتحذير من التبديل فيها، وفرض الصيام وبيان بعض أحكامه.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ  
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ وَبَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا

إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ  
 جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ  
 فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ  
 خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٥﴾

يقول تعالى: { كُتِبَ } وفرض { عَلَيْكُمْ } إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ  
 تَرَكَ { الْمُوصِي } { خَيْرًا } لورثته مالا أو غيره فعليه كتابة { الْوَصِيَّة } يوصيها {  
 لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا } وواجبًا { عَلَى الْمُتَّقِينَ } أمّا الوصية  
 للوالدين فهي منسوخة بآيات المواريث في سورة النساء في قوله تعالى { ...  
 وَالْأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ  
 لَهُ وَوَلَدٌ وَوَرِثَةٌ وَآبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ وَإِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ  
 وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ } { ... } { ١١ } ، ويجوز الوصية للأقربين ولغيرهم  
 بالمعروف، ثم حذر تعالى فقال: { فَمَنْ بَدَّلَهُ } ممن شهد الوصية { بَعْدَ مَا  
 سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ } ووزره { عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ } وإثم التبديل يتناسب مع  
 ما أحدث من تبديل في الوصية لقوله تعالى في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ  
 عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى } { ١٢٤ } واعلموا {



إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} بكل شيء، ولا تخفى عليه خافية، ثم قال تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا} أو ميلاً سهواً {أَوْ إِثْمًا} عمداً في الوصية {فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ} أي بين الموصي والورثة {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} بل له الأجر لقوله تعالى في سورة النساء: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ﴿١١٤﴾ واعلموا {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} لمن تاب عن ذنبه، وبالمؤمنين رؤوف {رَحِيمٌ}.

ثم فرض تعالى الصيام على هذه الأمة فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} بالله ورسول {كُتِبَ} وفرض {عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ} عن المفطرات كالأكل والشرب والجماع وغيره، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهذا الصيام يعرف اليوم بالصوم المتقطع {كَمَا كُتِبَ} وفرض {عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} كأهل الكتاب والأمم التي قبلكم {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} وترتقون بإيمانكم وتقواكم، لما ورد في موطأ الإمام مالك عن أبي هريرة (رل ع) أن رسول الله ﷺ قال: "الصيام جنة، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم إنني صائم"، والصيام جنة يعني يضعف شهوة البطن والفرج، ويذكر بجوع ذوي الحاجة لسد حاجتهم بالزكاة والصدقة، كما وللصوم فوائد صحية لما ورد في كتاب

الطب النبوي لأبي نعيم الإصفهاني عن أبي هريرة (رل ع) قال رسول الله ﷺ: "صوموا تصحوا"، ولما ورد في المعجم الأوسط للطبراني عن أبي هريرة (رل ع) قال: قال رسول الله ﷺ: "أغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا"، كما وللصيام لمدة لا تقل عن عشر (١٠) ساعات أهمية وضرورة، فيلزم المريض بالصوم قبل الجراحة التي تتطلب التخدير العام، أو قبل أخذ عينات الدم للتحليل لمدة عشر (١٠) ساعات، كما ذُكر في الموسوعة الحرة تحت عنوان "صوم" أوصت جمعية السرطان الأمريكية عام ٢٠١١م على أنّ فترة الصيام قصيرة الأجل قد تكون لها فوائد أثناء العلاج الكيميائي للسرطان، والمساهمة في تنشيط الخلايا الجذعية، وتعزيز مكافحة الأمراض والأورام والشيخوخة، وتحسين الحالة النفسية والجنسية والشعور بالعافية، وكذلك التهابات الجهاز الهضمي، وتشحم الكبد، وذكر في إحدى المراجعات أنّ الصيام يحسن اليقظة والمزاج والمشاعر الذاتية للرفاه، وربما يحسن من أعراض الاكتئاب الكلي، ويعزز الصحة الوقائية من الأمراض، ويعتبر الصيام أسهل علاج لارتفاع الكولسترول وحالة ما قبل السكر".

ثم بين تعالى أنّ الصيام { أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ } شهرًا كاملًا { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا } أثناء الشهر { أَوْ عَلَى سَفَرٍ } فأفطر { فَعِدَّةٌ } بعدد الأيام التي أفطرها { مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } أي بعد سفره ومرضه { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ } أي

الصوم إذا أفطروا { فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ } لما ورد في تفسير الطبري أنّ الصيام كان على التخيير أوّل ما فرض، فمن شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا، ثمّ نُسخ الحكم { فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا } فزاد في اطعام المساكين { فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ } في الدنيا والآخرة { وَأَنْ تَصُومُوا } بدل الإطعام فهو { خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } عِظَم الأجر وتعزيز الصحة.

الملخص: -

شرع تعالى كتابة الوصية قبل الموت لمن ترك خيرًا، وحذّر تعالى من التبديل في الوصية والاثم المترتب عليه، وحثّ على الإصلاح بين الموصي والورثة إن خيف الميل سهوًا أو عمدًا، كما فرض تعالى الصيام للترقي في التقوى الإيمانية ومن الأمراض، فمن اضطر لسفر أو مرض فعليه القضاء بعدد الأيام التي أفطرت، ومن لم يستطع الصوم فعليه الفدية بإطعام مسكين عن كل يوم، ومن زاد في الاطعام فهو خيرٌ له، وأكّد تعالى أن الصوم خيرٌ من الكفارة لكثرة منافعه.

(١٨٥-١٨٨) تأكيد نزول القرآن في رمضان، والأمر بصيامه وبيان

كفارته، وشروط استجابة الدعاء، وتحريم أكل الأموال بالباطل.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى  
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ  
فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا  
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ  
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي  
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرِّفْتُ إِلَىٰ  
نَسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ  
أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالَّذِينَ بَشَرُوا هُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ  
اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ  
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ  
فِي الْمَسْجِدِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ  
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَىٰ  
الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

فرض الله تعالى صوم شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة

وقال: { شَهْرُ رَمَضَانَ } وأكد نزول القرآن فيه فقال: { الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ} من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا، ثم نزل منجماً في ثلاثة وعشرون سنة من السماء الدنيا على رسول الله ﷺ، كما وأنزل تعالى كتب أخرى في رمضان لما ورد في مسند الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع (رل ع) أن رسول الله ﷺ قال: " أنزلت صحف إبراهيم (عس) في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان"، وجعل تعالى القرآن { هُدًى لِلنَّاسِ } جميعاً ولقوله تعالى في سورة الأعراف: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... } ﴿١٥٨﴾ وأخذ العهد على جميع النبيين بالإيمان به ﷺ ونصره كما قال تعالى في سورة آل عمران: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ } قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } ﴿٨١﴾ فوجب تبليغه للناس ليخرجهم من ظلمات الجهل بالله تعالى والتشريع الوضعي بأشكاله إلى نور وتشريع الهدى الإلهي، و { وَبَيَّنَّتْ } أي وفيه من الأدلة والبراهين والمعجزات و { مِنَ الْهُدَىٰ } في العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات { وَالْفُرْقَانِ } بين الحق الذي جاء من عند الله تعالى والباطل الذي شرعه الناس لأنفسهم { فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ

الشَّهْرَ فَلْيُصُمْهُ<sup>ط</sup> { فَرَضًا } وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ { فَأَفْطَرَ } { فَعِدَّةٌ } بَعْدَ  
 الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا { مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } بَعْدَ مَرَضِهِ وَسَفَرِهِ { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ } أَيُّ  
 بِذَلِكَ الْحُكْمِ وَالتَّشْرِيعِ { الْيُسْرَ } وَالتَّخْفِيفِ { وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } وَالتَّشْدِيدَ  
 وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ { مِنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ كَامِلًا } وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ { بَعْدَ  
 فِطْرِكُمْ، وَتَحْمَدُوهُ وَتَشْكُرُوهُ } عَلَى مَا هَدَىٰكُمْ { مِنَ الدِّينِ } وَلَعَلَّكُمْ  
 تَشْكُرُونَ { نَعْمَ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصِي. }

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } { فَرَجَابٌ } { أَجِيبُ دَعْوَةَ  
 الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } { وَلَكِنْ } { فَلَيْسَتْ جِيبًا لِي } { أَوْلَا، فِي كُلِّ مَا شَرَعْتُ لَهُمْ مِنْ  
 عَقِيدَةٍ وَعِبَادَاتٍ وَأَخْلَاقٍ وَمَعَامَلَاتٍ، ثَانِيًا: { وَلِيُؤْمِنُوا بِي } { إِيمَانًا صَادِقًا  
 مَخْلَصًا } { لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } فَاجَابَةُ الدَّعَاءِ مَرْهُونَةٌ بِقَدْرِ الِاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ تَعَالَى  
 وَعَمَقِ الْإِيمَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: { ... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ  
 مِنَ الْمُحْسِنِينَ } { ٥٦ } ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { أَجَلٌ } وَأَبِيحُ { لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ }  
 { وَإِتْيَانِ الْأَزْوَاجِ وَالْإِفْضَاءِ لَهُنَّ } { إِلَى نِسَائِكُمْ } وَالِاسْتِمْتَاعِ بِهِنَّ، { فَرَجَابٌ }  
 { لِبَاسٌ لَكُمْ } وَسِتْرٌ لِحَوَائِجِكُمُ الْخَاصَّةِ الَّتِي فَطَرَكَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَعَنْ  
 الْفَاحِشَةِ { وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ } وَسِتْرٌ لِحَوَائِجِهِنَّ الْخَاصَّةِ الَّتِي فَطَرْنَ عَلَيْهَا  
 وَسِتْرٌ لَهُنَّ عَنِ الْفَاحِشَةِ، وَسَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ مَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ عَبْدِ الزَّاقِ  
 وَغَيْرِهِ عَنِ قَتَادَةَ (رَلَع) قَالَ: كَانَ النَّاسُ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ إِذَا رَقَدَ أَحَدُهُمْ

من الليل رقدة، لم يحل له طعام ولا شراب ولا أن يأتي امرأته إلى الليلة المقبلة، فوقع في ذلك بعض المسلمين، فمنهم من أكل بعد هجعة وشرب، ومنهم من وقع على أهله، فرخص الله لهم " فقال تعالى: { عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ } وتخونون وتظلمون { أَنْفُسَكُمْ } بالوقوع فيما نهاكم الله عنه { فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ } ما بدر وكان منكم { فَأَلَّنَ بَشْرُوهِنَّ } رفثاً وأتوهن { وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } من الذرية { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا } من غروب الشمس { حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ } معترضا { مِنَ الْفَجْرِ } من الأفق الشرقي { ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ } لغروب الشمس { وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ } ولا تأتوهن رفثاً { وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ } طيلة اعتكافكم { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ } وحكمه وشرعه في رمضان { فَلَا تَقْرَبُوهَا } ولا تعدوها { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ } وشرائعه وأحكامه { لِلنَّاسِ } جميعاً { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } ولعلمهم يرشدون ويرتقون بإيمانهم.

ثم قال تعالى: { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ } وهو كل ما حرّمه الله تعالى من ربا وميسر وقمار وغيره { وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ } أي وتخاصموهم بها إلى الحكام أو المحاكم، { لِتَأْكُلُوا } أي وغايتكم أن تستولوا على { فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }.

الملخص: -

يؤكد تعالى نزول القرآن في رمضان، ويأمر بصيامه من الفجر إلى غروب الشمس، وشرع القضاء على من أفطر لمرضٍ أو سفر، وأنّ القرآن هو فرقان بين الحق والباطل، وفيه هدى وبينات للناس، ويؤكد تعالى إجابة الداعين إذا استجابوا لدينه وهديه وآمنوا به، وأحلّ تعالى ليلة الصيام الرفث وإتيان النساء إلا أثناء الاعتكاف، وحرّم أكل أموال الناس بالباطل، أو مخاصمتهم عند الحكام للاستيلاء عليها بالباطل.

(١٨٩-١٩٥) بيان الغاية من الأهلة، والأمر بدخول البيوت من

أبوابها، وبقتال المعتدين، والحض على الإنفاق في سبيله تعالى.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا  
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا  
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا

تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ

وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ

الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ

فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ



الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتِ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا  
 عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٤﴾  
 وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ  
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٥﴾

يقول تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ} شأن والغاية من {الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ  
 لِلنَّاسِ} لاستيفاء ديونهم ولصومهم وفطرمهم وعدة نسائهم والشروط التي  
 بينهم {وَالْحَجِّ} أي ولمعرفة مواسم الحج {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ  
 ظُهُورِهَا} وسبب نزول الآية ما ورد في تفسير الطبري عن البراء (رل ع)  
 قال: كانوا في الجاهلية إذا أحرموا أتوا البيوت من ظهورها، ولم يأتوها  
 من أبوابها فنزلت. ثم قال: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى} محارم الله تعالى والتزم  
 بأحكام هديه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، أمّا البر فما بينه  
 تعالى في سورة البقرة في قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ  
 وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ  
 وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ  
 بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ  
 الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} ﴿١٧٧﴾.

ثم قال تعالى: { وَأَتُوا الْبُيُوتَ } وادخلوها { مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتُّوا اللَّهَ } في السر والعلن { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ويتحقق الفلاح في الدنيا والآخرة بدرجة التقوى واليقين، ثم قال تعالى: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } وفي سبيل إقامة دينه في الأرض { الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا } على الذين لم يقاتلونكم { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } كقوله تعالى في سورة الممتحنة: { لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ .

ثم قال تعالى: { وَأَقْتُلُوهُمْ } أي الذين يقاتلونكم { حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ } وأينما وجدتموهم { وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ } أي من دياركم بمكة المكرمة كما ورد في تفسير الطبري { وَالْفِتْنَةُ } وتعذيب المؤمنين وإخراجهم من ديارهم وأموالهم طيلة ثلاثة عشر عام { أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ } الذي حصل خطأ في أول يوم رجب، ثم أقر تعالى حرمة المسجد الحرام فقال: { وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ } فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ { ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { فَإِنْ أَنْتَهُوْا } عن

تعذيبكم وإخراجكم من دياركم وأموالكم وقتالكم وعن كفرهم { فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } فيغفر الله لهم.

ثم قال تعالى: { وَقَتِلُوهُمْ } أينما كانوا { حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ } وينتهي العدوان على المدينة المنورة وعلى المسلمين، وتخرجوهم من حيث أخرجوكم { وَيَكُونَ الدِّينُ } والحكم والتشريع في الأرض تاماً { لِلَّهِ } تعالى { فَإِنَّ أَنْتَهُوْا } عن قتالكم والاعتداء عليكم { فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } المعتدين، ولذلك قاتل الرسول ﷺ كل القبائل التي شاركت في غزوة الأحزاب، وقال ﷺ: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، وبدأ ببني قريظة في المدينة المنورة حتى استتب الأمن فيها، وفتحت مكة المكرمة، وأخرجوهم من حيث أخرجوا المسلمين، ودانت جزيرة العرب له ﷺ، وبايعه وفود العرب.

ثم أكد تعالى حرمة الأشهر الحرم فقال: { الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ } فلا قتال ولا عدوان فيها { وَأُحْرِمَتْ قِصَاصٌ } أي الوقوع فيها قصاص، فالقاتل يقتل، ويقام الحد على الزاني والسارق وهكذا { فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ } في الأشهر الحرم { فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ } فيها { بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ } دون زيادة { وَاتَّقُوا اللَّهَ } دائماً وأبداً { وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } يحبهم ويؤيدهم وينصرهم ويجيب دعوتهم { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } وفي إقامة دينه في الأرض من تعليم القرآن والسنة وفقه ودعوة الناس

للدین بالحکمة والموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنکر،  
 وغيره { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } بانشغالکم عن إقامة الدین في  
 الأرض { وَأَحْسِنُوا } في کل ما استرعاکم الله فيه، وما شرع لکم ف { إِنَّ اللَّهَ  
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } ويثيبهم عليه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة آل  
 عمران: { فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
 الْمُحْسِنِينَ } ١٤٨ ورحمته تعالى قريب منهم لقوله تعالى في سورة الأعراف: {  
 إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } ٥٦ ولهم ما يشاؤون في الآخرة لقوله  
 تعالى في سورة الزمر: { لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ  
 الْمُحْسِنِينَ } ٣٤ فأنفقوا في سبيل الله لإقامة دينه في الأرض وأحسنوا.

### الملخص: -

بين تعالى الغاية من الأهلة، وهو تحديد المواقيت للناس وآجال  
 ديونهم وصومهم وفطرمهم وعدة نسائهم والشروط التي بينهم، ولمعرفة  
 مواقيت الحج، ونهى تعالى عن دخول البيوت من ظهورها إذا أرادوا الحج،  
 وأمر تعالى بمقاتلة المعتدين على المدينة المنورة لاستتباب الأمن فيها،  
 وإخراج الكافرين من حيث أخرجوا المسلمين من مكة المكرمة، والإنفاق  
 في سبيل الله تعالى حتى يقام دينه في الأرض، وأكد تعالى حرمة المسجد  
 الحرام والأشهر الحرم وبدأ القتال فيها.

(١٩٦-١٩٧) الأمر بإتمام مناسك الحج والعمرة والتزود لهما، وبيان بعض الأحكام المتعلقة بهما.

وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦٦﴾  
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٦٧﴾

شرَّع الله تعالى للمسلمين فقال: { وَأْتِمُوا } مناسك { الْحَجِّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ } ولا تستحلوا شيئاً من المحظورات والمحرمات، وذلك من النية بأحدهما حتى التحلل منهما { فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ } ومنعتم من إتمام الحج أو العمرة، كما منع المشركون الرسول ﷺ عام الحديبية من العمرة في السنة السادسة من الهجرة، وعقد رسول الله ﷺ الصلح مع قريش ثم يعود للعمرة من العام

القادم مع أصحابه {فَمَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} فنحر رسول الله ﷺ هديه وحلق، ورجع بأصحابه إلى المدينة المنورة.

ثم قال تعالى: {وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ} إن أمنتم {حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ} وينحر {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ} فاضطر لحلق رأسه قبل إتمام المناسك {فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ} ثلاثة أيام متتابعة أو متفرقة {أَوْ صَدَقَةٍ} لسته مساكين، نصف صاع لكل منهم {أَوْ نُسُكٍ} بذبح شاة لفقراء مكة المكرمة، أو بقرة أو بدنة {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} لأداء الحج {فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ} أي قبل اليوم الثامن من ذي الحجة {فَمَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} أي فعلية فدية شاة أو ما فوقها {فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ} الهدى لفقره {فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ} يصومها من أول يوم من ذي الحجة {وَسَبْعَةٌ} أي وسبعة أيام يصومها {إِذَا رَجَعْتُمْ} من الحج {تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ} فذلك {الْحُكْمُ} لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ {أي إذا كان سكنه خارج حدود الحرم} وَاتَّقُوا اللَّهَ {في حجكم وعمرتكم وسائر شؤونكم} وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {في الدنيا والآخرة لمن استحل شيء من محظورات الحج أو العمرة.

ثم قال تعالى: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ } من شوال إلى الوقوف بعرفة {  
فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ} على نفسه {فَلَا} يحل له الـ {رَفَثَ} لأزواجه {وَلَا  
فُسُوقَ} من المحظورات والمحرمات {وَلَا جِدَالَ} المؤدي للتشاحن  
والتخاصم {فِي الْحَجِّ} ثم قال تعالى: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ} عموماً ومن  
عبادات ونوافل وأخلاق ومعاملات {يَعْلَمُهُ اللَّهُ} لا تخفى عليه خافية {  
وَتَزَوَّدُوا} بالمال والزاد والطعام للحج والعمرة لما يغنيكم عن السؤال {فَإِنَّ  
خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} في الأمور كلها من عبادات وأخلاق ومعاملات {  
وَأَتَّقُونِ} وخافوني واخشوني {يَأُولِي الْأَلْبَابِ} المؤمنون والموقنون بي  
واليوم الآخر.

الملخص: -

شرع الله تعالى إتمام مناسك الحج والعمرة لمن أحرم بأحدهما أو  
كلاهما، فإن منع الحاج أو المعتمر فعليه أن ينحر هديه ويحلق شعر  
رأسه، ويتحلل من الإحرام ثم يرجع، وإن أمن فلا يحل له حلق شعر رأسه  
حتى ينحر الهدى، فمن كان مريضاً أو به أذى من رأسه واضطر للحق  
قبل الوقوف بعرفة فعليه فدية من صيام ثلاثة أيام، أو صدقة على ستة  
مساكين نصف صاع، أو نسك بذبح شاة أو ما فوقها، فمن تمتع من  
العمرة إلى الحج فعليه فدية ما استيسر من الهدى، فمن لم يجد لفقره

فعلية صيام ثلاثة أيام متتابة أو متفرقة من أول ذي الحجة، وسبعة أيام إذا رجع إلى بلده، وحذر تعالى من مخالفة أحكامه بشديد عقابه، ويحرم على من نوى الحج الرفث للأزواج والفسوق بفعل المعاصي والجدل المؤدي للخصام، وأمر تعالى بالتزود للحج والعمرة بما يغني عن السؤال والتزود بالتقوى فهو خير.

(١٩٨-٢٠٣) اباحة الاتجار في الحج والعمرة، والأمر بكثرة الذكر والاستغفار، وبيان حكم تعجيل أو تأخير النفرة من منى.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٦٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿١٧٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ



فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا  
أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤٣﴾

يقول تعالى: { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ } ولا إثم { أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ } بالتجارة والتماس الرزق أثناء الحج والعمرة { فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ } وانصرفتم { مِّنْ عَرَفَاتٍ } إلى المزدلفة بعد غروب الشمس { فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } أي بمزدلفة، ويُذَكَّر الله تعالى فيها بالدعاء والصلاة، حيث يجمع فيها بين صلاة المغرب والعشاء قصرًا، ويصلى فيها الفجر، ثم قال تعالى: { وَادْكُرُوهُ } بكثرة التكبير والصلاة حمدًا وشكرًا { كَمَا هَدَيْتُمْ } أي لما هداكم لدينه ومناسككم { وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ } أي قبل إسلامكم { لَمِنَ الضَّالِّينَ }.

ثم قال تعالى: { ثُمَّ أَفِيضُوا } وانصرفوا { مِّنْ حَيْثُ أَفَاضَ } وانصرف { النَّاسُ } من المزدلفة، وسبب نزولها أن أهل الحرم كقريش وغيرهم كانوا لا يخرجون إلى المزدلفة قبل الإسلام أثناء حجهم كما ورد في تفسير الطبري، فأمرهم الله تعالى بالذهاب إلى المزدلفة مع الناس، ثم قال تعالى: { وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ } أي وأكثروا من الاستغفار { إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } ثم قال تعالى: { فَإِذَا قَضَيْتُمْ } وأديتم { مَنَسِكَكُمْ } بعد النحر وأيام التشريق { فَادْكُرُوا اللَّهَ } كثيرًا { كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ } أي كما كنتم تتفاخرون وتمجدون

وتعظمون آبائكم قبل الإسلام {أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} منهم على ما هداكم، ثم قال تعالى: {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا} بائعًا آخرته بدنياه {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ} أي ليس له رغبة في الخير، ولا في الآخرة، ولا صلاح في الدين كما وردت المعاني في قاموس لسان العرب.

ثم قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} وهو مؤتمر بأمره تعالى متقيًا عذابه {فَأُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ} في الدنيا والآخرة {مِمَّا كَسَبُوا} لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ﴿٩٧﴾ ثم قال تعالى: {وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} لا يشغله شيئًا عن شيء، فيحاسب الإنس والجن في آن واحد، كما يسمعهم ويرزقهم ويجيب دعواهم في آن واحد، ثم قال تعالى: {وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} قيل هي أيام التشريق وعند رمي الجمرات، وتشمل العشر الأول من شهر ذي الحجة التي أقسم الله تعالى بها في سورة الفجر لما ورد في سنن النسائي الكبرى ومسند الإمام أحمد بن حنبل بصيغ عن جابر بن عبد الله (رل ع) عن النبي ﷺ قال: "إنَّ العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة المفرد، والشفع يوم النحر"، والتي هي من الأيام العظيمة عند الله تعالى لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل

وغيره بصيغ عن بن عمر (رل ع) عن النبي ﷺ قال: ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه لأيام العشر، فأكثرُوا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد"، ثم قال تعالى: {فَمَنْ تَعَجَّلَ} بالنفرة من منى للرجوع لأهله {فِي يَوْمَيْنِ} بعد يوم النحر {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ} فبات الليلة الثالثة {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى} الذنوب والمحارم في كلا الحالين {وَأَتَّقُوا اللَّهَ} في جميع أموركم من عبادات وأخلاق ومعاملات {وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} فتحاسبون على أعمالكم.

الملخص: -

يبين تعالى أن لا حرج من التماس الرزق في الحج والعمرة، والحض على الاكثار من ذكره تعالى بعد الإفاضة من عرفات، وكثرة الصلاة والاستغفار عند المشعر الحرام بمزدلفة، والانصراف من المزدلفة مع الناس، والاكثار من الاستغفار وذكره تعالى إذا قضاوا مناسك الحج، وحذر من طلب خير الدنيا ونسيان الآخرة، وأرشدهم إلى طلب الجمع بين خير الدنيا والآخرة، وبين تعالى أن لا حرج على من تعجل بالنفرة من منى بعد يومين من يوم النحر، أو تأخر لليوم الثالث لمن اتقى المحارم في كلا الحالين، كما ذكر تعالى بكثرة ذكره عموماً في العشر الأول من ذي الحجة وأيام التشريق بعد يوم النحر.

(٢٠٤-٢١٢) ضرب المثل للنقيضين من الناس، والأمر بالدخول في

السلم والإسلام، والتحذير من استدراج الشيطان.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي  
قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ اللَّهُ الْخَصَّامُ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ  
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ  
بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ ۗ وَجَهَنَّمُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ  
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي  
السَّلْمِ كَافَّةً ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن  
زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ  
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ  
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ  
وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ  
لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا  
فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

يضرب الله تعالى المثل بالنسبة لدينه للنقيضين من الناس للرسول

والمؤمنين فيقول: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } صلى الله عليه وسلم

كصفة أولى، والثانية { وَيُشْهَدُ اللَّهُ } مقسمًا بيمينه { عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ } من

صدق وإيمان { وَهُوَ } في الحقيقة { أَلَدُّ } غلظ الطبع شديد { الْخِصَامِ } لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين { وَإِذَا تَوَلَّى } وأمر وغاب عن الأنظار { سَعَى } في الأَرْضِ { وعمل جاهداً } لِيُفْسِدَ فِيهَا { كلَّ صلاح } وَيُهْلِكَ { ويدمر } { الْحَرْثَ } من الزروع { وَالنَّسْلَ } أي ويهلك الذرية { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } علاوةً على ذلك { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ } واخش عقوبته في الدنيا والآخرة { أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ } والحمية { بِالْإِثْمِ } والباطل { فَحَسَبُهُ } وجزائه { جَهَنَّمَ } وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ { أي الطريق والمنهج الذي مهده لنفسه، والآية نزلت كما ورد في تفسير الطبري في الأخنس ابن شريق قدم على رسول الله ﷺ فزعم أنه يريد الإسلام، وحلف أنه ما قدم إلا لذلك، ثم خرج فأفسد أموالاً من أموال المسلمين، فأحرق زرعهم وقتل حُمُرهم، فله وأمثاله خزي في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة المائدة: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ٣٣ .

ثم ضرب الله المثل للنقيض من الناس فقال: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي } أي يبيع { نَفْسَهُ } ويبدلها حرصاً على { أَبْتِغَاءِ مَرْضَاتِ اللَّهِ } وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ { والآية نزلت في صهيب بن سنان اشترى نفسه من المشركين

بأهله وولده وماله على أن يدعو ودينه، فتركهم في مكة وهاجر إلى المدينة كما ورد في تفسير سفيان الثوري، وكغيره من المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم وهاجروا إلى المدينة المنورة ابتغاء مرضات الله تعالى.

ثم أمر الله تعالى المؤمنين فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ } أي في الإسلام كما ورد في تفسير مجاهد { كَافَّةً } أي جميعاً، وحثهم تعالى فقال: { وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } فيستدرجكم لمعصية الله تعالى ورسوله ﷺ { إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } أي بين وأظهر عداوته لكم كقوله تعالى في سورة النساء: { لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا } ١١٨ { وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أَمْنِيَّتَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا } ١١٩ { يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا } ١٢٠ والآية نزلت كما في تفسير مقاتل بن سليمان والطبري عن عكرمة: قوله ادخلوا في السلم كافة قال: نزلت في ثعلبة وعبدالله بن سلام وبن يامين، وأسد وأسيد بني كعب، وسعياً بن عمرو، وقيس بن زيد، كلهم من يهود قالوا: يا رسول الله، يوم السبت يومٌ كنا نعظمه، فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها الليل فنزلت يا أيها الذين آمنوا ادخلوا

في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان، فنهاهم الله تعالى عن قيام الليل بغير القرآن كونه ناسخ ومهيمن على دين، ثم حذرهم الله تعالى فقال: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ} مصيرين على المعصية {مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ} في القرآن والهدى والإرشاد من الله تعالى {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} له جنود السماوات والأرض، يسلط ما يشاء من جنوده على من يشاء، وهو تعالى الغالب في جميع أسمائه وصفاته {حَكِيمٌ} عدل في كل ما يقضي ويمضي، ولا يظلم ربك أحداً، {هَلْ يَنْظُرُونَ} أو ينتظرون إن أصروا على معصيتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ {إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ} كقوله تعالى في سورة الزمر: {لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ وَيَعْبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ثم قال تعالى: {وَقَضَى الْأَمْرَ} أي وقامت الساعة ولا سبيل للتوبة ولا المغفرة {وَالِلَّهِ تُرْجَعُ} وتصير {الْأُمُورُ} لا راد ولا معقب لحكمه.

فإن كانوا في شك {سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَ آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ} وحجة وبرهان ودليل {بَيِّنَةً} جليات واضحات، فأعرضوا وكفروا {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ} كفراً وظلماً وطغياناً {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} بسننه وجزاءاته في الدنيا والآخرة، ثم بين الله تعالى عقوبة الذين كفروا فقال: {زَيْنٌ} أي زين الله تعالى {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} بسبب عنادهم واستكبارهم على

هدي الله تعالى { الْحَيَوةُ الدُّنْيَا } أوَّلًا، وينسهم تعالى حظهم من الآخرة، كما { وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا } ثانيًا، فلهم عقوبة في الدنيا وفي الآخرة لقوله تعالى في سورة النمل: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ } ثم قال تعالى: { وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ } في درجات الجنان منعمون { يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ } بما يشاء بعدله وعلمه ، فيرزقهم { بِغَيْرِ حِسَابٍ } وما ربك بظلام للعبيد.

#### الملخص: -

بيّن الله تعالى بالنسبة لدينه صفات النقيضين من الناس، الغليظ الشديد الخصام المفسد في الأرض المهلك للحرث والنسل، وبالذي يبيع نفسه ويبذلها ابتغاء مرضاته تعالى، ويأمر الله تعالى المسلمين بالتمسك بدينه، وعدم اتباع خطوات الشيطان، وتوعد متعمدي الانحراف عن هديه بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، كما حلّ ببني إسرائيل.



(٢١٣-٢١٤) بيان الغاية من إرسال الرسل، وأسباب الاختلاف، وأن التمحيص والاختبار من سننه تعالى.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ إِلَّا إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

يبين الله تعالى الغاية من إرسال الرسل فقال: { كَانَ النَّاسُ } على دين آدم (عس) { أُمَّةً } مسلمة { وَاحِدَةً } فكثروا واختلَفوا كقوله تعالى في سورة يونس: { وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا... } ﴿١٩﴾ والخلاف الأول كان بين من آمن ومن كفر، والخلاف الثاني لما دب الشرك بينهم، كقول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وكمشركي قريش، وكان الخلاف الثالث بين المؤمنين في فهم النصوص والأحكام المتعلقة بالدين، وحصل خلاف رابع بين كل تلك الفرق بسبب تغليب المصالح الخاصة على مصالح الدين { فَبَعَثَ اللَّهُ } تعالى { النَّبِيِّنَ } وجعلهم {

مُبَشِّرِينَ} للذين آمنوا وصدّقوا { وَمُنذِرِينَ} للذين كذبوا وكفروا واستكبروا، لتذكركم بسنة الله تعالى الخالدة من آدم (عس) في قوله تعالى في سورة طه: { قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ .

ثم قال تعالى: { وَأَنْزَلَ مَعَهُمْ} أي مع النبيين { الْأَكْتَابَ} أي الكتب المنزلة من عند الله تعالى { بِالْحَقِّ} والعدل والصدق والعدل والقسطاس المستقيم والدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه { لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} ثم أشار الله تعالى إلى الخلافات التي حصلت بين المؤمنين أنفسهم فقال: { وَمَا اخْتَلَفَ} وتخاصم وتقاتل { فِيهِ} أي في الشرائع التي أنزلت إليهم { إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ} وتعلموا شرائعه وأحكامه { مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ} والأمثال والدلائل والبراهين { بَغْيًا} وعدوانًا { بَيْنَهُمْ} بعد أن صاروا شيعًا وأحزابًا، وتعصب كل منهم لرأيه وفهمه، وتضليل فهم غيرهم، ولذلك حذر الله تعالى هذه الأمة من التفرق كما قال تعالى في سورة آل عمران: { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا }  
بِالنَّبِيِّينَ { لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ اَلْحَقِّ بِاِذْنِ اللَّهِ } لَصَدَقَ اِيْمَانُهُمْ { وَاللَّهُ يَهْدِي  
مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى اَنَّ سُنَنَ التَّمْحِيصِ مَاضِيَةٌ فِي النَّاسِ، وَلَا بَدَّ مِنْهَا  
لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: { اَلَمْ } ﴿١﴾ اَحْسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوْا اَنْ يَقُوْلُوْا  
ءَاْمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُوْنَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِيْنَ  
صَدَقُوْا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِيْنَ ﴿٣﴾ وَلِيَتَبَيَّنَ اَيْتُهُمْ اَحْسَنَ عَمَلًا، وَلِذٰلِكَ قَالَ  
تَعَالَى: { اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ  
قَبْلِكُمْ } مِنْ سُنَنِ الْاِبْتِلَاءِ وَالتَّمْحِيصِ { مَسَّتْهُمُ الْبِاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوْا  
حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ وَتٰى نَصْرُ اللَّهِ اَلَا اِنَّ نَصْرَ اللَّهِ  
قَرِيْبٌ }.

وَلتَجْنِبِ الْخِلَافَ وَالتَّفْرُقَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ الْأُمَمِ، يَنْبَغِي عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ  
الْإِجْمَاعَ وَالْإِجْتِمَاعَ عَلَى رَجَالَاتِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ،  
وَالَّذِيْنَ زَكَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ، فَزَكَّا اللَّهُ تَعَالَى السَّابِقِيْنَ مِنْ هَذِهِ  
الْأُمَّةِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُمُ الْمُقْرَبُونَ عِنْدَهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ،  
وَهُمُ الْكَثِيرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالْقَلِيلُ مِنَ الْآخِرِيْنَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ  
الْوَاقِعَةِ: { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ

﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ وَهُمْ الَّذِينَ زَكَّاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ

بما أطلعه تعالى من أمور على غيب لما رواه الإمام البخاري وغيره عن عبد الله بن مسعود (رل ع) عن النبي ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم".

أما القرن الأول فهو قرن الرسول ﷺ وصحابته الكرام، وأما رجال القرن الثاني فهم أئمة الفقه الأربعة، الإمام أبي حنيفة، النعمان بن ثابت التيمي والمولود عام ٨٠هـ والمتوفى في القرن الثاني عام ١٥٠هـ، والإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر المولود عام ٩٤هـ والمتوفى عام ١٧٩هـ، والإمام الشافعي، محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع المولود عام ١٥٠هـ والمتوفى مطلع القرن الثالث عام ٢٠٤هـ، والإمام أحمد بن حنبل المولود عام ١٦٤هـ والمتوفى عام ٢٤١هـ.

أما رجالات القرن الثالث فهم أئمة الحديث، وأولهم الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة والمولود عام ١٩٤هـ والمتوفى في القرن الثالث عام ٢٥٦هـ، والإمام أبو داود، سلمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر المولود عام ٢٠٢هـ والمتوفى عام ٢٧٥هـ، والإمام مسلم، مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري والمولود عام ٢٠٤هـ

والمتوفى عام ٢٦١هـ، والإمام ابن ماجة، محمد بن يزيد الربعي القزويني  
والمولود عام ٢٠٩هـ والمتوفى عام ٢٧٣هـ، والإمام الترمذي، محمد بن  
عيسى بن سورة السلمي الترمذي المولود عام ٢٠٩هـ والمتوفى عام  
٢٧٩هـ، والإمام النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن  
دينار والمولود عام ٢١٥هـ والمتوفى عام ٣٠٣هـ.

الملخص: -

بيّن الله تعالى أنّ الناس كانوا أمة وحدة على الإيمان من آدم  
(عس) ثمّ اختلفوا مؤمن وكافر ومشرك، ودبّ الخلاف بين  
المؤمنين لما صاروا شيعاً وأحزاباً وبغى بعضهم على بعض،  
فبعث الله تعالى النبيين مبشرين لمن اتبع هديه، ومنذرين لمن  
أعرض وكفر، وأنزل الكتب لبيان كل ما اختلف فيه، وهدى الذين  
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق، وأكّد تعالى أن التمحيص من سننه  
تعالى ليتبين أيهم أحسن عملاً، فعلى هذه الأمة الجماع والاجتماع  
على رجالات القرون الثلاثة الأولى لتجنب الاختلاف والتفرق الذي  
حصل بين الأمم التي مضت.

(٢١٥-٢١٨) بيان أوجه الإنفاق وحكم القتال في الأشهر الحرام وعزم

الكفار على صد المسلمين عن دينهم.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ <sup>ط</sup> قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ  
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ <sup>ط</sup> وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ  
﴿٢١٥﴾ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ  
خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ  
اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن  
دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِنْكُمْ  
فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

بين الله تعالى أوجه النفقة فقال: { يَسْأَلُونَكَ } أي المؤمنون { مَاذَا  
يُنْفِقُونَ } أي ما هي الأشياء التي ينفق منها فـ { قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ } أدنى {  
خَيْرٍ } يستفاد وينتفع منه، سواء من مال أو علم أو حسن خلق، أو حكمة  
أو نصيحة أو علاج، أو تعليم قرآن أو فقه في الدين، أو صحبة سالحة

أو الرفق في كل شيء، أو أمر بالمعروف أو نهي عن منكر، أو بر فليكن { فَلِلْوَالِدَيْنِ } أي فابدأ بما ينتفع به الوالدين أولاً { وَالْأَقْرَبِينَ } ثانياً من زوجة وأولاد وأقارب وأرحام لتعزيز العلاقة الأسرية والأرحام { وَالْيَتَامَى } ثالثاً الأقرب فالأقرب { وَالْمَسْكِينِ } رابعاً وهم الذين دخلهم لا يزيد عن حاجتهم { وَابْنِ السَّبِيلِ } خامساً، وهو المسافر المنقطع ولا مال له ليرجع إلى وطنه وذلك لتوطيد العلاقة الاجتماعية ليأمن المجتمع، ثم قال: { وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ } أدنى { خَيْرٍ } وفي أي وجه من الوجوه { فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } يضاعف أجره إلى ما يشاء لقوله تعالى في سورة البقرة: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } ﴿٢٦١﴾ .

ثم قال تعالى: { كُتِبَ } وفرض { عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ } في سبيل الله تعالى وإقامة دينه في الأرض، وفي بادئ الأمر كان القتال مفروضاً على الأفراد، فلما قامت الدولة وأصبح لها جيش، تكفلت بالقتال الدولة ولا زال، ويبقى على المسلم أن يبذل جهده لإقامة الدين في الأرض بالوسائل المشروعة، كل بقدر علمه وقدرته ووسعه، وأهمها دعوة الناس للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم قال تعالى عن القتال والجهاد: { وَهُوَ كُرْهُ } ومشقة { لَكُمْ } ولربما { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا }

شَيْئًا وَهُوَ} في الحقيقة {خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ} في ذاته {  
شَرٌّ لَّكُمْ} في الدنيا أو في الدنيا والآخرة {وَاللَّهُ يَعْلَمُ} عاقبة الأمور {  
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

ثم بين تعالى حرمة الأشهر الحرم فقال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ  
قِتَالٍ فِيهِ؟} وذلك لم استنكر كفار قريش قتل المسلمين عمر بن الحضرمي  
في أول يوم من رجب ظنًا منهم أنه آخر يوم من جماد الآخرة، فقل  
قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ} أي هو من الكبائر، ولكن {وَصَدُّ} أي وصد الناس {عَنِ  
سَبِيلِ اللَّهِ} ودينه {وَكُفْرٌ بِهِ} أي بالله تعالى ودينه ورسوله ﷺ {وَالْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ} أي وصد الرسول ﷺ والمسلمين عن المسجد الحرام كما فعل  
المشركون يوم الحديبية قاصدين العمرة {وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ} أي أهل المسجد  
الحرم من المهاجرين {مِنْهُ} ومن ديارهم وأموالهم {أَكْبَرُ} وأعظم جرمًا  
وحرمةً {عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ} واضطهاد المسلمين لردهم عن دينهم {أَكْبَرُ  
مِنَ الْقَتْلِ} في الشهر الحرام.

ثم أكد تعالى فقال: {وَلَا يَزَالُونَ} أي وسيستمر الكفار والمشركين  
وأعداء الدين من كفار أهل الكتاب {يُقْتَلُونَكُمْ} بكل الوسائل المشروعة  
وغير المشروعة {حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ} ولا تبقى لكم باقية {إِنِ



أَسْتَظْعُوهُ} فلا بدّ من مدافعتهم بالوسائل المشروعة { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ  
عَنْ دِينِهِ} بسبب ما يصيبه من أذى { فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ  
وَبَطَلَتْ { أَعْمَلُهُمْ} الصالحة التي عملوها في الإسلام بسبب كفرهم { في  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ { ونزلاءها وعمّارها } هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ { أبداً.

ثم أكد تعالى فقال: { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ } لإقامة دين الله تعالى في الأرض تعليماً ودعوةً { أُولَئِكَ يَرْجُونَ  
رَحْمَتَ اللَّهِ } من هجرتهم وجهادهم، ودعوتهم الناس لدين الله تعالى { وَاللَّهُ  
غَفُورٌ } لما كان منهم { رَحِيمٌ } بهم وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

الملخص: -

بيّن الله تعالى أنّ كل خير ومعروف يمكن البذل منه، مالا أو غيره،  
ويبدأ بالوالدين واليتامى والمساكين وابن السبيل، وبيّن تعالى أنّ الغاية  
من فرض القتال هو إقامة الدين والدولة، وأكد تعالى حرمة الأشهر الحرم،  
وحرمة القتال فيها، وبيّن تعالى أنّ صدّ الناس عن سبيل الله تعالى ودينه  
والكفر به ومنع الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام للعمرة أو الحج،  
وإخراج أهل المسجد الحرام بسبب إسلامهم من ديارهم وأموالهم أعظم  
حرمة من القتل في الأشهر الحرم، وأن الفتنة بتعذيب المسلمين وصدّهم

عن دينهم أكبر إثماً عند الله تعالى، ثم نبه تعالى أن الكفار لن ينتهوا عن مقاتلة المسلمين حتى يردونهم عن دينهم إن استطاعوا، ومن يردد عن دينه فيمت وهو كفراً فقد حبط وبطل صالح عمله في الدنيا والآخرة، ويُخلدون في النار، والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل إقامة دين الله تعالى فرحمته قريب منهم، والله تعالى غفور رحيم.

(٢١٩-٢٢١) بيان أضرار الخمر والميسر والحض على إصلاح أموالهم اليتامى ومخالطتهم، والنهي عن نكاح المشركين.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۚ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاخُونُكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ ۚ وَلَا تُعْجَبْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۚ وَلَا تُعْجَبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس، ومن قيمها المحافظة على النفس وتحريم قتلها، والنهي عن الكسب الغير مشروع، وفي المرحلة الأولى لتحريم الخمر والميسر يقول تعالى: {يَسْأَلُونَكَ} أي المسلمون {عَنِ} حكم {الْخَمْرِ} والخمر هو كل مسكر يخامر العقل ويغيب أو يحد من فاعليته من غير ضرورة، فكل مسكر حرام لما ورد في صحيح الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ"، ولما ورد في سنن الإمام الترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رل ع) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ"، وقال تعالى: {وَالْمَيْسِرِ} أي القمار، وهو كسب المال بغير عوض، وعلى سبيل المراهنة {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ} وفساد ووزرٌ وذنوبٌ {كَبِيرٌ} وعظيم {وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ} وينتفع بالخمر بالاتجار به {وَإِثْمُهُمَا} ووزرهما ومضارهما على المجتمع {أَكْبَرٌ} وأعظم شرٌّ {مِنْ نَّفْعِهِمَا} فما يترتب على الخمر من أضرار صحية واجتماعية أكثر بكثير مما ينتفع به بالتجارة، فالمستفيدون قلة، والمتضررون كثرة، أما الميسر والقمار فيذهب المال دون عوض وعلى سبيل المراهنة، وفي هذه الآية تدرج لتحريمهما في مجتمع ألف فيه الخمر والميسر، فالمسلم مسؤول عند الله عن ماله لما ورد في المعجم الأوسط للطبراني عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رل ع) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَنْ يَزُولَ قَدَمًا

عَبْدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ".

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ <sup>ط</sup> قُلِ الْعَفْوَ } والصفح عن المسيء والمعسر، كقوله تعالى في سورة التغابن: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } <sup>١٤</sup> والعفو شيمة من شيم الكرام والصالحين { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ } والدلائل والأحكام والمواعظ والأمثال { لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } في الغاية من التشريع، وفي عواقب الأمور { فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ }.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى } أي عن حقوق اليتامى ومعاملتهم { قُلِ إِصْلَاحٌ لَهُمْ } أي كل أمر ما يصلح شؤونهم فهو { خَيْرٌ } لكم في الدنيا والآخرة { وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ } بتزويجهم وتشاركوهم في تجاراتكم ومهنتكم لتنمية أموالهم وأحوالهم وقدراتهم، فذلك من عناصر إقامة المجتمع الأمثل في الأرض والذي ينشده هذا الدين العظيم { فَأَخْوَنُكُمْ } أي فاليتامى إخوانكم في الدين، ووجب عليكم رعايتهم وإصلاح أحوالهم، ومن سننه تعالى أن يجعل الطيبين للطيبات والخبيثين للخبيثات، إلا أن يكون ابتلاء، كما ابتلي نوح ولوط - عليهما السلام - بأزواج كافرات { وَاللَّهُ يَعْلَمُ

الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ} قبل خلق الخلق} وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ} وشدد  
وشقّ عليكم دينكم وشرائعكم} إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ فِي كُلِّ أَسْمَاءِهِ  
وصفاته، وله جنود السماوات والأرض، ولا يعجزه شيء في السماوات  
والأرض، ولا يكون شيئاً في الكون إلا بإذنه، ومن عزته تعالى هداية  
المؤمنين وإسعادهم في الدنيا والآخرة، ومعاقبة مخالفين أحكامه وشرائعه  
في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا  
يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ وهو تعالى} حَكِيمٌ} فيما يقضي من شرائع، وما  
يُضِي من سنن الجزاءات في الناس، ولا هم يظلمون.

ثم قال تعالى:} وَلَا تَنْكِحُوا} أي ولا تتزوجوا} الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ  
بالله تعالى} وَلَا أُمَّةٌ} أي وإن تتزوجوا أمةً مملوكةً} مُؤْمِنَةً} بالله تعالى}  
خَيْرٌ مِّنْ} أن تتزوجوا حرةً} مُشْرِكَةٍ} وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ} في جمالها ومالها  
وخلقها وحسبها ونسبها} وَلَا تُنكِحُوا} أي ولا تزوجوا} الْمُشْرِكِينَ} من  
بناتكم المسلمات} حَتَّى يُؤْمِنُوا} بالله تعالى} وَلَعَبْدٌ} أي وإن تزوجوهن من  
عبد مملوك} مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ} أن تزوجهن من} مُشْرِكٍ} وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ} في  
بماله وجماله وخلقها وحسبها ونسبها، ف} أَوْلَاتِكِ} المشركين والمشركات}  
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} بسبب شركهم بالله تعالى} وَاللَّهُ يَدْعُو} لدينه و} إِلَى

أَلْحَتَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ<sup>ط</sup> } ولا يكون شيئاً في الوجود إلا بإذنه ومشئته {  
وَيُبَيِّنُ} تعالى {ءَايَاتِهِ} وشرائعه وأحكامه وحكمته { لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ } ويعقلون الحكمة من التشريع والدين.

الملخص: -

الغاية من التشريع الإلهي إقامة المجتمع المسلم الأمثل للناس في الأرض، فشرع الله تعالى للناس ما يحافظ على أنفسهم وعقولهم وأموالهم، بالإشارة إلى أضرار الخمر والميسر، والتي لا تخفى على عاقل، لما فيهما من دمار وفساد للعقل والمجتمع، وإضاعة المال بالمراهنة، وشرع تعالى العفو والصفح عن المسيء والمعسر، والعناية باليتامى وإصلاح شؤونهم وحسن تأديبهم وتنمية أموالهم وقدراتهم للرفي بالمجتمع، ومشاركتهم في الأعمال وتزويجهم، والله عزيز لا يرضى مخالفة شرعه وأحكامه، حكيم فيما يُشَرِّع وَيَقْضِي وَيُمْضِي من سنن الجزاءات، كما وشرع تعالى حرمة التزواج بين المسلمين والمشركين للمحافظة على الدين واستدامته.

(٢٢٢-٢٢٨) بيان أحكام الحيض، والأمر باجتناب الحلف لمنع

الخير، وبيان بعض أحكام الإيلاء والطلاق.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أَدَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۗ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ۖ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۚ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

يقول تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ { الْمَحِيضِ } أَي عَنْ حُكْمِ مَعَاشِرَةِ

الزوجة في مكان الحيض وأثنائه { قُلْ هُوَ أَدَىٰ } وَضُررِ صَحِي وَنَفْسِي

للمرأة، وقدر ومضرة للرجل { فَأَعْتَزَلُوا } ولا تباشروا { أَلنِّسَاءَ } أي زوجاتكم {  
 فِي الْمَحِيضِ} أي أثناء الحيض وفي مكان الحيض { وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ } في  
 فروجهن { حَتَّى يَطْهَرْنَ } من الحيض { فَإِذَا تَطَهَّرْنَ } من الحيض واغتسلن {  
 فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} أي في فروجهن { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ } من  
 الذنوب { وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } من الأذى، كالحيض والأحداث والجنابة  
 والذنوب، وكانت العرب في صدر الإسلام يجتنبون مساكنة الحيض  
 ومؤاكلتهن ومشاربتهن، فسئلوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية كما ورد في  
 تفسير الماوردي، وبيّنت سنة الرسول ﷺ جواز المبيت والأكل والشرب  
 معهنّ لما ورد في سنن الإمام أبي داود عن عائشة - رضي الله عنها -  
 قالت: كنت أتعرق العظم (أي آكل من اللحم الذي عليه) وأنا حائض  
 فأعطيه النبي ﷺ فيضع فمه في الموضع الذي فيه وضعته، وأشرب  
 الشراب فأناوله فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب منه"، ولما ورد  
 في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رل ع) قال: بينما رسول ﷺ في  
 المسجد فقال يا عائشة ناوليني الثوب، فقالت أني حائض، فقال: إن  
 حيضتك ليست في يدك، فناولته"، ثم قال تعالى: { نِسَاءُكُمْ } أي أزواجكم  
 هنّ { حَرَتْ لَكُمْ } لإنجاب الولد { فَأَتُوا حَرَّتَكُمْ } في مكان الحرث لإنجاب  
 الولد { أُنِّي } وكيف { شِئْتُمْ } ما دام في مكان الحرث، ولما ورد في تفسير  
 الطبري عن جابر بن عبد الله (رل ع) يقول: إنّ اليهود كانوا يقولون: إذا



جامع الرجل أهله في فرجها من ورائها كان ولده أحول"، فأنزل الله تعالى ذكره "نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم"، ثم قال تعالى: {وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ} أي الخير والأعمال الصالحة والذرية، وقيل التسمية عند الجماع كما ورد في تفسير الطبري {وَاتَّقُوا اللَّهَ} في كل ما أمركم ونهاكم وشرع لكم ولا تعتدوا {وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَّوهُ} تعالى ومحاسبكم، فمن يعمل مثقال ذرة خير يره، ومن يعمل مثقال ذرة شر يره في الدنيا والآخرة {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} بالأجر الحسن في الدنيا والآخرة، فيهديهم ويصلح بالهم في الدنيا ويدخلهم الجنة عزفها لهم في الآخرة.

ثم قال تعالى: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ} وقسمكم وحلفكم ومانعاً لـ {أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ} قال ابن جريح كما ورد في تفسير الطبري إن الإنسان يحلف أن لا يصنع الخير والأمر الحسن، يقول حلفت، قال الله افعل الذي هو خير وكفر عن يمينك، ولا تجعل الله عرضة لفعل الخير، أي لا تجعل حلفك مانعاً من فعل الخير {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} لكل شئ في السماوات والأرض {عَلِيمٌ} بما في الصدور، لا تخفى عليه خافية.

ثم قال تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ} وما لا يعتد به من الكلام، أو الحلف {فِي أَيْمَانِكُمْ} كقول أحدكم لا والله وبلا والله {وَلَكِنْ

يُؤَاخِذُكُمْ} ويجرمكم {بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} ونياتكم ومقاصدكم وما انطوت عليه الضمائر {وَاللَّهُ غَفُورٌ} يغفر للمذنبين ويتوب عليهم {حَلِيمٌ} لا يعجل بالعقوبة ويعفوا عن الكثير .

ثم قال تعالى: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ} ويحلفون ويقسمون أن لا يقربوا {مِنْ نِسَائِهِمْ} أي أزواجهن، وهو الحلف المنهي عنه {تَرْبُصٌ} وانتظار ومهلة {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} للمحافظة على الزوجية واستدامتها {فَإِنْ فَاءُوا} ورجعوا قبل انقضاء المهلة وكفروا عن حلفهم {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} لما بدر منهم {رَحِيمٌ} وبالمؤمنين رؤوف رحيم {وَإِنْ عَزَمُوا} أي الزوج والزوجة {الطَّلَاقَ} فتطلق منه {فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} لكل شيء {عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية لقوله تعالى في سورة المجادلة: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ} وينتظرن ويتريثن {بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} أي حيضات أو أطهار {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ} من أجنة {إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} فوجب عليهن الإفصاح عما في أرحامهن {وَبُعُولَتُهُنَّ} أي أزواجهن {أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ} إلى بيت الزوجية {فِي ذَلِكَ} أي قبل انقضاء

عِدْتَهُنَّ { إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا } لما فسد بينهم { وَلَهُنَّ } من حقوق الزوجية { مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ } من الحقوق للرجال { بِالْمَعْرُوفِ } كلُّ بحسب وسعه { وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ } بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا { وَاللَّهُ عَزِيزٌ } لا يرضى مخالفة أشْرعه وأحكامه، وسننه وجزاءاته ماضية في النَّاسِ بإسعاد من اتبع هديه في الدنيا والآخرة، واشقاء من أعرض واستكبر على هديه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: { ... فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } ﴿١٢٤﴾ وله تعالى جنود السموات والأرض يسلطها على من يشاء، ولا يعجزه شيء، وغالبٌ في كلِّ أسمائه وصفاته { حَكِيمٌ } في كلِّ ما يشرع ويقضي ويمضي من سنن وجزاءات في النَّاسِ وهم لا يظلمون.

الملخص: -

ينهى تعالى عن إتيان الزوجات أثناء الحيض، لما فيه من أذى للزوجين حتى يَطْهَرْنَ من الحيض ويغتسلن، وإتيان الزوجات في مكان الحرث لإنجاب الذرية كيف شاءوا، ونهى تعالى أن لا يجعل الحلف بالله تعالى مانعًا عن فعل الخير، وبين تعالى أنه لا يؤاخذ الناس بالحلف بغير قصد، ولكن بما كسبت قلوبهم ومقاصدهم، وشرع تعالى مهلة أربع

أشهر لمن حلف ألا يقرب زوجته ليراجع نفسه لاستدامة الحياة الزوجية، فإن رجع لها فعليه كفارة الحلف، فإن انقضت المهلة فتطلق منه، والمطلقات يتريثن ثلاث حيضات أو أطهار لتأكيد من براءة الرحم من الحمل، ولا يحل لهن كتمان ما في أرحامهن، وأزواجهن أحق بردهن للزوجية قبل انقضاء المهلة إن أرادوا إصلاحًا بينهم، والله تعالى عزيز لا يقبل إلا حكمة وشرعه، وحكيم فيما يشرع للناس.

(٢٢٩-٢٣٢) بيان بعض أحكام الطلاق، وحقوق المطلقة وحكم الخلع، والتحذير من مخالفة أحكامه تعالى.

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٦﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ

ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا  
تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ  
بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

الزوجية هي فطرة الله تعالى في جميع خلقه لقوله تعالى في سورة  
الذاريات: { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } ﴿٤٩﴾ فجاءت  
شرائع الإسلام لتعزيز الزوجية وتوطيدها، لاستدامتها ما دامت ممكنة،  
وبيّن تعالى الطلاق المسنون فقال: { الطَّلَاقُ } إذا تعثرت الحياة الزوجية {  
مَرَّتَانِ} وفي هذه الآية إشارة إلى النهي عن الطلاق بالثلاث، وعلى أن  
تكون كل طلقة في طهر لم يجامعها فيه، ولا تخرج المرأة من بيت الزوجية  
لقوله تعالى في سورة الطلاق: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ  
لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا  
يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ  
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا } ﴿١﴾ فجعل الله  
تعالى للزوج مهلة ثلاثة أشهر بعد التظليقة الأولى ليراجع نفسه، فإن عاد

للزوجية قبل انتهاء المهلة، تحسب عليه طلقة واحدة، فإذا انقضت المهلة، فليس له مراجعتها إلا بعقد ومهر جديدين، وله طلقتان، ثم جعل تعالى للزوج مهلة أخرى ثلاثة أشهر إن طلقها الثانية، فإن انقضت المهلة، فله أن يرجع لزوجته بعقد ومهر جديدين، وله طلقة واحدة، وبعد التطليقة الثانية {فَامْسَاكٌ} ورجوع للزوجية {بِمَعْرُوفٍ} وحسن عشرة {أَوْ تَسْرِيحٌ} وطلاق وفراق {بِإِحْسَانٍ} بعد التطليقة الثالثة، وعلى الزوجة أن تعتد ثلاثة أشهر، ثم لها أن تتزوج من غيره، إلا إذا كانت حاملاً فعدتها وضع الحمل.

ثم قال تعالى: {وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ} معشر الأزواج {أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا} أي من المهر وما جادت به أنفسكم من عطايا أثناء الزوجية، ثم قال تعالى: {إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} وأرادت الزوجة الخلع من زوجها {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} نفسها للخلع، وبما يرضى به الزوج {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا} ثم حذر تعالى فقال: {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} وسننه وجزاءاته تعالى قائمة بإشقاء من يتعد حدوده في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى} ﴿١٢٤﴾ ثم قال تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا} أي

التطليقة الثالثة { فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ } وتتزوج { زَوْجًا غَيْرَهُ }<sup>ق</sup>  
 زواجًا دائمًا لا خداع ولا حيلة فيه { فَإِنْ طَلَّقَهَا } الزوج الثاني { فَلَا جُنَاحَ  
 عَلَيْهِمَا } أي الزواج الأول { أَنْ يَتَرَاجَعَا } للزوجية بعقد ومهر جديدين { إِنْ  
 ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ } لبعضهما { وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }  
 ويلتزمون بأحكامه تعالى وشرائعه.

ثم قال تعالى: { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ } بعد التطليقة الأولى  
 أو الثانية { فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ }  
 وتراجعوهن { ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا } أي بنية إلحاق الضرر بهن، معرضين عن  
 هدي الله تعالى { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ } فسننه وجزاءاته تعالى لا  
 تتخلف عن أحد لقوله تعالى في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ  
 لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى }<sup>١٣٤</sup> ثم حذر تعالى فقال: { وَلَا  
 تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ } وأحكامه وشرائعه { هُزُوعًا } وسخرية وهزلًا { وَأَذْكُرُوا  
 نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } بعد أن كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم، وجعلكم خير أمة  
 أخرجت للناس، وأيدكم بنصره، واذكروا نعمه تعالى { وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ  
 الْكِتَابِ } أي القرآن العزيز { وَالْحِكْمَةِ } وسنة رسول الله ﷺ { يَعِظُكُمْ }  
 ويُرشدكم { بِهِ } ويهديكم { وَاتَّقُوا اللَّهَ } وراقبوه واحذروا مخالفته، فالتقوى

رأس الحكمة ومفتاح كل خير { وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } لا تخفى عليه خافية ويعلم ما وفي الصدور .

ثم قال تعالى: { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ } معشر الأولياء { فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ } ولا تمنعهن { أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ } أي أن يرجعن لأزواجهن قبل انقضاء المهلة { إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ } والاحسان { ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } والحساب والجزاء { ذَلِكَمُ أَرْكَى لَكُمْ } وأتقى وأنقى لقلوبكم { وَأَطْهَرٌ } لإيمانكم { وَاللَّهُ يَعْلَمُ } ما يصلح شؤونكم في الدنيا والآخرة { وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } .

الملخص: -

الزوجية هي فطرة الله تعالى في خلقه، ولذلك جاءت شرائع الله تعالى لاستدامتها ما أمكن ذلك، فبين تعالى أن الطلاق المباح مرتان، ومهلة ثلاثة أشهر بعد كل تظليقة للرجوع للزوجية، فإن طلقها الثالثة، فلا يحل له أن يأخذ منها شيئاً من مهر أو هدية، وإن أرادت الزوجة الخلع من زوجها فلا حرج فيما افتدت به نفسها منه، وإن طلقها الثالثة فلا تحل أن ترجع له حتى تنكح وتتزوج من غيره زوجاً دائماً لا خداع فيه، فإن طلقها الزوج الثاني، فلا جناح ولا إثم عليهما أن يتراجعا بعقد ومهر جديدين، وإن طلقها طلاقاً رجعيّاً فلا يراجعها بقصد الإضرار بها وإطالة عدتها،



والاعتداء على شرع الله تعالى، وعلى ولي أمر الزوجة ألا يمنع وليته من الرجوع للزوجية إذا تراضوا بينهم بمعروف قبل نهاية العدة.

(٢٣٣ - ٢٣٥) بيان أحكام الرضاعة واسترضاع المولود، وعدة المتوفى عنها زوجها، وحكم التعريض للزواج من المعتدة.

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنِ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَكُمْ سَتَدُكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى

يَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَحْذَرُوهُ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٧٥﴾

لأهمية الرضاعة الصحية للأم والنفسية للمولود، شرع الله تعالى  
للأمهات رضاعة موالدهن لعامين فقال: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ  
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ } أي سنتين { لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ } فللرضاعة فوائد  
صحية ونفسية جمّة للمرضع وللمولود، وقد تبين أنّ الأمهات اللاتي  
أعرضن عن رضاعة موالدهن أصبن بسرطان الرحم وأمراض أخرى  
تصديقاً لقوله تعالى في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً  
ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } ﴿١٢٤﴾ ولذا لا زالت الحملة مستمرة من  
نصف قرن أو أكثر لحض الأمهات على الرضاعة الطبيعية { وَعَلَى الْمَوْلُودِ  
لَهُ } أي الزوج أو الوارث إذا توفي الزوج { رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ }  
من غير سرف ولا تقتير { لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ } من النفقة { إِلَّا وُسْعَهَا } وما  
تطبق، ولأهمية الرضاعة للمولود حذر الله تعالى الأبوين فقال: { لَا تُضَارَّ  
وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا } أي لا تآبى ولا ترفض الأم مطلقاً أو غير مطلقاً رضاعة  
المولود لتشقّ وتضيق على الزوج { وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ } بولده { } أي ولا يمنع  
الزوج الأم سواء مطلقاً أو غير مطلقاً أن ترضع وليدها، فيذهب به إلى  
امرأة أخرى لترضعه ليحزنها، والمولود هو المتضرر في كلا الحالين }

وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ<sup>ق</sup> { أَي وَعَلَى وَاثِ الْيَتِيمِ إِذَا مَاتَ الْأَبُ مِثْلُ مَا عَلَى  
الْأَبِ مِنَ النِّفْقَةِ وَالْكَسْوَةِ وَعَدَمِ الْإِضْرَارِ بِالْأُمِّ { فَإِنْ أَرَادَا } أَي الزَّوْجَيْنِ {  
فِيصَالًا } أَي فَطَامَ الْوَلَدَ قَبْلَ عَامَيْنِ { عَنِ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ }  
وَلَا حَرَجَ وَلَا إِثْمَ { عَلَيْهِمَا }<sup>ظ</sup> وَلَا هِيَ الرِّضَاعَةُ، أَبَاحَ تَعَالَى اسْتِرْضَاعَ الْمَوْلُودِ  
فَقَالَ: { وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ } مِنْ امْرَأَةٍ أُخْرَى لِمَرْضِ الْأُمِّ أَوْ  
عَجْزِهَا عَنِ رِضَاعَةِ الْمَوْلُودِ لِمُدَّةِ سِنَتَيْنِ { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ  
مَاءَءَاتَيْتُمْ } مِنْ نِفْقَةِ الْمَرْضِعِ { بِالْمَعْرُوفِ }<sup>ظ</sup> مِنْ غَيْرِ اسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ { وَأَتَّقُوا  
اللَّهَ } فِي التَّقْوَى صِلَاحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ نَبَّهَ تَعَالَى وَحَدَّرَ فَقَالَ: {  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {  
وَالَّذِينَ يُتَوَقَّفُونَ مِنْكُمْ } مَعْشَرَ الرِّجَالِ { وَيَذَرُونَ } وَيَتْرَكُونَ { أَزْوَاجًا } أَرَامِلَ {  
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ } وَيَنْتَظِرْنَ { أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا }<sup>ط</sup> أَي وَعِشْرَةَ أَيَّامٍ، لِلتَّأَكُّدِ  
مِنْ بَرَاءَةِ الرَّحِمِ مِنَ الْحَمْلِ، أَوْ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا إِذَا كَانَتْ حَامِلًا { فَإِذَا  
بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ } وَانْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ وَمَهَلَّتُهُنَّ { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ } مَعْشَرَ  
الْأَوْلِيَاءِ { فِيْمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ } مِنْ زِينَةٍ { بِالْمَعْرُوفِ }<sup>ظ</sup> دُونَ إِسْرَافٍ وَلَا  
تَفْرِيطٍ { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } عَلِيمٌ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَلَا جُنَاحَ } وَلَا حَرَجَ وَلَا إِثْمَ { عَلَيْكُمْ } مِمَّنْ يُوَدُّ الزَّوْجَ  
مِنَ الْأَرْمَلَةِ { فِيْمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ } مِنْ تَلْمِيحٍ { مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ } اللَّاتِي تُوفِي

عنها زوجها} أو أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ} بالزواج من هُنَّ {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} لتختلوا بهن {إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا} ثم بين تعالى أجل عقد الزواج فقال: {وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ} على الأرملة {حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ} أي بعد انقضاء عدتها، بعد أربعة أشهر وعشر أيام، أو تضع حملها، وقد أشارت الأبحاث إلى أن الصبغة الجينية لماء الزوج لا تختفي من رحم الأم إلا بعد هذه المدة {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} فمن أعرض عن هدي وشرع الله تعالى فقد ظلم نفسه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ وَمَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} ﴿١٢٤﴾ ولا يظلم ربك أحداً، ثم قال تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} لمن تاب واستغفر {حَلِيمٌ} لا يعجل بالعقوبة ويعفوا عن كثير.

الملخص: -

لأهمية الرضاعة من فوائد صحية للأم ونفسية للمولود شرع الله تعالى إتمام الرضاعة للمولود لمدة عامين، وبين أن على الزوج رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وبحسب يسر الحال، وبين تعالى أنه لا يجوز للمرضع الإعراض عن رضاعة المولود لإلحاق الضرر بالزوج، لا يجوز للزوج منع أمه من رضاعة وليدها لإلحاق الضرر بالأم، فإن توفي الزوج

فعلى الوارث النفقة والكسوة، وعدم الإضرار بأمه، ولا إثم على الوالدين فطام المولود وفصاله قبل سنتين إذا تراضوا بينهم، ولا حرج من استرضاع الوليد من امرأة أخرى لتمام السنتين، على تُمْنَح المُرْضِع حقها بالمعروف.

(٢٣٦-٢٤٢) بيان حقوق المُطَلَّقة قبل وبعد تسمية المهر، والأمر بالمحافظة على الصلوات، وبيان حقوق الزوجة بعد وفاة الزوج.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرَهُ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

### تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

بين الله تعالى حقوق المطلقة قبل وبعد تسمية المهر فقال: {لَا جُنَاحَ} ولا إثم ولا ذنب {عَلَيْكُمْ} إن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ {أي أن تطلقوا الزوجة} مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ {أي قبل الدخول بهن} أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً {المهر} وَمَتَّعُوهُنَّ {بعطايا من مال وغيره جبرًا لخواترهن} عَلَى الْمَوْسِعِ {المقتدر متاع} قَدْرُهُ {ووسعه} وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ {بما يستطيع} مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا {وَجِبًا} عَلَى الْمُحْسِنِينَ {والله يحب المحسنين، ورحمته قريب منهم لقوله تعالى في سورة الأعراف: {... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} ﴿٥٦﴾ ولا يضيع أجرهم لقوله تعالى في سورة التوبة: {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} ﴿١٢٠﴾.

ثم قال تعالى: {وإن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً} أي المهر {فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} أي فلها نصف المهر {إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ} أي أن تعفوا المطلقة عن نصف المهر {أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ} أي أو يعفوا المطلق عن كامل المهر للمطلقة {وَأَنْ تَعْفُوا} معشر الأزواج {أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} ثم ذَكَرَ تعالى فقال: {وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ}

والكرم والجود والإحسان أن يكون {بَيْنَكُمْ} ف{إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فليكرم وليجود وليحسن بكم لبعض رغم ما كان بينكم من طلاق.

ثم قال تعالى: {حَافِظُوا عَلَيَّ} أداء {الصَّلَوَاتِ} المفروضة في أوقاتها، فهو من الإحسان، وخصّ تعالى فقال: {وَالصَّلَاةَ الْوَسْطَى} أي صلاة العصر {وَقَوْمُوا} الليل {لِلَّهِ قَلْبَيْنِ} خاشعين متضرعين مبتهلين {فَإِنْ خِفْتُمْ} العدو أو غيره {فَرَجَالًا} أي فصلوا ماشين على أرجلكم {أَوْ رُكْبَانًا} أي على ما ترحلون عليه من وسائل، ولا يشترط عند الخوف التوجه للقبلة {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} من الخوف {فَاذْكُرُوا اللَّهَ} وأقيموا الصلوات {كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} من أحكام وشرائع.

ثم قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} فعليهم كتابة {وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ} أي فعليهم نفقة وسكنى ومتاعاً لسنة كاملة {غَيْرِ إِخْرَاجٍ} أي من غير إخراجهن من بيوتهن {فَإِنْ خَرَجْنَ} طوعاً من أنفسهن {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ} وحكم هذه الآية منسوخ بعد أن فرض الله تعالى نصيب الزوجات من التركة بعد وفاة الزوج في قوله تعالى في سورة النساء: {... وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ}... {١٢} كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان

وغيره، ثم قال تعالى: {وَاللَّهُ عَزِيزٌ} لا يقبل إلا حكمه وشرعه، وغالب في كل أسمائه وصفاته، وله جنود السماوات والأرض، وسننه وجزاءاته تعالى قائمة في الناس بإسعاد من اتبع هديه وأشقاء من أعرض في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ لا يستثنى تعالى أحدًا، وما ربك بظلام للعبيد، وهو تعالى {حَكِيمٌ} فيما يشرع ويقضي ويمضي من سنن في الناس.

ثم قال تعالى: {وَاللَّمْطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} فلها متاع بالمعروف إذا لم يسمى المهر، ولها نصف المهر إذا سمى المهر وتم تحديده ولم يدخل بها، ولها كامل المهر بعد الدخول بها ثم طلقها فـ {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ} وشرائعه وأحكامه {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} الحكمة من التشريع.

الملخص: -

بين تعالى أن لا حرج ولا إثم بتطبيق النساء قبل تسمية المهر وقبل الدخول بهن، على أن يجعل لهنّ متاع من مال وكسوة حقًا وواجبًا على المحسنين، وإن طلقوا من قبل الدخول بهن من بعد تسمية المهر، فلها النصف، إلا أن يعفون عن حقهن، أو يعفوا الزوج عن كامل المهر،



ولهنّ كامل المهر إذا تمّ الدخول بهنّ، وأمر تعالى بالمحافظة على أداء الصلوات في أوقاتها، وخصّ صلاة العصر وقيام الليل، فإن كان خوف فالصلاة سيرًا على الأقدام، أو على ما يرتحل عليه، ولا يشترط التوجه للقبلة عندها، وذكر تعالى بمشروعية متاع المطلقة بالمعروف.

(٢٤٣-٢٤٨) ضرب المثل لفضل الله تعالى على الناس، والأمر بالقتال والإنفاق في سبيل إقامة دينه تعالى، وإبطال حيل الملاء من بني إسرائيل.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَلَمَّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَرِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

طَلُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُو بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَعَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

يقول تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ { وَخَوْفِ { أَلْمَوْتِ } وَقِيلَ مِنَ الطَّاعُونَ كَمَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَشَهَادَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ لِمَا وَرَدَ فِي مَسْنَدِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ عَنِ أَنَسِ (رَلَع) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الطَّاعُونَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ شَهَادَةٌ"، وَهُوَ عَذَابٌ لِمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِنَا لَمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ عَنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رَلَع) قَالَ: قَالَ ﷺ: إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رَجَزٌ سَلِطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا"، { فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ } وَلَعَلَّهُ بَعْدَ ذَهَابِ الطَّاعُونَ، كَمَا نَجَّى تَعَالَى أَصْحَابَ الْكَهْفِ { إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ }.

ثم قال تعالى: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } أي لإقامة دينه في الأرض إلى أن تحتكم البشرية لحكمه لقوله تعالى في سورة الأنفال: { ... وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } ... } وحيث أن الدول تكفلت بالقتال واعداد الجيوش، فسقط القتال عن عموم المسلمين، وبقي البذل لإقامة الدين في الأرض بالدعوة لدين الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وبالوسائل المشروعة، ثم قال تعالى: { وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } بكل شيء وبما في الصدور، { فَمَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } في سبيل إقامة دين الله تعالى في الأرض { فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأَضعَافًا كَثِيرَةً } إلى سبعمئة ضعف أو يزيد { وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ } رزقه وفضله بعدله وعلمه، ولا يظلم ربك أحدًا { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } فلا تتوانوا ولا تهنوا ولا تضعفوا لإقامة دينه تعالى في الأرض.

ثم قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ حِيلِ { الْمَلَأِ } وكبار القوم وأشار فهم { مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ } وفاة { مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } ولو صدقوا، لكان قتالهم مع النبي أولى بالنصر، فهو المؤيد من الله تعالى، وبعزوفهم عن القتال مع النبي لم يكونوا كما قال تعالى في سورة آل عمران: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا

أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا<sup>ظ</sup> وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾  
فكان طلبهم بمثابة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير .

ولذلك { قَالَ } لهم نبيهم { هَلْ عَسَيْتُمْ } ولعلكم { إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا } وتجنبون { قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا  
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا } أي وأخرج أبنائنا من ديارهم { فَلَمَّا كُتِبَ } وفرض {  
عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا } وتقاوسوا { إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ } وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ { وما  
تخفي صدورهم من مكرٍ وحيلٍ } وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ  
طَالُوتَ مَلِكًا { فاستكبروا و } { قَالُوا أَنَّى } وكيف { يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ  
أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ } فأرادوا الملك لأنفسهم، وقالوا: { وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ }  
ولأنهم أصحاب المال، { قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ } واجتباها وفضله { عَلَيْكُمْ  
وَزَادَهُ بَسْطَةً } وسعة { فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } أي قوة في الجسم { وَاللَّهُ يُؤْتِي  
مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ } بعدله وعلمه والأصلح لدينه { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } في عطائه {  
عَلِيمٌ } بمن يستحق الملك والفضل { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ } وبرهان {  
مُلْكِهِ } عليكم { أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ } الذي تستفتحون به على عدوكم كما  
ورد في تفسير مقاتل بن سليمان وأخذ منكم، و { فِيهِ سَكِينَةٌ } وطمانينة {  
مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ } وكان فيه عصا موسى  
وعصا هارون، ولوحان من التوراة، والمن كما ورد في تفسير الطبري {

تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً { ودليل { لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ } حَقًّا { مُؤْمِنِينَ }  
وتريدون القتال في سبيل الله تعالى.

الملخص: -

ضرب الله تعالى المثل لفضله على الذين خرجوا من ديارهم خائفين من الطاعون، فأماتهم الله تعالى، فلما ذهب الطاعون أحياهم بفضله، وأمر تعالى المسلمين بالقتال والإنفاق في سبيل إقامة دينه تعالى في الأرض ليضاعف أجورهم أضعاف كثيرة، واستنكر تعالى على حيل الملأ وأشرف القوم من بني إسرائيل من بعد موسى (عس) إذ طلبوا من نبي لهم أن يبعث عليهم ملكًا ليقاتلوا في سبيل الله، وغايتهم أن يكون الملك لأنفسهم، فأخبرهم نبيهم أن الله تعالى جعل طالوت ملكًا عليهم، فقالوا: لم يؤت سعة من المال، فبين لهم إن الله تعالى اصطفاه وزاده بسطة وسعة في العلم وقوة في الجسم، ويأتيه التابوت الذي يستفتحون به، وفيه سكينة وطمأنينة، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، فدحض الله تعالى حيلهم.

(٢٤٩-٢٥٢) تخاذل الملاء من بني إسرائيل عن طالوت (عس)، وقتل

داوود لجالوت.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَقَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

قال تعالى: { فَلَمَّا فَصَلَ } وخرج { طَالُوتُ بِالْجُنُودِ } لملاقاة جالوت وجنوده { قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ } وممتحنكم { بِنَهَرٍ } ليتميز الفريقان الصادق والكاذب { فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي } وليس على هدي { وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي } وعلى ديني، كقوله ﷺ: " مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا " والذي ورد في صحيح الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا - ثم استثنى فقال: {إِلَّا مَنْ أَغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ} قال قتادة: " كان الكفار يشربون فلا يروون، وكان المسلمون يغترفون غرفة فيجزئهم ذلك" كما ورد في تفسير الطبري { فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا {الصادقون، والذين هم} قَلِيلًا مِنْهُمْ}.

ثم قال: { فَلَمَّا جَاوَزَهُ } وعبر النهر { هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا } أي الذين شربوا من النهر { لَا طَاقَةَ } ولا قدرة { لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } أي لا طاقة لنا بقتال جالوت وجنوده، ونكصوا على أديبارهم راجعين، ف { قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلِّقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِئَةٍ } وجموع { قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ } وبمشيئته وعدله وعلمه { وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } يؤيدهم وينصرهم { وَلَمَّا بَرَزُوا } وتراءوا { لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } دعوا الله تعالى ف { قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ } وأغدق وصب { عَلَيْنَا صَبْرًا } من لدنك { وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا } عند اللقاء { وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } المستكبرين المعرضين { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ } ومشيئته وتأيدته ونصره { وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ } وهزم جنوده { وَعَاتَهُ اللَّهُ } أي لداوود { الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ } بعدله وعلمه ما في القلوب من صدق إيمان.

ثم قال تعالى: { وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ } أي ولولا سننه تعالى بتأييد المؤمنين في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة غافر: { إِنَّا

لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} ٥١  
وتعذيب الكافرين في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران: {  
فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ  
نَّاصِرِينَ} ٥٦ أي فلولا تلك السنن التي تعهد الله تعالى بإقامتها في الناس {  
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} وضاعت الحقوق وهدمت صوامع وبيع ومساجد كقوله  
تعالى في سورة الحج: {... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتِ  
صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ  
مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} ﴿٥٦﴾.

ثم قال تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} بسننه التي لا  
تتخلف عن أحد أبداً، {فَتِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ} وأدلته وبراهينه وحججه {نَتْلُوهَا  
عَلَيْكَ} وعلى أمتك {بِالْحَقِّ} والعدل والصدق والعدل والقسطاس المستقيم،  
والدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه {وَإِنَّكَ} يا رسول  
الله ﷺ {لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} وأولي العزم من الرسل.

الملخص: -

لما فصل وخرج طالوت بالجنود لملاقاة جالوت قال لمن معه: إن  
الله تعالى مبتليكم وممتحنكم بنهر، فمن شرب منه فليس مني ولا على  
هدي، ومن لم يطعمه فهو مني، إلا من اغترف غرفة بيده فلا حرج



عليه، فشربوا إلا قليلا منهم، فلما جاوز طالوت (عس) النهر والذين آمنوا معه قال العصاة: لا طاقة ولا قدرة لنا بقتال جالوت وجنوده وانسحبوا على أدبارهم، وقال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله تعالى، ولما تراءى الجمعان دعا الذين صدقوا قائلين: ربنا أفرغ وأغدق علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، وقتل داوود (عس) جالوت، وآتاه تعالى الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء، ولولا سننه تعالى بنصر المؤمنين ودحر الكافرين لفسدت الأرض وضاعت الحقوق، ولكن الله تعالى ذو فضل على العالمين، فتلك آيات الله تعالى وبراهينه وحججه يتلوها تعالى عليك وعلى أمتك بالحق، وإنك يا رسول الله ﷺ لمن المرسلين.

(٢٥٣-٢٥٤) بيان تفضيل الرسل على بعض، وبيان أسباب اقتتال أتباعهم، والحض على الإنفاق في سبيل الله.

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ  
 دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ  
 اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ  
 اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ

اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ  
أَنْ يَأْتِيَّ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

يقول تعالى: { تِلْكَ الرُّسُلُ } الذين بعثهم الله تعالى، وتم ذكر بعضهم  
في القرآن العزيز { فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } بعلمه وعدله، ولا يظلم ربك  
أحدًا، كقوله تعالى في سورة الإسراء: { ... } وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى  
بَعْضٍ ۗ وَعَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ففضل تعالى رسول الله ﷺ على سائر  
المرسلين واختار أصحابه له ﷺ لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل  
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رل ع) قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ  
قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ  
نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ  
الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ".

ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة (رل ع) أَنَّ رَسُولَ  
اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ، أُعْطِيتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنَصِرْتُ  
بِالرَّعْبِ، وَأَحْلَتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجَعَلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْرًا وَمَسْجِدًا، وَأَرْسَلَتْ  
إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَحُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ".

وجعل تعالى دينه ﷺ ناسخ لكل دين لقوله تعالى في سورة البقرة: {  
مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ﴿١٠٦﴾ ولذلك أخذ تعالى الميثاق على جميع النبيين بالإيمان  
به ونصرة ﷺ لقوله تعالى في سورة آل عمران: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ  
النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا  
مَعَكُمْ لْتُؤْمِنُنَّ بِهِءِ وَلْتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي  
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ﴿٨٢﴾.

وجعل دينه ﷺ مهيمن على كل دين، لقوله تعالى في سورة المائدة: {  
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا  
عَلَيْهِ فَآخُذْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ  
...} ﴿٤٨﴾.

وأرسل ﷺ لكل الناس وأمرُوا باتباعه لقوله تعالى في سورة الأعراف: {  
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۚ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

وكان ﷺ إمام الأنبياء والمرسلين ليلة الإسراء والمعراج، وجعل تعالى أمته خير أمة أخرجت للناس، ولو آمن كفار أهل الكتاب به ﷺ لكان خيرا لهم لقوله تعالى في سورة آل عمران: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } ﴿١١٠﴾ .

ثم قال تعالى: { مِّنْهُمْ } أي من الرسل { مَن كَلَّمَ اللَّهُ } كموسى (عس) { وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ } على بعض { وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ } أي الإنجيل والأدلة والحجج والبراهين { وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ } أي بجبريل (عس).

ثم قال تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ } أي اتباعهم من بعد الرسل { مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ } وكان اقتتالان، الاقتتال الأول، لما تفرق اتباع كل رسول شيعةً وأحزابًا فاقتتلوا، والاقتتال الثاني

كان بين من آمن بالرُّسل التي جاءت من بعدهم، مع من كفر بهم، ولذلك قال {وَلَكِنَّ اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ} بالرسل التي جاءت من بعدهم {وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ} بهم، كما اقتتل من آمن من اليهود بعيسى (عس) مع من كفر منهم كما قال تعالى في سورة الصف: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۗ فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} ﴿١٤﴾ ثم قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ} فيما بينهم جميعاً {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} بعلمه وعدله، ولا يظلم ربك أحداً، وفي هذه الآية إشارة لتحذير هذه الأمة من التفرق شيعاً وأحزاباً والاقْتتال.

ثم قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ} مما وجبت فيه الزكاة أو الصدقات، وفي سبيل إقامة دين الله تعالى في الأرض ودعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة {مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ} الحساب والذي {لَا بَيْعُ فِيهِ} أي لا تشتري فيه الحسنات، ولا يؤخذ عوض عن السيئات {وَلَا خُلَّةٌ} أي ولا تنفع صحبة ولا صداقة {وَلَا شَفَعَةٌ} لأحد إلا

بإذن الله تعالى { وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } لأنفسهم بكفرهم وعنادهم وعصيتهم واستكبارهم.

الملخص: -

أشار تعالى إلى تفضيل رسله بعضهم على بعض بعلمه وعدله، كما اختار محمد ﷺ لدينه وجعل أصحابه وزراء له، وأخذه تعالى ميثاق الأنبياء بالإيمان به ونصره، وأنه أرسل لجميع الناس، وجعل أمته خير أمة أخرجت لهم، كما وكلم تعالى موسى (عس)، وأيد عيسى ابن مريم (عس) بروح القدس جبريل، ولو شاء تعالى ما اقتتل اتباع الأنبياء من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات، ولكن اختلفوا شيعًا وأحزابًا، ومؤمنًا وكافرًا بالرسل فاقتتلوا، وحضّ تعالى على الإنفاق من زكاة وصدقات وفي سبيل إقامة الدين في الأرض.

(٢٥٥-٢٥٧) أعظم آية في القرآن، وبيان أن لا إكراه في الدين،  
وتأكيد موالاته تعالى للمؤمنين.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي  
الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ  
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ  
الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

### خَلِيدُونَ ﴿٢٥٧﴾

آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن لما ورد في سنن البيهقي عن  
عبدالله بن عمر (رل ع)، حيث يقول الله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} المستحق  
للعباداة {إِلَّا هُوَ} تعالى {الْحَيُّ} الذي لا يموت، والأول والآخر {الْقَيُّومُ} أي  
القائم على تدبير الكون وصيانته لاستمرار بقائه لقوله تعالى في سورة

فاطر: { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } ﴿٤١﴾ والقائم على خلقه وكل ما يتعلق بوجودهم إلى الأجل المسمى، وعلى كل نفس بما عملت { لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ } ولا نعاس ولا غفوة { وَلَا نَوْمٌ } ف { لَهُ } وحده تعالى كل { مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } وما بينهما { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ لِّغَيْرِهِ } عنده { يوم القيامة } إلا { بِإِذْنِهِ } ومشيتته { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } من ملائكة وإنس وجن، وما هم مشغولون فيه وبه { وَمَا خَلْفَهُمْ } أي ويعلم ماضيهم وما يستقبلون { وَلَا يُحِيطُونَ } معرفة { بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ } الذي قال عنه تعالى في سورة لقمان: { وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } ﴿٢٧﴾ .

ثم استثنى تعالى فقال: { إِلَّا بِمَا شَاءَ } أي إلا بقدر ما شاء تعالى أن يُعلم من علم { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ } ومختصر ما ورد في تفسير الطبري أن الكرسي وسع السماوات والأرض، وقال بعضهم: هو علم الله تعالى، وورد في كتاب العظمة للأصبهاني عن أبي ذرِّ (رل ع): عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرِي "



فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْكَرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ " ثم قال: { وَلَا يُوَدُّهُ } أي ولا يعجزه ولا يرهقه ولا يشق عليه { حِفْظُهُمَا } إلى الأجل المسمى { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } " والعلو هو القهر والغلبة، والكبرياء والسؤدد، والعظمة عبارة عن القدر، والمنزلة، والسلطان، ونفاذ الأمر، والمشية " كما ورد مختصراً عن الماتريدي.

ثم قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ } ولا إجبار { فِي الدِّينِ } والإيمان، كقوله تعالى في سورة الكهف: { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ } فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا } ﴿٢٩﴾ وقد زين تعالى لكل أمة عملهم كما قال تعالى في سورة الأنعام: { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ﴿١٠٨﴾ ﴿١٠٩﴾ قد تبين { وأصبح جلياً واضحاً بالقرآن العزيز { الرُّشْدُ } والهدى { مِنَ الْغَيِّ } والضلال { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ } المعرضين المعاندين المستكبرين على هدي الله

تعالى ورسوله ﷺ { وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ }  
 ولا انقطاع ولا انكسار { لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } بكل شيء وبذات الصدور .  
 ف { اللَّهُ } هو { وَوَلِيُّ } وناصر ومؤيد وهادي ومعز { الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم }  
 بهديه ودينه { مِّنَ الظُّلُمَاتِ } أي من ظلمات الكفر والضلال { إِلَى النُّورِ }  
 واليقين والرشد والإيمان والفرقان { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُم } وأنصارهم  
 ومؤيدوهم { الطَّاغُوتُ } المعرضون المعاندون المستكبرون على هدي الله  
 تعالى { يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ } واليقين والرشد والإيمان والفرقان { إِلَى  
 الظُّلُمَاتِ } والريب والخُبل والكفر والضلال، ف { أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ } ونزلاء  
 وعمَّار { النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } مخلدون، ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم  
 ينظرون .

الملخص: -

يؤكد تعالى أن لا حاجة لإكراه أحد على الدين بعد الإسلام، فقد  
 تبين به الرشد والحق والهدى، والغى والضلال، فمن يكفر بالطاغوت  
 الخارجين المعاندين العاصين المستكبرين على هدي الله تعالى، ويؤمن  
 ويتمسك بهديه تعالى وتشريعه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام ولا

انقطاع ولا انكسار لها، وهو تعالى وليّ ومؤيد وناصر وهادي الذين آمنوا فيخرجهم من ظلمات الكفر والضلال والإلحاد إلى نور واليقين والإيمان والرشاد، والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى ظلمات، وأولئك أصحاب النار وعمّارها، هم فيها خالدون مخلدون.

(٢٥٨-٢٦٠) تأكيد تأييد أولياء الله، وضرب الأمثال على الإحياء .  
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى جِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ

أَوْلَمَ تُوْمِنُ قَالِ بَلَىٰ وَلَكِن لَّيَطْمِئِنُّ قَلْبِي قَال فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ  
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا  
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٦﴾

يضرب الله تعالى مثلاً لاستعلاء ونكران الطغاة من خلقه تأكيداً  
لقوله تعالى في سورة العلق: { كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ ﴿٦﴾ أَنْ رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ }  
فيقول: { أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ } أي ألم يأتك خبر { الَّذِي } قيل هو نمرود بابل الذي {  
حَاجَّ } وجادل { إِبْرَاهِيمَ فِي } وحدانية وألوهية { رَبِّهِ } أَنْ عَاتَلَهُ } أي لما آتاه  
وأورثه { اللَّهُ الْمَلِكُ } والسلطان، وكان الأولى له أن يشكر نعمة الله عليه {  
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ } لما سأله النمرود: من ربك؟ فقال: { رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ }  
في الإنس والجن والحيوان والزرع والخلق { قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ } جدلاً  
واستكباراً، ويعني أنه يمكنه أن يعفو عن من حُكِمَ عليه بالموت فيبقيه  
حيًّا { قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ } كلَّ يوم { فَأْتِ بِهَا مِنَ  
الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ } واندھش وتحير وتصاغر { الَّذِي كَفَرَ } أي النمرود {  
وَاللَّهُ } من سننه أن { لَا يَهْدِي } ويضل عن دينه وهديه { الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }  
المستكبرين المعاندين، بل ويعذبهم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في

سورة آل عمران: { فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ } ٥٦ .

وضرب مثلاً آخر فقال تعالى: { أَوْ كَالَّذِي } قيل هو عَزِيزٌ، الذي  
ادعت يهود أنه ابن الله لَمَّا { مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ } قيل هي بيت المقدس بعد أن  
غزاها بُخْت نَصْر { وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } أي خالية من سكانها مدمرة  
بيوتها ف { قَالَ أَنِّي } وكيف { يُحْيِي هَذِهِ } اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا { وتدميرها } فَأَمَاتَهُ  
الله مِائَةَ عَامٍ { فعمرت بسكانها وبيوتها } ثُمَّ بَعَثَهُ { وأحياه } ف { قَالَ } له  
تعالى: { كَمْ لَبِثْتُمْ } أي مِيتًا؟ { قَالَ } ظَنَنَّا { لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ } شيءٍ من {  
يَوْمٍ } قَالَ بَل لَّبِثْتُمْ { مِيتًا } مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ { إلى عجيب قدرته تعالى } إِلَى  
طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ { طرياً } لَمْ يَتَسَنَّهْ { ولم يتعفن } وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ  
ءَايَةً { وحجة وبرهاناً لك } وَلِلنَّاسِ { على عظيم قدرته تعالى } وَانظُرْ إِلَى  
الْعِظَامِ { من حمارك } كَيْفَ نُنشِرُهَا { ونُقيمها واقفةً، ثم نبنيها بعد أن بليت }  
ثُمَّ نَكْسُوهَا { ونلبسها ونُغْطِيهَا } لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ { وظهر جلياً واضحاً } لَهُ {  
عظمة قدرته تعالى } قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { أي لا يعجزه  
شيء في الأرض ولا في السماء .

وضرب مثلاً آخر فقال تعالى: { وَإِذْ } أي ولما { قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي }  
 كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى } بعد موتها { قَالَ } تعالى: { أَوَلَمْ تُؤْمِنُ } أي بقدرتي؟ { قَالَ }  
 بَلَى { أَمَنْتَ } وَلَكِن { أَرِيدُ أَنْ أُرِيَ بِعَيْنِي } { لِيُظْمِنَنَّ } وَيَسْكُنَنَّ { قَلْبِي } وَيَخْشَعَنَّ {  
 قَالَ } تعالى: { فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ } وقطعهن واخبطهن كما  
 ورد في تفسير مقاتل بن سليمان { ثُمَّ أَجْعَلُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا }  
 وَعَضُوءًا { ثُمَّ أَدْعُهُنَّ } متى وأين تشاء { يَا تَيْنَكَ سَعْيًا } أحياء يطرون { وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ } لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وليس كمثلها  
 شيء، غالب في كل أسمائه وصفاته { حَكِيمٌ } فيما يُشْرَعُ ويخلق ويحكم  
 يقضي ويمضي من سنن.

الملخص: -

يضرب الله تعالى مثلاً على جُحود من استغنى بجُحود نمرود بابل،  
 لما سأل إبراهيم (عس) من ربك؟ فقال: ربي الذي يحي ويميت الخلائق،  
 قال: أنا أحي وأميت بعفوي عمّن حُكِمَ عليه بالموت، فحجّه إبراهيم (عس)  
 قائلاً: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتني بها من المغرب، وعمّر  
 لعزير قرية بيت المقدس بعد أن دُمرت بيوتها خاوية الساكنين بعد أن

أَمَاتَهُ تَعَالَى مِئَةَ عَامٍ، وَأَبْقَى تَعَالَى طَعَامَهُ طَرِيًّا، وَأَحْيَا حِمَارَهُ، وَلَمَّا أَرَادَ إِبْرَاهِيمَ (عَس) أَنْ يَرَى كَيْفَ يُحْيِي تَعَالَى الْمَوْتَى، فَسَعَتْ طَيْرَانًا إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ وَوَضَعَ كُلَّ عَضْوٍ وَجْزًا مِنْهَا عَلَى جَبَلٍ.

(٢٦١-٢٦٤) الْحُضُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْمَنِّ، وَقَوْلُ الْمَعْرُوفِ لِلْمَحْتَاجِينَ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ إِبْطَالِ ثَوَابِ الصَّدَقَاتِ.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ \* قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

يحفز الله تعالى المؤمنين على الإنفاق في سبيله فيقول: { مَثَلُ } أجر  
 وثواب { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ } وصدقاتهم { فِي سَبِيلِ اللَّهِ } ومرضاته،  
 للسائلين والمحتاجين، وإقامة دينه في الأرض بتعليم الناس الدين،  
 ودعوتهم للإسلام بالحكمة ولموعظة الحسنة { كَمَثَلِ حَبَّةٍ } زُرعت فـ  
 أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ } فأصبحت سبعمئة حسنة {  
 وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} بعدله وعلمه النية التي أنفقت من أجله، وما  
 تخفيه الصدور { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } في العطاء والرزق والفضل { عَلِيمٌ } بمن  
 يستحق الفضل، وبكل شيء، ورحمته قريب منهم لقوله تعالى في سورة  
 الأعراف: { ... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } ﴿٥٦﴾ .

ثم نبه تعالى فقال: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } للمحتاجين،  
 وإقامة دين الله تعالى في الأرض { ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ } صدقاتهم و { مَا أَنْفَقُوا }  
 مَنًّا { وَتَأْفَافًا وَسُئْمًا، وَلَا انْتِقَاصًا } وَلَا أَدَى { أي ولا تدمر ولا سخط ولا  
 احتقار، فـ { لَهُمْ أَجْرُهُمْ } في الدنيا والآخرة { عِنْدَ رَبِّهِمْ } وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } لقوله تعالى في سورة آل عمران: { فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ  
 الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } ﴿١٤٨﴾ فـ { قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ }



بطلاقة وجه، وطيب نفس، وحسن خلق { وَمَغْفِرَةٌ } وعفو سماح وصفح {  
 خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ} وسُخْط وتذمُّر { وَاللَّهُ غَنِيٌّ } لا حاجة له  
 لصدقاتكم، ولا تُنْقِص عطاءاته شيئاً من خزائنه لما ورد في صحيح الإمام  
 مسلم مختصراً عن أبي ذر (رل ع) عن رسول الله ﷺ يرويه عن ربه  
 قال: " يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ  
 فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا  
 يَنْقُصُ الْمَخِيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ "، وغايته تعالى من الأمر بالإنفاق  
 تمحيص الصادقين عن المنافقين وغيرهم، ومضاعفة الحسنات والدرجات  
 في الجنان { حَلِيمٌ } يعفو عن كثير، ولا يعاجل بالعقوبة.

ثم يُرشد الله تعالى المنفقين فيقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا }  
 أجر وثواب { صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ } والممل والتضجر { وَالْأَذَى } في الأقوال  
 والأفعال، فيذهب أجر صدقتكم سدىً وهدراً { كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ } وصدفته  
 نفاقاً و { رِيَاءَ النَّاسِ } ليروا نفقته { وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } حقاً  
 وصدقاً { فَمَثَلُهُ } ومثل صدفته { كَمَثَلِ صَفْوَانٍ } أي حجر عريض أملس  
 نقي لا كدر فيه { عَلَيْهِ تُرَابٌ } يخفيه ويستره { فَأَصَابَهُ وَابِلٌ } مطر غزير  
 فكشفه وأزال ما عليه من التراب { فَتَرَكَهُ صَلْدًا } أي صلباً أملس بيناً

ظاهراً، مفضوحاً، فيصبحون يوم القيامة { لَا يَقْدِرُونَ عَلَيَّ } نيل ثواب {  
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا} بسبب كفرهم ونفاقهم { وَاللَّهُ } من سننه { لَا يَهْدِي } لدينه  
وهديه وشرعه وحكمته { الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } عناداً عصياناً واستكباراً، وسنته  
فيهم أن يعذبهم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في لقوله تعالى في سورة  
آل عمران: { فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا  
لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ } ٥٦.

الملخص: -

يضاعف تعالى حسنات المنفقين في سبيله إلى سبعة ضعف،  
وعلى قدر إيمانهم وإخلاصهم، ويحذر تعالى من ابطال الصدقات بالمن  
والتأفف والسُّم والأذى من القول والفعل، كالذي ينفق نفاقاً ومكذباً بالله  
واليوم الآخر، فيوم القيامة لا يقدر على حصول شيئاً من أجر، ومن  
سننه تعالى في الدنيا ألا يهديهم، بل يُضللهم ويعذبهم في الدنيا والآخرة.

(٢٦٥-٢٧٠) ضرب المثل لمضاعفة أجر الصدقات، والتحذير من محبطاتها، والحض على الإنفاق من الطيب، والتحذير من حيل الشيطان.

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٣٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٣٧٠﴾

يضرب تعالى مثل مضاعفة أجر المنفقين في سبيله فيقول: { وَمَثَلٌ }  
 ثواب وأجر { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءً } ورجاء { مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا }  
 لإيمانهم { مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ } أي بأرض مرتفعة { أَصَابَهَا وَابِلٌ }  
 ومطرٌ شديد ضخم القطر كما ورد في قواميس اللغة { فَآتَتْ أُكُلَهَا }  
 وحصيلة ثمرها { ضِعْفَيْنِ } في الموسم { فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا } مطر { وَابِلٌ فَطُلٌّ }  
 أي فنزل عليها طلٌ ضاعف محصول ثمارها { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } لا  
 تخفى عليه خافية، ويعلم حقيقة ما في الصدور .

ثم حذر الله تعالى المؤمنين من عدم الإنفاق في سبيله وإقامة دينه  
 في الأرض بمثلٍ فقال: { أَيَوَدُّ } ويحبُّ { أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ } أي  
 بُستان { مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي } خلالها وتتبع { مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } و { لَهُ }  
 فيها من كلِّ الثَّمَرَاتِ { وَأَصْنَافَهَا } وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ { فَضَعُفَ } ووهن العظم {  
 وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ } لا يقدر<sup>ون</sup> على دفع الضر عن أنفسهم { فَأَصَابَهَا }  
 إِعْصَارٌ { وريح شديدة } فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ { عن آخرها، وأصبحت صرِيمًا }  
 مَقْطُوعَةَ الْفُرُوعِ، ف { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ } وَيُجَلِّي وَيُوضِّح { اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ }  
 والأمثال والبراهين لعقوبة البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله تعالى في

الدنيا { لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } في عواقب أعمالكم وتتعضون، فسِنَّه تعالى قائمة في الناس إلى قيام الساعة لا تتخلف عن أحد كما قال تعالى في سورة طه: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى } ﴿١٢٤﴾ ومن يعمل خيراً أو شراً فلنفسه لقوله تعالى في سورة فصلت: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } ﴿٤٦﴾ .

ثم حذر الله تعالى من تقصّد الخبيث للإنفاق منه، والذي لا يقبله الإنسان لنفسه فيقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا } في سبيل الله تعالى وللوسائل والمحروم، وإقامة دينه في الأرض { مِنْ طَيِّبَاتٍ } وجيد وفاخر { مَا كَسَبْتُمْ } من رزق { وَمِمَّا أَخْرَجْنَا } وانبتنا { لَكُمْ } من الثمار { مِّنَ الْأَرْضِ } والبساتين { وَلَا تَيَمَّمُوا } وتتقصّدوا وتتعمّدوا { الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ } وتتصدقون { وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ } لو أعطيتم منه { إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ } أي إلا أن تقبلونه على مضض وكره { وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ } عن خبيث صدقاتكم { حَمِيدٌ } يشكر فعل المحسنين ويجزيهم عليه في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي  
الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾.

ثم حذر تعالى من همزات وحيل الشياطين فقال: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ} ويخوفكم {الْفَقْرَ} والعوز ونقصان الثروات {وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ} والمنكر والفجور والعصيان {وَاللَّهُ يَعِدُكُم} ويتعهد لكم بـ {مَغْفِرَةً مِّنْهُ} لذنوبكم {وَفَضْلًا} وإحسانًا في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ﴿٩٧﴾ ثم قال تعالى: {وَاللَّهُ وَاسِعٌ} في فضله وعطائه {عَلِيمٌ} بمُستحقِّه، وبكل شيء.

ثم قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ} بالتقوى وصدق وعميق الإيمان {مَنْ يَشَاءُ} من عباده بعدله وعلمه وحكمته، ولا يظلم ربك أحدًا {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ} ومعرفة الغايات من التشريع، واتقان وضع الأشياء في محلِّها وما يناسبها {فَقَدْ أُوتِيَ} ومُنح وأُعطِيَ من الله تعالى {خَيْرًا كَثِيرًا} وفيرًا {وَمَا يَذَّكَّرُ} البينات والمواعظ والغايات {إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} والعقول النَّيِّرة والمتفتحة لهدي الله تعالى، ثم قال تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ} تريدون به وجه الله تعالى {فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} وَمَا لِلظَّالِمِينَ

الكافرين العاصين المعرضين عن هدي الله تعالى { مِنْ أَنْصَارٍ } في الدنيا  
والآخرة لقوله تعالى في سورة الزمر: { كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَتْهُمْ  
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ .

الملخص: -

يضرب تعالى المثل لمضاعفة ثواب الإنفاق بجنة بربوة مرتفعة  
أصابها مطر غزير أو طل فآتت حصاد ثمارها ضعفين، ويحذر تعالى  
من عدم الإنفاق في سبيله بجنة من نخيل وأعناب تتبع وتجري خلالها  
الأنهار، وفيها من كل الثمرات، وأصابها إعصار فيه نار فاحترقت عن  
آخرها، وينهى تعالى عن تقصّد الإنفاق من الخبيث، ويحذر تعالى من  
حيل الشيطان الذي يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء والقبيح من القول والعمل،  
وينبّه تعالى بأنه يؤتي الحكمة بعلمه وعدله من يشاء، ويعلم النفقات  
والنذر، وما للظالمين في الدنيا ويوم القيامة من أنصار.

(٢٧١-٢٧٤) الحز على إخفاء الصدقات، وتأکید أن الهدایة بیده  
تعالی، و بیان مستحقی الصدقات.

إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ <sup>ط</sup> وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ  
وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ <sup>ط</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ \* لَيْسَ  
عَلَيْكَ هُدْنُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ <sup>ط</sup> وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ  
فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ  
إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا  
يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ  
بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا <sup>ط</sup> وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ  
﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

يرشد الله تعالى المتصدقين قائلًا: {إِنْ تُبَدُّوا} وتُظهِرُوا {الصَّدَقَاتِ}  
ليتأسى بها الغير، ولغير المسلمين لتأليف قلوبهم {فَنِعِمَّا} وخير {هِيَ} وَإِنْ  
تُخْفُوهَا {وَتُسِرُّوهَا} وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ {عَمُومًا} فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ {من العلانية،  
كما} {وَيُكَفِّرُ} ويغفر {عَنْكُمْ} مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ {وأوزاركم} وَاللَّهُ بِمَا



تَعْمَلُونَ} من عمل {خَيْرٌ} يعلم الغاية منها، وخبير بذات الصدور وطبائعها.

ثم يؤكّد تعالى فيقول: {لَيْسَ عَلَيْكَ} لزامًا وفرضًا {هُدَاهُمْ} لدين الله تعالى وهديه، فتمنعهم صدقة التطوع ليدخلوا في الإسلام كما ورد في تفسير الطبري {وَلَكِنَّ} إن عليك إلا بلاغ، فإن {اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} بسابق علمه وعدله وحقيقة ما في الصدور {وَمَا تُنْفِقُوا} وتهبوا {مِنْ خَيْرٍ} قلّ أو كثر {فَلِأَنْفُسِكُمْ} أي فلمصلحة أنفسكم، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، وما الإنفاق إلا وسيلة للتقرب إلى الله تعالى لما ورد في صحيح الإمام البخاري مختصرًا عن أنس ابن مالك (رل ع) عن النبي ﷺ يرويه عن ربه قال: "إذا تقرب العبد إليّ شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب مني ذراعًا، تقربت منه باعًا، وإذا أتاني مشيًا أتيتته هرولة".

ثم قال تعالى: {وَمَا تُنْفِقُونَ} أي واجعلوا ما تنفقون من شيء {إِلَّا} أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ} تعالى ومرضاته {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ} قليل أو كثير، سواءً فعله رسول الله ﷺ أو لم يفعله، كقوله تعالى في سورة المزل: {...} وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا

...{٦٠} ثم قال تعالى: {يُوفَّ} أجره وثوابه {إِلَيْكُمْ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة يونس: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ٦١ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٢ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ٦٤ ثم قال تعالى: {وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ} شيئاً ولو قليلاً.

ثم خصّ تعالى الإنفاق على فقراء المهاجرين ومن أهل الصّفة فقال: {لِلْفُقَرَاءِ} المؤمنين {الَّذِينَ أَحْصَرُوا} في مكّة المكرمة وأثناء الهجرة {في سَبِيلِ اللَّهِ} وابتغاء مرضاته، و{لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا} ولا عملاً ولا كدّاً {في الْأَرْضِ} لكسب رزقهم {يَحْسَبُهُمْ} ويظنّهم {الْجَاهِلُ} وغير العارف بحالهم أنهم {أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ} والاحتشام والفضيلة والطهر {تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ} أي تعرفهم بسيما الفقر لتركهم المسألة كما ورد في تفسير مقاتل بن سليمان، فهم {لَا يَسْأَلُونَ} ولا يطلبون {النَّاسَ إِحْتِفَافًا} وستراً لشيء من عوزهم وحاجتهم {وَمَا تُنْفِقُوا} وتتصدقوا به عليهم {مِنْ خَيْرٍ} قليل أو كثير {فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} لا تخفى عليه خافية.

ثم قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ،  
وفي سبيل إقامة الدين وتعليمه، ودعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة،  
وينفقون } بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } في الدنيا  
والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ  
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ } ﴿٩٧﴾ ويزيدهم تعالى هدىً ويؤتيهم تقواهم لقوله تعالى في سورة  
محمد: { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } ﴿١٧﴾ ويجعل الله تعالى  
لهم وداً كما قال تعالى في سورة مريم: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } ﴿٩٦﴾ ثم قال: { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } في الآخرة { وَلَا  
هُمْ يَحْزَنُونَ } على ما فاتهم من نعيم الدنيا.

### الملخص: -

لا يستنكر تعالى إبداء وإظهار الصدقات ليتأسى بها الآخرون،  
وإخفائها خير، وتكفر به السيئات، وبين تعالى أن هداية الناس بإذنه  
تعالى ومشيبته لعلمه حقيقة ما في الصدور، ثم خصّ تعالى الإنفاق على  
الفقراء المتعفين المهاجرين من أهل الصفة، الذين لا يستطيعون ضرباً  
في الأرض لكسب رزقهم، ولا يسألون الناس إلحافاً أو متاعاً، وبين تعالى

أن ثواب النفقة عائد على أصحابها، ولهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا.

(٢٧٥-٢٨١) التحذير من اكتساب الربا وبيان عقوبته، والأمر بالتخفيف عن المغسر، والتذكير بحساب يوم القيامة.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ  
مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ  
الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ  
وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا  
وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ  
الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَإِن تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ  
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾

وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

## يُظْلَمُونَ ﴿٣٨١﴾

يَحْذَرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ اسْتِحْلَالِ الرِّبَا فَيَقُولُ: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} ويستحلونه بأخذ فائدة على الدين بعد حلول أجله، ويزيدون الفائدة كلما زيد في الأجل، فعقوبتهم يوم يبعثون أن {لَا يَقُومُونَ} من قبورهم {إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} والخبل والجنون، {ذَلِكَ} عقوبتهم {بِأَنَّهُمْ} في الدنيا {قَالُوا} إِنَّمَا الْبَيْعُ {وَالْمُتَاجِرَةُ فِيهِ} مِثْلُ {أَخَذَ فَائِدَةً} الرِّبَا {مِنَ الْمُقْتَرِضِ}، وكذبوا {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ} لما فيه من بذل الجهد والاتجار، وتبادل السلع وإثراء الأسواق {وَحَرَّمَ الرِّبَا} بأخذ الفائدة دون جهد ومتاجرة {فَمَنْ جَاءَهُ} وبلغه {مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ} فَأَنْتَهَى {عَنِ التَّعَامُلِ بِالرِّبَا} وتاب واستغفر {فَلَهُ} مَّا سَلَفَ {وَمَا كَسَبَ مِنَ الرِّبَا} قَبْلَ التَّشْرِيعِ {وَأَمْرُهُ} يَوْمَ الْقِيَامَةِ {إِلَى اللَّهِ} يحكم فيه بما يشاء بعلمه وعدله، ولا هم يُظلمون {وَمَنْ عَادَ} في استحلال الربا بعد تحريمه {فَأُولَٰئِكَ} أَصْحَابُ {وَنَزَلَاءِ} النَّارِ {وَقَاطَنُوهَا} والمستقرون فيها {هُم} فِيهَا خَالِدُونَ {مُخَلَّدُونَ}.

ثم بين تعالى أن من سننه وجزاءاته تعالى في الدنيا أن يُذهب عوائد الربا فقال: {يَمْحَقُ اللَّهُ} ويذهب ويُفني عوائد {الرِّبَا} والسحت {وَيُرِي} ويُنمي ويُبارك في {الصَّدَقَاتِ} وأجرها وثوابها في الدنيا والآخرة كقوله تعالى في سورة طه: {... فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ وكقوله تعالى في سورة آل عمران: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخِطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} ﴿١٦٢﴾ ولذلك قال تعالى: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ} جحودٍ معرضٍ مستكبرٍ على هدي الله تعالى {أثيمٍ} منغمس في فعل الحُرُمات، عظيم الذنوب.

ثم أثنى تعالى على المؤمنين فقال: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} واجتنبوا التعامل بالربا {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} من عبادات وأخلاق ومعاملات {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} المفروضة والنوافل {وَعَاتُوا الزَّكَاةَ} لمستحقيها عند حلولها {لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة النحل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً} ﴿١٢٤﴾

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ كذلك { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } في الدنيا والآخرة.

ثم يرشد تعالى المؤمنين فيقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ } في كل ما أمركم به ونهاكم عنه { وَذُرُوا } واتركوا { مَا بَقِيَ } لكم عند الناس { مِنْ الرَّبِّوَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } حقًا وصدقًا { فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا } وأبستم وأعرضتم { فَأَذْنُوا } وأجيزوا وأعلنوا { بِحَرْبٍ } عليكم { مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } ثم لا تتصرون { وَإِن تُبْتُمْ } وعدتم إلى رشدكم { فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ } التي أقرضتموها { لَا تَظْلِمُونَ } الناس حقهم { وَلَا تُظْلَمُونَ } من أموالكم شيئًا، ثم نصح تعالى فقال: { وَإِن كَانَ } الذي أدنتم وأقرضتم { ذُو عُسْرَةٍ } وفقر ومسكنة وعوز { فَانظُرْهُ } ومهلة وتروا { إِلَى مَيْسَرَةٍ } حتى يذهب العسر { وَأَن تَصَدَّقُوا } على المعسر فهو { خَيْرٌ لَّكُمْ } في الدنيا والآخرة { إِن كُنْتُمْ } حقًا { تَعْلَمُونَ } والله يحب المحسنين لقوله تعالى في سورة آل عمران: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ } وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾  
ثم حذر تعالى المؤمنين فقال: { وَاتَّقُوا } واجتنبوا واخشوا { يَوْمًا } عظيمًا شديدًا { تُرْجَعُونَ } وتردون { فِيهِ إِلَى اللَّهِ } ثم توفى { وَتَجَازَى } كل نفس ما

كَسَبَتْ} من خير وشر {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} شيئاً ولو كان مثقال ذرة، أو حبة من خردل.

الملخص: -

يُشَبِّهُ تَعَالَى عَقُوبَةَ مَسْتَحْلِي الرِّبَا عِنْدَ الْبَعْثِ بِالَّذِي يَتَخَبَطُهُ الشَّيْطَانُ بِالْجَنُونَ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لِزَعْمِهِمْ أَنَّ فَائِدَةَ الْبَيْعِ كِفَائِدَةَ الرِّبَا الْمَحْرَمِ، فَمَنْ انْتَهَى فَلَهُ مَا كَسَبَ قَبْلَ التَّشْرِيعِ، وَأَمْرُهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى اللَّهِ بِعِلْمِهِ وَعَدْلِهِ، وَمَنْ عَادَ لِاسْتِحْلَالِ الرِّبَا فَوَجَّهَتْهُ إِلَى النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، وَمَنْ سَنَّه تَعَالَى وَجَزَاءَاتِهِ أَنْ يَمْحَقَ وَيُفْنِيَ عَوَائِدَ الرِّبَا، وَيُبَارِكَ فِي الصَّدَقَاتِ وَيُنْمِيهَا، فَإِنْ أَبَوْا وَأَعْرَضُوا فَقَدْ أَذْنَوْا بِحَرْبِ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تَابُوا فَلَهُمْ أَصْلُ أَمْوَالِهِمْ، ثُمَّ أُرْشِدُ تَعَالَى إِلَى إِمْهَالِ الْمَعْسَرِ إِلَى يَسْرِهِ، أَوْ التَّصَدَّقِ عَلَيْهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.



(٢٨٢-٢٨٣) الأمر بكتابة الدين، أو أخذ الرهن، وإشهاد الشهود،  
والأمر بعدم الإضرار بالكاتب والشهداء.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ  
بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ  
وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ  
بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ  
وَأَمْرَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا  
الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَؤُا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ  
كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا  
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا  
تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا  
فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾  
وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَّقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ

بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ

وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ دَعَا نَفْسَهُ إِلَى أَنْ يَكْتُمَ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

لتوثيق الحقوق وحفظها شرع الله تعالى كتابة الدين فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } بالله تعالى ورسوله ﷺ { إِذَا تَدَايَنْتُمْ } واقترضتم من بعضكم { بَدِيْنٍ } في الحضر { إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } ومدة معلومة { فَأَكْتُبُوهُ } لإثبات المقدار ومدة الأجل { وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ } الدين، بيعًا أو شراءً { كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ } فلا يظلم أيًا من الطرفين { وَلَا يَأْب } ولا يمتنع { كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ } الدين { كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ } تعالى الكتابة والقراءة { فَلْيَكْتُب } الكاتب { وَلْيُمْلِلِ } على الكاتب المُدان، أي { الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ } فيما يُملي ولا يحتال، ولا يُنقص { وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا } قليلًا أو كثيرًا { فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا } قاصرًا أو جاهلًا بالإملاء { أَوْ ضَعِيفًا } عاجزًا عن الإملاء { أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ } لخرسه { أَنْ يُمَلَّ هُوَ } بنفسه { فَلْيُمْلِلْ وَلِيَهُ } أي وكيله { بِالْعَدْلِ } دون زيادة أو نقصان { وَأَسْتَشْهِدُوا } على عقد المُداينة { شَهِيدَيْنِ } عدلين ممن ترضون { مِنْ رِّجَالِكُمْ } الموثق بأمانتهم { فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ } حاضرين { فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ } أَنْ

تَضِلُّ { أو تنسى } إِحْدَهُمَا فَتُذَكَّرُ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ { ولا يمتنع }  
الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا<sup>ج</sup> للشهادة.

ثم أرشد تعالى فقال: { وَلَا تَسْمُوا } ولا تملأوا { أَنْ تَكْتُبُوهُ } أي الدين  
إن كان { صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ } وأوان استحقاقه { ذَلِكُمْ أَقْسَطُ }  
وأعدل { عِنْدَ اللَّهِ } في شرعه وحكمه، و { وَأَقْوَمُ } وأعدل وأصوب { لِلشَّهَادَةِ }  
وإثباتها { وَأَدْنَىٰ } وأحوط { أَلَّا تَرْتَابُوا } ولئلا تشكوا { إِلَّا أَنْ تَكُونَ } المبيعة {  
تِجْرَةً } ليس لها أجل، و { حَاضِرَةً } يدا بيد { تُدِيرُونَهَا } وتتبايعونها { بَيْنَكُمْ }  
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا<sup>ط</sup> وَأَشْهَدُوا<sup>ظ</sup> كتابةً لإثبات المبيعات { إِذَا  
تَبَايَعْتُمْ<sup>ج</sup> } السلع، كما هو معمول به في الأسواق.

ثم أرشد تعالى فقال: { وَلَا يُضَارَّ } أي ولا يكره ولا يجبر { كَاتِبٌ } على  
كتابة الدين لانشغاله { وَلَا شَهِيدٌ } لعذر { وَإِنْ تَفَعَّلُوا } أي الإجماع والإكراه  
للكاتب والشهيد { فَإِنَّهُ فُسُوقٌ } وإثم وعصيان { بِكُمْ }<sup>ظ</sup> ثم قال تعالى: { وَاتَّقُوا<sup>ط</sup>  
اللَّهَ } دائماً وأبداً في كل ما أمرتم به ونهيتم عنه { وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } بالتقوى  
من كل العلوم، كل في تخصصه { وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ } في السماوات

والأرض { عَلِيمٌ } فهو تعالى الذي أعطى كل شيءٍ خلقه وصورته وخواصه  
ثم هداه ليقوم بوظيفته في الكون لقوله تعالى في سورة طه: { قَالَ رَبُّنَا  
الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } ﴿٥٠﴾ كما هدى النحل للقيام بوظيفته  
لقوله تعالى في سورة النحل: { وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ  
بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ  
رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي  
ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ﴿٦٩﴾ فالتقوى مفتاح العلوم في كل تخصص،  
والسبيل للوصول لمرضاته تعالى.

ثم قال تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ } مرتحلون و { عَلَىٰ سَفَرٍ } وتداينتم { وَلَمْ تَجِدُوا  
كَاتِبًا } لتوثيق الدين { فَرِهْنِ } بما لا يقل عن قيمة الدين { مَّقْبُوضَةً } يُسَلِّمُهَا  
المُقْتَرِضُ للدائن، وللدائن حق التصرف ببيعها إذا عجز المدان عن سداد  
الدين، وعليه إرجاع ما زاد عن الدين للمقترض، كما يمكن في الحضر  
الاستعاضة بالرهن عن الكتابة { فَإِنْ أَمِنَ } ووثق { بَعْضُكُمْ بَعْضًا } ولم  
تحتاجوا لكتابة الدين ولا الشهود { فليؤدِّ } وليؤفِّي { الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمْنَتَهُ } وليتَّقِ  
اللَّهَ رَبَّهُ } فيما استدان وأثمن { وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ } عند القاضي أو

الحاكم إذا طلبت منكم { وَمَنْ يَكْتُمْهَا } متعمداً { فَإِنَّهُ وَءَاثِمٌ } ومذنبٌ { قَلْبُهُ }  
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ { من عملٍ } عَلِيمٌ { وَمُحِيطٌ }.

الملخص: -

للمحافظة على الحقوق شرع تعالى كتابة الدين بالعدل، كان قليلاً  
أو كثيراً، وَيُجَوِّزُ لولي أمر القاصر أو الضعيف النيابة عنه، وأن يُسْتَشْهَدَ  
رَجُلَيْنِ مسلمين، أو رجلًا وامرأتان ممن ترضون دينهم، ولا يجبر كاتب  
ولا شهيد على الكتابة أو الشهادة، ولا حاجة للكتابة إن كانت تجارة  
حاضرة بينكم، ولكن الإشهاد عليها كتابةً، وبدرجة تقواكم وإيمانكم يُعَلِّمُكُمْ  
الله من كل علم، كلُّ في تَخْصُصِهِ، فإن لم يوجد كاتب فَرَهَانٌ بما لا يقل  
عن قيمة الدين تُسَلَّمُ للدائن للتصرف فيه عند عجز المدان عن السداد،  
كما ويجوز الرهان في الحَضَرِ، فإن أمن بعضهم بعضاً فعلى المُقْتَرَضِ  
وفاء ما استدان.

(٢٨٤-٢٨٦) الجزم بأن الملك لله تعالى، والخلق محاسبون، والرسول

ﷺ والمؤمنين مصدقون ومُبتهلون، وأن التكاليف بحسب الوسع.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ  
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا  
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا  
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا  
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا  
لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

### الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

يؤكد تعالى ملكه للسموات والأرض فيقول: {لِلَّهِ} ملك {مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} وما بينهما {وَإِنْ تُبَدُّوا} وتفصحوا وتعلنوا عن {  
مَا فِي أَنْفُسِكُمْ} وصدوركم {أَوْ تُخَفُّوهُ} وتكتموه عازمين على فعله {  
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} يوم القيامة، وقد نُسخ حكم الآية لما ورد في صحيح

الإمام البخاري عن أبي هريرة (رل ع) عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ  
عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ"، وَعِلْمُهُ تَعَالَى وَسِعَ  
كُلَّ شَيْءٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُنُس: {...} وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ  
ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
مُبِينٍ ﴿٦١﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ } بِعِلْمِهِ بِحَقِيقَةِ  
مَا فِي الصُّدُورِ، وَبِعَدْلِهِ الْمَطْلُوقِ، وَلَا تَظْلَمُونَ فَتِيلًا وَلَا شَيْئًا يَسِيرًا، ثُمَّ قَالَ  
تَعَالَى: { وَاللَّهُ عَلِيٌّ } فَعَلَّ { كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } لَا يَعْجِزُهُ شَيْئًا فِي الْأَرْضِ وَلَا  
فِي السَّمَاءِ.

ثُمَّ أَكَّدَ تَعَالَى فَقَالَ: { ءَأَمَنَ } وَصَدَّقَ { الرَّسُولَ } ﷺ { بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ } وَمَا  
شُرِعَ وَفُرِضَ عَلَيْهِ { مِنْ رَبِّهِ } جَلَّ وَعَلَا { وَالْمُؤْمِنُونَ } أَيِ وَالْمُؤْمِنُونَ آمَنُوا  
وَصَدَّقُوا بِمَا أُنزِلَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، { كُلُّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ } الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ  
الْصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ { وَمَلَائِكَتِهِ } الَّذِينَ  
لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ { وَكُتِبَ عَلَيْهِ } الَّتِي جَاءَتْ بِهَا  
الرُّسُلُ { وَرُسُلِهِ } مِنْ آدَمَ (عَس) إِلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ {  
لَا نُفَرِّقُ } وَلَا نُفَاضِلُ { بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ } وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ

إِطْرَائِهِ لَمَا وَرَدَ فِي مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ عُمَرَ (رل ع) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا تُظْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ". { وَقَالُوا } أَي الرُّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } بِكُلِّ مَا شَرَعَ تَعَالَى لَنَا، وَدَعَا رَبَّهُمْ وَقَالُوا: { غُفْرَانَكَ رَبَّنَا } عَنْ مَا بَدَرْنَا مِنْ خَطِيئَةٍ أَوْ عَمْدًا أَوْ نَسِيانًا { وَإِلَيْكَ } الْمَرْجِعُ وَ{ الْمَصِيرُ } فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَا يَكْفُرُونَ بِأَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، كَمَا كَفَرَ الْيَهُودُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعِيسَى (ع س)، وَكَمَا كَفَرَ النَّصَارَى بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ التَّكَالِيفَ بِحَسَبِ الْوَسْعِ فَقَالَ: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } وَمَا تُطِيقُ وَمَا تَسْتَطِيعُ، فَلَيْسَ عَلَى الْفَقِيرِ وَلَا الْمَسْكِينِ مِثْلًا زَكَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَا حَجٍّ، وَلِلْمَرِيضِ أَنْ يَصِلِيَ قَاعِدًا أَوْ مُضْطَجِعًا، { لَهَا } أَجْرٌ وَحَسَنَاتٌ { مَا كَسَبَتْ } مِنْ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ { وَعَلَيْهَا } وَزَرٌ وَإِثْمٌ { مَا أَكْتَسَبَتْ } مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَقَالُوا: { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا } وَاصْفَحْ عَنَّا، وَتُبْ عَلَيْنَا { إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } وَقَدْ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ تَجَاوُزَهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ لَمَا وَرَدَ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رل ع) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنَّسِيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا





فيغفر تعالى لمن يشاء ويعذب من يشاء بعدله وعلمه وهم لا يظلمون،  
وأنّ الرسول ﷺ والمؤمنون آمنوا وصدّقوا بالله تعالى وبملائكته وكتبه  
ورسله، لا يفرقون ولا يفاضلون بين أحد منهم، وقالوا: سمعنا وأطعنا ما  
شرعت لنا، وقالوا: غفرانك ربنا، وإليك المصير يوم الدين، والله تعالى لا  
يكلف نفساً إلا وسعها وما أطاقت واستطاعت، فلها أجر ما كسبت من  
خير، وعليها وزر ما اكتسبت من إثم، ودعوا ربهم فقالوا: ربنا لا تؤاخذنا  
إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً وعنتاً ومشقةً كما حملته  
على الأمم الذين من قبلنا، وقالوا: ربنا ولا تحمّلنا من التكاليف والشرائع  
ما لا طاقة ولا قدرة لنا به، واعف عنا واغفر لنا ذنوبنا وارحمنا، أنت  
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

## المراجع

- القرآن العزيز، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.
- القرآن العزيز، خط النسخ الحاسوبي-حفص- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- النسخة ١٤.
- روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي دار العاصمة - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٢٢-٢٠٠١ م.
- زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- الدر المنثور للسيوطي دار الفكر - بيروت ١٩٩٣م
- كتاب فتح القدير، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.
- تفسير الألوسي، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.
- تفسير الكشف والبيان، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.
- تفسير ابن كثير، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.
- كتاب غرائب التفسير، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- الفوز الكبير في أصول التفسير، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة  
١٤٣٢هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة  
١٤٣٢هـ.

- تفسير النسفي، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- تفسير البغوي، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- تفسير الثعالبي، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- كتاب التحرير والتنوير، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- تفسير الطبري، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- أسباب النزول للوحي النيسابوري

- كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى، الناشر المكتبة الإلكترونية  
الشاملة ١٤٣٢هـ.

- البداية والنهاية، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- كتب التاريخ، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- السير والشمائل، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢هـ.

- قواميس اللغة العربية، الموقع الإلكتروني للباحث العربي.

- الموسوعة الحرة الإلكترونية.

- سنن الإمام البيهقي الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ الإمام الترمذي الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ
- صحيح الإمام ابن حبان الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ
- صحيح الإمام ابن خزيمة الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ
- صحيح الإمام البخاري الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ
- صحيح الإمام مسلم الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ
- مسند الإمام أبي يعلى الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ
- مسند الإمام أحمد بن حنبل الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ
- مصنف الإمام ابن أبي شيبة الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ

١٤٣٢ هـ

- مصنف الإمام عبدالرزاق الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ
- كتاب التعاريف، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ.
- سنن الإمام النسائي، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ.
- موطأ الإمام مالك، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ.
- سنن الإمام ابن ماجة، الناشر المكتبة الإلكترونية الشاملة ١٤٣٢ هـ